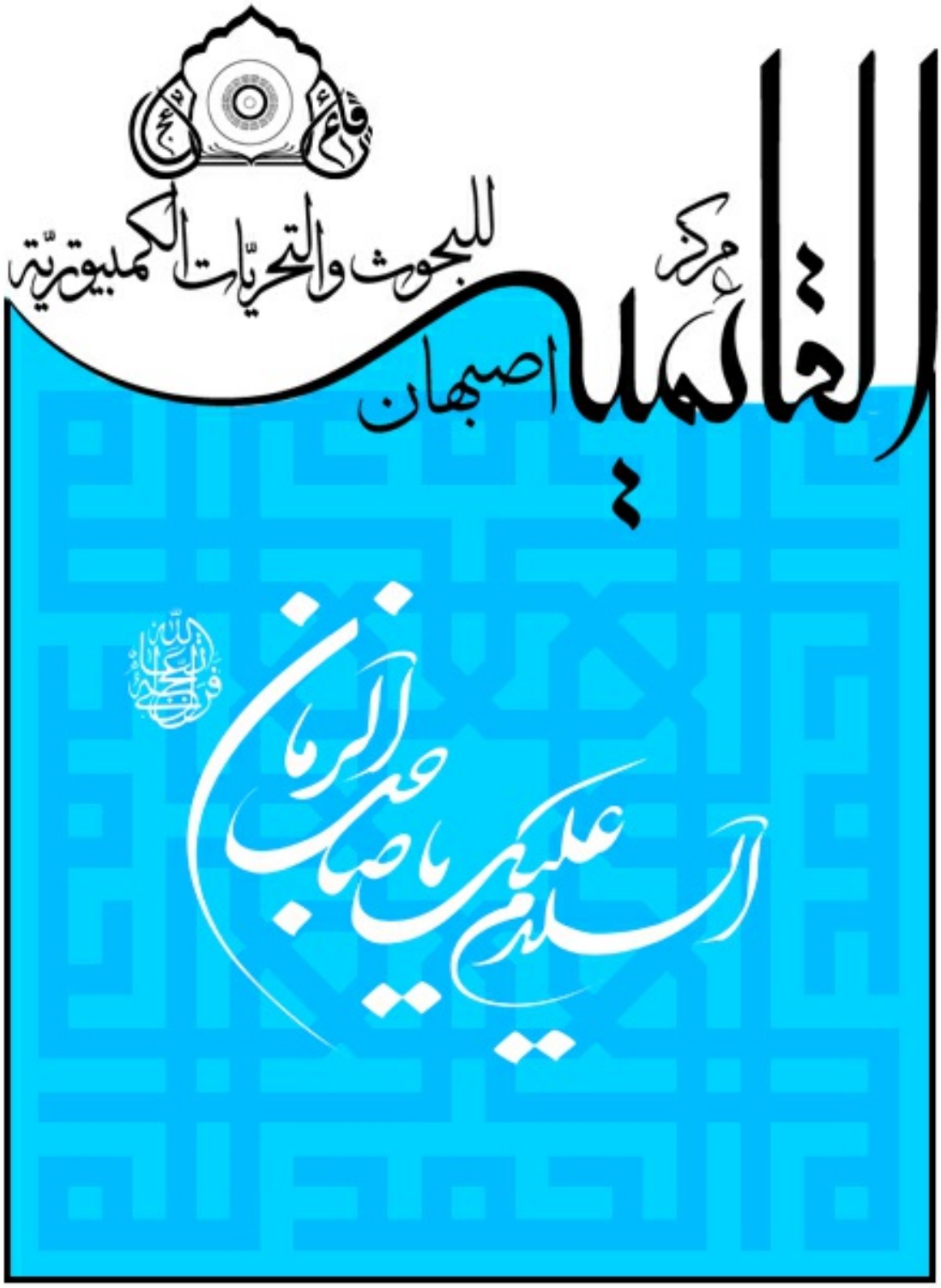


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# من نور القرآن

## تفسير موضوعي الخلاق حرکي

الجزء الثالث

سورة النحل - سورة الفرقان

دار الصابرين

بسم الله الرحمن الرحیم

# من نور القرآن

كاتب:

آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي

نشرت في الطباعة:

دار الصادقين

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس


الفهرس ..... 5

من نور القرآن المجلد 3 ..... 16

هوية الكتاب ..... 16

اشارة ..... 16

القبس /80: سورة النحل:16 ..... 20

اشارة ..... 20

موضوع القبس:أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) نجوم أهل الأرض ..... 20

القبس /81: سورة النحل:98 ..... 29

القبس /82: سورة الإسراء: 11 ..... 31

اشارة ..... 31

موضوع القبس:في العجلة الندامة الا في فعل الخير ..... 31

دوافع العجلة: ..... 34

الاستعجال محمود ومذموم: ..... 34

القبس /83: سورة الإسراء:19 ..... 39

اشارة ..... 39

الأمور بخواتيمها: ..... 39

قصة أحمد بن هلال العبرتائي: ..... 40

أهمية حسن الخاتمة: ..... 41

متطلبات الفوز بالآخرة: ..... 42

ما يؤمنك من سوء العاقبة: ..... 43

لا بد أن يقترن الدعاء بالسعي: ..... 44

القبس /84: سورة الإسراء:23 ..... 46

اشارة ..... 46

موضوع القبس:بر الوالدين 46
اما الروايات فكثيرة جدا نذكر منها: 46
أبوا هذه الأمّة: 47
في معنى الأب: 49
حياتان ووجودان: 49
الابوة المعنوية: 50
لنكن أبناء بارّين: 51
لنقرأ الآيات برؤية جديدة: 51
في خصائص البنوة: 52
القبس /85: سورة الإسراء:36 54
اشارة 54
موضوع القبس:لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين 54
القبس /86: سورة الإسراء:70 60
اشارة 60
موضوع القبس:الكرامة المطلقة للإنسان 60
الكرامة الحقيقية: 60
الكرامة تتفاوت بحسب التقوى: 61
من مظاهر التكريم الإلهي: 61
تكريم الإنسان معيار سلامة المناهج والأديان: 62
ما الذي أراده القرآن الكريم من حقيقة التكريم؟ 63
ليس للإنسان أن يتنازل عن كرامته: 64
لكي تكون الحياة كريمة: 64
معنى الاعتداء على الآخرين: 66
دولة الإنسان ودولة القانون: 66
الزهراء (س) تضحي من أجل دولة الإنسان النبوية: 67

كلامهم صدق: ..... 69
القبس /87: سورة الإسراء:79 ..... 70
اشارة ..... 70
موضوع القبس:صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة ..... 70
القبس /88: سورة الكهف:13 ..... 78
اشارة ..... 78
موضوع القبس:الفتوّة زينة الانسان ..... 78
القبس /89 : سورة الكهف:16 ..... 83
اشارة ..... 83
موضوع القبس:اللجوء إلى الكهف المعنوي ..... 83
القبس /90: سورة الكهف:109 ..... 94
اشارة ..... 94
موضوع القبس:معاني القرآن لا تنتهي ..... 94
القبس /91: سورة مريم:16 ..... 103
اشارة ..... 103
موضوع القبس:مريم الصدّيقة الطاهرة برؤية قرآنية ..... 103
ملحق:مقارنة بين الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والسيدة مريم إبنت عمران ..... 115
القبس /92 : سورة مريم:48 ..... 119
اشارة ..... 119
موضوع القبس:المعنى الصحيح للاعتزال ..... 119
دين الاجتماع: ..... 119
الحث على العزلة: ..... 120
إشكال وردّ: ..... 121
لكي لا ينحرف الدين وتضيع معالمه: ..... 124
مع السيد الشهيد الصدر الثاني: ..... 126

الحل الوسط: ..... 127
القبس /93: سورة مريم:59 ..... 130
اشارة ..... 130
موضوع القبس:إنحراف الامة بعد رحيل قائدها ..... 130
القبس /94: سورة مريم:34 ..... 138
اشارة ..... 138
موضوع القبس: لا تهولنكم قوة الباطل فإنها إلى فناء ..... 138
القبس /95: سورة طه:41 ..... 145
اشارة ..... 145
موضوع القبس:الصناعة الإلهية للإنسان ..... 145
أهمية الطفولة: ..... 145
التربية الإلهية: ..... 145
نتيجة الاصطفاء الإلهي: ..... 146
كيف ننال الاصطفاء الإلهي؟ ..... 147
ما يوجب الصناعة الإلهية: ..... 148
الدعاء يوصل الى الصناعة الإلهية: ..... 150
القبس /96: سورة طه:114 ..... 151
اشارة ..... 151
أدب طلب العلم: ..... 151
التأسي بطلب العلم: ..... 151
في قوله تعالى:وَقُلْ رَبِّ ..... 152
في معنى أن الآية لسانها الدعاء: ..... 152
لا تغفلوا عن العلم الغيبي: ..... 152
مصادر العلم الغيبي: ..... 153
في معنى قوله تعالى:(زِدْنِي): ..... 157

في معنى قوله تعالى:(علماً): 157
الدعوة الى أن تكونوا من حملة العلم: 159
القبس /97: سورة طه:124 161
اشارة 161
موضوع القبس:الاعمى من لم يبصر طريق الهداية 161
عميت عين لا تراك: 161
عقوبة الإعراض عن ذكر الله تعالى: 162
هل أنت من أهل البصيرة؟ 164
موجبات العمى: 166
القبس /98: سورة الأنبياء:90 168
اشارة 168
موضوع القبس:المسارعة الى الخير 168
واجعل الحياة زيادة لي في كل خير: 168
من استوى يوماه: 168
معنى الخير: 169
كيف نحوّل الحياة كلها الى خير؟ 170
القبس /99: سورة الأنبياء:94 172
اشارة 172
موضوع القبس:النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مكفور النعمة 172
القبس /100: سورة الحج:5 180
اشارة 180
موضوع القبس:إنبعاث الحياة المعنوية 180
القبس /101: سورة الحج:11 188
اشارة 188
موضوع القبس:عدم الثبات على الحق 188

القبس /102: سورة الحج:29 195
اشارة 195
موضوع القبس:الولاية ثمرة الحج 195
القبس /103: سورة الحج:32 202
اشارة 202
موضوع القبس:احياء الشعائر الدينية 202
ملحق:إلى المشككين بجدوى الزيارات المليونية 208
القبس /104: سورة الحج:40 213
اشارة 213
موضوع القبس:سنة التدافع 213
من السنن الإلهية: 213
من وحي القرآن: 214
الدعوة النبوية وسنّة التدافع الخارجي: 221
التدافع الداخلي: 222
القبس /105: سورة المؤمنون:96 224
القبس /106: سورة النور:22 229
اشارة 229
موضوع القبس:درس من حياة الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) 229
لنتعلم تحصيل المغفرة: 229
في العفو والصفح: 230
دروس من العفو والصفح: 231
سياق الآية الكريمة: 232
القبس /107: سورة النور:31 234
اشارة 234
ملحق:تحريك الدوافع نحو التوبة والرجوع الى الله تبارك وتعالى 240

المعاصي القلبية:- ..... 242
المستوى الاول:النفس ..... 246
المستوى الثاني: ..... 250
المستوى الثالث:القلب ..... 251
محفزات للتشجيع على التوبة:- ..... 256
القبس /108: سورة النور:33 ..... 272
اشارة ..... 272
موضوع القبس:العفّة رأس كل خير ..... 272
وتحصل ملكة العفاف بعلاجين:نظري وعملي: ..... 276
القبس /109: سورة النور:36 ..... 280
اشارة ..... 280
موضوع القبس:مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت(عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ..... 280
التلازم بين القرآن واهل البيت(عَلَيْهِم السَّلاَمُ): ..... 280
لا يرتاب مسلم في معنى أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ): ..... 280
الزهراء (س) عِدل القرآن الكريم: ..... 281
القبس /110: سورة النور:55 ..... 288
اشارة ..... 288
موضوع القبس:الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين ..... 288
أيها الإخوة والأخوات: ..... 294
أيها المؤمنون: ..... 295
القبس /111: سورة الفرقان:30 ..... 298
اشارة ..... 298
الحذر من هجر القرآن ..... 298
ملحق:شكوى القرآن ..... 306
الافتتاح: ..... 306

القرآن يشكو: ..... 306
ونستفيد من هذا الحديث أكثر من أمر: ..... 307
البعد عن القرآن سبب انحطاط المسلمين: ..... 309
ما تمسك بالقرآن مَن أعرض عن العترة الطاهرة: ..... 310
لكي يفرغوا مضمون القرآن: ..... 312
كلمة حق يراد بها باطل: ..... 313
التخطيط لقتل الإسلام: ..... 314
الخسارة الجسيمة: ..... 315
الوصية بحفظ القرآن ..... 316
القرآن طريق الوصول إلى المعرفة: ..... 317
حاجتنا إلى إعادة القرآن إلى الحياة: ..... 318
اهتمام النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) بالقرآن: ..... 319
دواعي الاهتمام بالقرآن: ..... 321
القرآن يصف نفسه: ..... 326
شرح لبعض أوصاف القرآن: ..... 330
مبارك: ..... 330
عزيز: ..... 331
مجيد: ..... 332
قيّماً: ..... 332
قول ثقيل: ..... 335
موعظة وشفاء وهدى ورحمة: ..... 336
الحياة في كنف القرآن: ..... 339
ما الذي وجدته في رحاب القرآن؟ ..... 339
ضرورة العودة إلى القرآن: ..... 344
مسؤولية الحوزة في إعادة القرآن: ..... 345

جاهلية اليوم: 346
مقارنة بين الجاهلية الأولى والجاهلية اليوم: 347
صفات ومميزات المجتمع الجاهلي بحسب المفهوم القرآني: 348
القرآن علاج لأمراضنا الاجتماعية: 367
دروس مستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع: 369
من فقه المواجهة مع الكفار والطواغيت: 377
الكيان الصهيوني من الأعراض المرضية فعالجوا أصل المرض: 382
فائدة تكرار القصص في القرآن: 382
كيف السبيل إلى إعادة تفعيل دور القرآن؟ 385
الفقه والفقيه في المصطلح القرآني: 387
مسؤولية الحوزة عن تفعيل دور القرآن: 391
بعض الآداب والمستحبات المتعلقة بتلاوة القرآن: 394
الأربعون حديثاً في فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته: 397
1-ضرورة تعلّمه: 397
2-تعلم القرآن أعظم نعمة: 398
3-القرآن شافع مشفَّع وخصم مصدق: 398
4-صفة قارئي القرآن: 398
5-وجوب إكرام حملة القرآن وحرمة الاستخفاف بهم: 399
6-ثواب من يصعب عليه تعلم القرآن وحفظه: 399
7-وجوب قراءة البسملة قبل السورة: 399
8-استحباب قراءة القرآن عند زيارة القبور: 400
9-فضل تعلم القرآن في الشباب وآثاره: 400
10-ضرورة تعليم الأولاد القرآن: 401
11-أقسام قرّاء القرآن وصفة القارئ الحق: 401
12-فهم القرآن مرتبة قريبة من النبوة: 402

13-الطريق الأكمل لقراءة القرآن أن تبدأ من أوله إلى آخره وليس بأن تقرأ سوراً متفرقة: 402
14-الوصية بكثرة قراءة القرآن: 403
15-ثواب قراءة القرآن: 403
16-ضرورة المحافظة على ما تعلم من القرآن ولا يتركه بحيث يؤدي الى نسيانه: 404
17-استحباب التلاوة على وضوء: 404
18-استحباب الاستعاذة عند القراءة: 405
19- القرآن عهد الله فكم ينبغي للمسلم أن يقرأ منه يومياً: 405
20-آيات القرآن خزائن فاستفد منها جميعاً: 406
21-استحباب قراءة القرآن في البيوت: 406
22-الكسب وطلب الرزق لا يمنع من المواظبة على قراءة القرآن: 406
23-استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ: 406
24-استحباب اقتناء نسخة من المصحف في البيت: 407
25-استحباب ترتيله وكراهة العجلة فيه: 407
26-استحباب قراءته بالحزن كأنه يخاطب إنساناً وحرمة ما يفعل الصوفية من الغشية والصعقة: 408
27-استحباب رفع الصوت بالقرآن: 409
28-حرمة التغني بالقرآن: 409
29-وجوب الإنصات لقراءة القرآن أخلاقياً واستحبابه شرعياً إلا في الصلاة: 409
30-استحباب ختم القرآن في كل شهر مرة: 410
31-استحباب إهداء ثواب القراءة إلى المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لكي يضاعف الأجر: 410
32-استحباب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن: 411
33-العلم كله في القرآن: 411
34-القرآن شفاء من كل داء: 412
35-القرآن فيه جلاء القلوب: 412
36-الإكثار من قراءته في شهر رمضان: 412
37-تلاوة القرآن حق تلاوته: 413

38-القرآن لا يشبع منه العلماء: ..... 413
39-القرآن في نهج البلاغة: ..... 413
40-دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عند ختم القرآن: ..... 414
القبس /112: سورة الفرقان:44 ..... 418
اشارة ..... 418
تطبيق:إباحة زواج المثليين نموذجا ..... 418
عظمة تشريعات الإسلام: ..... 418
وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ: ..... 421
الانحطاط العظيم: ..... 422
القبس /113: سورة الفرقان:70 ..... 424
الفهرس الإجمالي ..... 435
تعريف مركز ..... 442

# من نور القرآن المجلد 3

## هوية الكتاب

اسم الكتاب: من نور القرآن

الكاتب: آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي

لسان: العربية

الناشر: دار الصادقين – النجف اشرف – العراق

الموضوع : التفسير

مشخصات : 5 ج

الطبعة : الرابعة

التاريخ : 1442ه– – 2021م

ص: 1

## اشارة

من نور القرآن

ص: 2

من نور القرآن

تفسير موضوعي حركي يقتبس من القرآن الكريم ما يلقي ضوءاً على قضايا عقائدية أو أخلاقية أو فكرية أو اجتماعية

سماحة المرجع الدينى الشيخ محمد اليعقوبى

الجزء الثالث

سورة النحل – سورة الفرقان

دار الصادقين

ص: 4

## القبس /80: سورة النحل:16

### اشارة

{وَعَلَمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ}

### موضوع القبس:أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) نجوم أهل الأرض

فسرّت روايات كثيرة النجوم الواردة في عدة آيات كريمة بأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لعدة وجوه مشتركة سنشير اليها ان شاء الله تعالى، وقد استعمل القرآن الكريم التشبيه لإيصال حقائق كثيرة تعرّف فضل أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ووظائفهم ودورهم في حياة البشرية فكانوا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تأويل هذه الآيات الكريمة وهذا شأن القرآن الكريم في كثير من الحقائق التي لم يبيّنها في التنزيل لمصلحةٍ ما خصوصاً ما يتعلق بأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لكن الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) أفادوا تأويلها {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت:43) {تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:21).

وقد بيّن القرآن الكريم اهتمامه بالنجوم وما يرتبط بها من وظائف وحركة متقنة ومواقع دقيقة، قال تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} (الواقعة:75-76) ونشير هنا استطراداً إلى نكتة القسم بالمواقع دون نفس النجوم ولعلها لأمرين على الأقل:

1-بيان دقة توزيع هذه النجوم في مواقعها والانسجام التام في حركتها

فتكون من آيات الخالق، ولعلمنا بهذه الدقة والانسجام فإننا نبني على قوانينها الكونية المنضبطة ونستطيع معرفة أمور وحوادث قبل وقوعها بسنين، ولو كانت مبعثرة وعشوائية لما أمكن الاعتماد عليها قال تعالى {وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} (الإسراء:12) فهذه الدقة في المواقع والحركة جُعِلَت في كل شيء ليتعلمها الانسان ويستفيد منها في حياته.2-لتصحيح عقائد الناس خصوصاً وأنهم قريبو عهدٍ بالجاهلية حيث كانوا يعتقدون بأن للنجوم أرواحاً وانها تتحرك بإرادتها وبقى هذا الاعتقاد إلى وقت قريب(1) وكانوا أيضاً يعتقدون بتأثيرها المستقل وجلبها للخير والشر ويحلفون بها فعدل الى الحلف بمواقعها ليعرفوا أنها مخلوقات مدبّرة ومسيّرة من قبل الخالق العظيم.

وهذا المعنى وارد في الروايات ففي حديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (إن مواقع النجوم رجومها للشياطين، فكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه (فلا أقسم بها))(2) وقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (كان أهل الجاهلية يحلفون بها فقال الله عزوجل:فلا أقسم...).

والمستفاد من استقراء الآيات الكريمة:ان للنجوم عدة وظائف وهي جارية ببعدها المعنوي في أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ).



---

1- حيث استطاع يوهانس كبلر (1571 - 1630) وصف حركتها بمعادلة رياضية ثم علل إسحاق نيوتن (1642 - 1727) حركتها بمحصلة قوى الاستمرارية والجاذبية.

2- مجمع البيان: 9/ 287

1 ـ الهدايـة، قال تعالى {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} (النحل:16) وقـال تعالى {وَهُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأنعام:97) حيث كان الناس يتخذونها دليلاً لمعرفة الطرق في اسـفارهم خصوصاً في البحار والمحيطـات حيث لا توجـد أي علامـة غيرها قبل اختراع الآلات واسـتفادوا منها لتحديـد الاتجاهات كالكعبـة وبعض الأوقات فمن دون علامات في البر(1)، ونجوم في الجو لا يهتدون الى الطريق الموصل للغرض.

وكان الجاهليون يسـتهدون بها لمعرفـة حظوظهم ومسـتقبلهم ويتفاءلون بها ولـذا كانوا يطلبون الخير والبركة منها، ولعل هذا يفسّـر الحركة التمويهيـة التي قام بها إبراهيم في قوله تعالى {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ، فَقَالَ إِنِّي سَـقِيمٌ ، فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ} (الصافات:88-90) فكأنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) طلب منهم أن يكتشـفوا من النجوم التي يعتقدون بها ما يشـير إلى سقمه، وما كان سقيماً في جسده ولكنه كان مرتاداً طالباً للحقيقة وهي معرفة الله تبارك وتعالى.

وهـذه الوظيفـة -- وهي الهدايـة -- هي من أهم وظائف أئمـة أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) فقد اختارهم الله تعالى ليكونوا هداة إليه وادلاء على طاعته يأخـذون بأيـدي الناس من ظُلمات الجهل والتعصب والضـلال واتباع الشـهوات والفتن إلى نور الهداية والسـعادة والفلاح، قال تعالى {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ



---

1- كاختلاف التضاريس الأرضية من جبال وسهول وأنهار لذا كانوا يتيهون في الصحراء لعدم وجود علامات مميزة

الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (الأنبياء:73) فهم يهدون بأمر الله تعالى كالنجوم التي وصفها الله تعالى بأنها {مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} (الأعراف:54)، ورد في تفسير قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ} (الأنعام:97) عن علي ابن إبراهيم ان (النجوم:آل محمد(عَلَيْهِ السَّلاَمُ))(1) ووردت عدة روايات بهذا المعنى في تفسير قول الله عز وجل:{وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} منها عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) النجم، والعلامات هم الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بهم يهتدون)(2) .وهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أولى بالهداية لأنهم آيات الله العظمى التي تمشي على الأرض بين الناس اما النجوم فهي بعيدة عنهم ولا يعرفون تفاصيلها.

فمن سار على هداهم نجا ومن تنكب عنهم هلك:وقد اشتهر عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (الا مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف هنها هلك) (3) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وخلف فينا راية الحق، من تقدمها مرق، ومن تخلّف عنها زهق، ومن لزمها لحق)(4).

وهذا ما أكدته السيدة فاطمة الزهراء (س) في خطبتها (أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لما اختلف في الله أثنان ولورثها سلف



---

1- تفسير القمي:1/ 211

2- الكافي: ج 1 / 160 ح 1 وتجد مجموعة الروايات في البرهان: 5/ 328

3- فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل: 2/ 785

4- نهج البلاغة: خطب الامام علي، ج 1 /ص 193

عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ولكن قدّموا من أخره الله وأخروا من قدّمه الله)(1) .ومن رسالة الامام المهدي (عج) إلى شيعته (او ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون اليها، واعلاماً تهتدون بها من لدن آدم كلما غاب علم بدا علم، واذا أفل نجم طلع نجم)(2) .

2 ـ الزينة قال تعالى {وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (فصلت:12) {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} (الصافات:6) والزينة ما يحسِّن الانسان ويجمّل هيئته الظاهرية {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (الأعراف:31) والزينة تشمل الأمور الظاهرية والباطنية روى جابر الانصاري عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (زيّنوا مجالسكم بذكر علي بن أبي طالب)(3) عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر الف عام، فلما خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزأين ركّبا في آدم فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب، فنور الحق معنا نازل حيثما نزلنا)(4) .

روى الكليني (قال أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده، بالرأفة والرحمة



---

1- موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: 4 / 362 عن عوالم المعارف:11/ 228

2- الاحتجاج: 2/ 272.

3- بشارة الإسلام، أبو جعفر الطبري: 2/ 104

4- تذكرة خواص الأمة:46

ووجهه الـذي يؤتى منه وبابه الـذي يـدل عليه وخزانه في سـمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشـجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السـماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله)(1) .3 - الحماية والأمان:قال تعالى {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ، وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ} (الحجر:16-17) روي عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (النجوم أمـان لأـهل السماء، اذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)(2).

وقـد اكتشف العلم الحـديث الكثير من هـذه الوظائف للنجوم من حيث حفظ التوازن في الكون وصـدّ الشـهب الثاقبة ومعرفة موقع واتجاه الحركة في الكون ونحو ذلك.

واخرج الحاكم عن ابن عباس، قال:قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق -- فلو لم يسـتهدوا بالنجوم فأنهم يتيهون في البحار ويغرقون --، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فاذا خالفها قبيله من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس)(3).

وقـد روي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله (يحمل هـذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي



---

1- الكافي: 1 / 144

2- امالي ابن الشيخ: 241.

3- المستدرك على الصحيحين: 3/ 162

الكير خبث الحديد) (1) وروى البرقي في المحاسن (فانظروا علمكم هـذا عمن تأخـذونه، فان فينا أهل البيت في كل خلف عـدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)(2).عن معاوية بن وهب قال (سمعت أبا عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (ان لله عند كل بدعة تكون بعدي ويُكاد بها الايمان ولياً من أهل بيتي موكلاً به يذبّ عنه، ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعف فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله)(3).

ونستشعر هذا الأمان من خلال ولايتنا لأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ووجود امام معصوم يتابع شؤوننا (نحن وإن كنّا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أراناه الله تعالى لنا من الصـلاح ولشـيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسـقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شـي ء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسـين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء واصـطلمكم الأعداء)(4) .

ويمكن أن نأخذ تصوراً عن هذا الدور المهم للأئمة المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) من



---

1- وسائل الشيعة (آل البيت): 27/ 150/ح43

2- بحار الأنوار: 2/ 92

3- الكافي:1/ 54

4- الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج 2، ص 323

خلال التجربـة والمعايشة للدور المبارك الذي تؤديه المرجعية الرشـيدة في حفظ كيان الأمة وحمايتها وتحصـينها من الانحراف والضـلال والمؤامرات الخبيثـة التي تحاك لها، وخذ العراق مثلاً فان الفتن التي تعرّض لها والمكائد الخبيثة والمشاريع الشـيطانية التي أغرقته في بحور من الـدماء والفساد والشـبهات والصـراعات الا أنه بقي صامداً محافظاً على مبادئه بدرجة كبيرة بينما تنهار الدول والحكومات بأقل من ذلك بكثير.ومن مجموع هـذه الوظائف العظيمـة للنجوم فانه لا يمكن الاسـتغناء عن وجودها لـذا فان أئمة أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لا يمكن التخلف والاعراض عنهم او اتباع غيرهم بـدلاً عنهم، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (لا يقاس بآل محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من هذه الأمـة أحـد ولا يُسَّوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبـدا)(1). لكن بعض المنحرفين عن أهـل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وضـعوا حـديثاً لخلط الأـمور وتضـييع الحقيقـة على الناس وافتروا على رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (أصـحابي كالنجوم بأيهم اقتـديتم اهتـديتم) وهم يعلمون بـاليقين أن كثيراً من هؤلاـء الأصـحاب ارتكبوا الجرائم والموبقـات الكبيرة وبـدّلوا دين الله تعـالى وحرّفوا أحكامه وقتلوا أولياء الله تعالى فكيف يُهتدى بهم.

نعم وجدت في بعض مصادرنا ان الحديث مروي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لكنهّ فسَّر الاصـحاب بأهل بيته (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فقد روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) بسند معتبر عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:قال رسول



---

1- نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ج 1 - ص 30.

الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها اخذ اهتدي، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة. فقيل:يا رسول الله ومن أصحابك؟ قال:أهل بيتي(1).نسأل الله تعالى أن يهدينا بنورهم ويزيننّا بولايتهم ويحصنّنا بأمانهم في الدنيا والآخرة.



---

1- معاني الاخبار ص156-157.

## القبس /81: سورة النحل:98

{فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرءَانَ فَٱستَعِذ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيطَنِ ٱلرَّجِيمِ}

شرحنا في القبس(1) المعنون بالاية {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (فصلت:36) وجه الحاجة المستمرة إلى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم وشرحنا معنى الاستعاذة وانها ليست مجرد تحريك لسان وإنما هي حالة معنوية يعيشها الانسان.

وكان الأمر بالاستعاذة عاماً لكن الملفت ان الله تعالى خصَّ مورداً واحداً بالذكر طلب فيه الاستعاذة وهو عند قراءة القرآن ولا سيما في الصلاة التي هي معراج المؤمن، قال تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} واختيار وصف الرجيم له لزيادة التنفير منه وللتذكير بتمرده وعصيانه على الخالق العظيم مما اوجب رجمه وطرده.

وقوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ} يشير الى حالة الابتداء بالقراءة وان كان بصيغة الماضي كما لو قلت اذا اردت الذهاب الى كذا فخذ معك كذا، ويمكن ان يراد به بعد الانتهاء من القراءة كما هو ظاهر صيغة الماضي، وكون الامر بالاستعاذة جواب الشرط فتحقيق معنى الاستعاذة مطلوب قبل وبعد واثناء تلاوة القرآن وكان



---

1- راجع: قبس/134, من نور القرآن: 4/ 267

العبارة (لما تقرأ القران استعذ بالله من الشيطان الرجيم) اما قبلها فلازالة المعوّقات عن التدبر في الآيات والاستفادة منها وخلق البيئة النقية لتلقي المعارف القرآنية وتوجيه كل المشاعر الى الله تعالى ، واما اثناءها فلمنع الشيطان من التشويش وخلط الأفكار والايحاء بمعاني مخالفة لمراد المنزل العظيم كالذين قال تعالى فيهم {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} (التوبة:125).واما بعد القراءة فللمحافظة على ما حصل عليه من بركات القران الكريم علما وعملا.

في مصباح الشريعة عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من قرأ القرآن ولم يخضع لله، ولم يرق قلبه، ولا يكتسي حزنا ووجلا في سره، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى، وخسر خسرانا مبينا، فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء:قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم)(1).

فشرط الاستفادة من القرآن الكريم وفهم معانيه تنقية نفس الانسان بالتقوى وتطهير القلب، في الحديث الشريف (لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماوات)(2).



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 82/ 43/ح30.

2- بحار الانوار: 56/ 163.

## القبس /82: سورة الإسراء: 11

### اشارة

{وَكَانَ ٱلإِنسَنُ عَجُولا}

### موضوع القبس:في العجلة الندامة الا في فعل الخير

قد يتوصل الانسان إلى معرفة عميقة بأجزاء جسمه ووظائفها والامراض العارضة لها وكيفية علاجها، لكن لا أحد يستطيع أن يصف الانسان في هواجسه وميوله وغرائزه ومكنونات ضميره أفضل من خالقه العظيم، وقد كشف القرآن الكريم عن جملة من هذه الاوصاف، قال تعالى {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً} (المعارج:19) {وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} (الأحزاب:72) {إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم:34) {وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} (الكهف:54) {إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ} (الحج:66) {إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} (العاديات:6) {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} (يوسف:103) {وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف:79) {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} {المؤمنون:70) وغيرها مما تستحق أن يفرد لها بحث مستقل إلى ان تصل ذروة الشكوى من الانسان والدعاء عليه في قوله تعالى {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:17) وكانت نتيجة ذلك {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} (العصر:2).

والمقصود ليس الانسان بذاته وحقيقته وأصل خلقته لأنه صُمِّم {فِي أَحْسَنِ

تَقْوِيمٍ} {التين:4) ليكون خليفة الله في أرضه وأسجد له ملائكته {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء:70) وعنده القابلية لأن يكون أعلى درجة من الملائكة اذا أخلص العبودية لله تعالى، وفي الحديث عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن لأن الملائكة خدّام المؤمنين)(1). وعلّل ذلك الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عندما سأله عبدالله بن سنان:الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقلُهُ شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم) (2) .وانما المقصود الانسان بواقعه الخارجي وسلوكه العملي الذي اختاره بنفسه لأنه لم يحافظ على فطرته ولم يلتزم بما خُطِّط له واتبع هواه وغرّته الدنيا وزين له الشيطان عمله وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه) (3)، ولو ناله التوفيق الإلهي وحصلت له التربية الصالحة لما انحدر إلى تلك الصفات، ولذا استثنت الآيات الكريمة ولم تشمل كل انسان {إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} (المعارج:19-23) {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ،



---

1- الكافي: 2/ 33 ح 2

2- بحار الأنوار: 60/ 299 ح 5

3- بحار الأنوار ج 3 ص 22

إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر:2-3).ومن هذا نعرف أنه لا يوجد تنافي بين هاتين النظرتين القرآنيتين ومن تلك الغرائز والميول:العجلة وعدم التأني في اتخاذ القرار والموقف فيتخبط ويوقع نفسه في الضرر {خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} (الأنبياء:37) حتى إنه بسبب استعجاله يدعو ويطلب الشر لنفسه كطلبه الخير حين يندفع لتحقيق مطامعه من دون أن يفرّق بين الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى أهدافه. {وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً} (الإسراء:11) فكونه عجولاً بطبعه علة لدعائه بالشر كما يدعو بالخير والظاهر أن (كان) هنا شأنية أي ان من شأنه ذلك أو (كان) التامة بمعنى وُجِد وخلق وفي طبعه العجلة، وتكون (عجولا) حالاً وليس خبر كان بناءاً على كونها ناقصة.

والدعاء هنا بمعنى الطلب وهو أوسع من كونه باللسان أو بالسعي والعمل فدعاؤه بالخير والشر أي طلبه لهما وسعيه اليهما كمن يطلب الرزق تارة بلسانه وأخرى بسعيه وجهده، قال تعالى {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الرحمن:29) وليس كلهم يسألون باللسان فالإنسان لطبعه العجول يطلب الشر أو يسعى اليه بالعمل كطلبه الخير {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} (الحج:47) {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} (الرعد:6) {قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} (النمل:46).

وقـد أورد القرآن الكريم نمـاذج من هؤلاء كقوله عن أحـدهم – قيل إنه النضـر بن الحارث(1) – {اللّهُمَّ إِن كَـانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنـدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ} (الأنفال:32) وقد اسـتجاب الله تعالى دعائه وتمكّن منه رسول الله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقتله ولذا ورد التوجيه من الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (اعرف طريق نجاتك وهلاكك كي لا تدعو الله بشـيء عسى فيه هلاكك وانت تظن أن فيه نجاتك)(2) .

## دوافع العجلة:

وإنما يعجل الانسان لاتباعه هواه فيسـتعجل تحصـيل اللذة والمتعة وما يوافق هواه أو لسذاجته وحسن ظنه المفرط أو لجهله بحقائق الأمور وعواقبها فيتوهم الأمور بالعكس فيرى الخير شـراً والشر خيراً وتنقلب الموازين في نظره فيصبح عنده المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فيصير ذلك حجاباً عن الحقيقة والمعرفة ومانعاً من التكامل.

## الاستعجال محمود ومذموم:

والاسـتعجال قـد يكون محموداً أو مـذموماً فـالمحمود ما كان في فعل الخير إذ تسـتحب المبادرة إليه ، قال تعالى {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:133) وقال تعالى



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 37/ 162

2- نور الثقلين: 3/ 141 عن مصباح الشريعة

{وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (آل عمران:114) {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ} (البقرة:148) وروي عن رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة) (1) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (التؤدة ممدوحة في كل شيء الا في فرص الخير)(2) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (اذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، واذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنَّه حتى تصيب رشدك فيه)(3)، وإنما طلب التعجيل إلى فعل الخير لأن التثاقل والتباطؤ فيه يعطي فرصة للشيطان وللنفس الامارة بالسوء لثني الشخص عن المضي فيه كما في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من همَّ بشيء من الخير فليعجّله فان كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)(3) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (اذا همَّ أحدكم بخيرٍ أو صلةٍ فإن عن يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفّاه عن ذلك)(4).واما الاستعجال المذموم ففي اقتحام الأمور من دون حساب عواقبها والسير وراء المطامع والشهوات بمجرد خطورها في ذهنه وتراءي مصلحة ما فيها من دون تروّي وملاحظة النتائج والاثار وحينئذٍ يصطدم بالنتيجة وتحلّ به الندامة، اما اذا درس الموضوع بشكل جيد وعرف وجه الصلاح فيه. فحينئذٍ ينفذّ ما انعقد عليه عزمه، قال تعالى {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ} (آل عمران:159).



---

1- كنز العمال: 5674

2- غرر الحكم: 1937 (3 الامالي للطوسي: 7 ح 8

3- أصول الكافي، ج 2 كتاب الايمان والكفر، باب: تعجيل فعل الخير.

4- أصول الكافي، ج 2 كتاب الايمان والكفر، باب: تعجيل فعل الخير.

فعلى الانسان ان يصبر ويتأنى في نيل مقاصده واغراضه ويتحقق من كونها مشروعة وان الوسائل التي يريد بها تحقيق غرضه مشروعة أيضاً ونقية وعفيفة، روي عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله:(انما اهلك الناس العجلة ولو ان الناس تثبتوا لم يهلك أحد)(1) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (ان الاناة من الله والعجلة من الشيطان)(2) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (مع التثبت تكون السلامة، ومع العجلة تكون الندامة)(3) . وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (التأني في الفعل يؤمن الخطل، التروي في القول يؤمن الزلل)(4) .وبذلك يتّضح ان الاناة والتثبت من جنود الرحمن والعقل وان العجلة والتسرع من جنود الشيطان والجهل.

روي أن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) دخل المسجد وقال لرجل (امسك علي بغلتي -- أي احفظها وما عليها من السرقة والضياع إلى ان ينهي الامام عبادته لكن الرجل المؤتمن طمعت نفسه -- فخلع لجامها وذهب به فخرج علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بعد ما قضى صلاته وبيده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له، فوجد البغلة عطلى -- أي خالية من السرج فقد سرقه الرجل طمعاً بثمنه --، فدفع إلى غلامه الدرهمين ليشتري به لجاماً، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه.



---

1- المحاسن: 1/ 340 ح 697

2- نفس المصدر السابق، ح 698، كنز العمال: 5674

3- الخصال: 100، ح 52

4- غرر الحكم: 1310

فقال علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له) (1) . فعجلته لتحصيل المال أدّت به إلى هـذه النتيجـة السـيئة ولنا كلمة مسـتقلة اعطينا فيها امثلة من الواقع على هذه النتيجة.ومن صور الاسـتعجال المذموم قيام البعض بالتشـهير بالآخرين وذمهم وتسـقيطهم ونشـر غسيلهم بمجرد وصول خبر إليه بذلك من دون أن يتحقق من صدق الخبر أو يعطي الفرصة للآخر لكي يبيّن الحقيقـة ويعطي العـذر، في الحـديث المروي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (يا عبـد الله لا تعجل في عيب أحـدٍ بـذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ فلعلك معذب عليه) (2) .

ومن كتابه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلى مالك الاشتر لما ولّاه مصر (لا تعجّلن إلى تصديق ساعٍ فان الساعي غاش وإن تشبّه بالناصحين) (3) .

وهـذه العجلـة المركوزة في طبع الانسان هي التي تعمي بصـيرته وتسـلب عقله فتدفعه إلى التشـبث بالدنيا والتمسك بها لأنه يجد فيها لذة عاجلة ويعزف عن متطلبات الآخرة لأنها مؤجلّة {إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً} (الإنسان:27).

وقال تعالى {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ



---

1- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج 2 - الصفحة 1076، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 3 / 160.

2- نهج البلاغة: الخطبة 140

3- نهج البلاغة: الكتاب 53

جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً} (الإسراء:18).ومن اسوأ النماذج على هؤلاء عمر بن سعد فانه عندما كلّفه ابن زياد بقيادة الجيش الخارج الى حرب الامام الحسين وبات ليلته يفكّر ويتأمل في ما عرض عليه من ولاية الري وجرجان ان قتل الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وفيها نار جهنم وانشأ ابياتاً منها:

أأترك ملك الري والري منيتي***ام ارجع مأثوماً بقتل حسين(1)

وأختار في النهاية الدنيا العاجلة الفانية معللاً ذلك بقوله (وما عاقل باع الوجود بدين) لكنه لم يكن عاقلاً في اختياره بل كان أحمقاً ومتوهماً.



---

1- اللهوف في قتلى الطفوف- ابن طاووس: 193

## القبس /83: سورة الإسراء :19

### اشارة

{وَمَن أَرَادَ ٱلأخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعيَهَا}

### الأمور بخواتيمها:

مما يوجب حـذر المؤمن في هـذه الحياة الدنيا ويجعله في توجّس ويدفعه إلى مزيد من الاعتصام بالله تعالى، هو أن لا يختم له بخير، وإن كـان عمله بحسب الظـاهر صالحاً الآن إلاّ أنه لا تعرف خاتمته والأمور بخواتيمها، روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له)(1).

وقد ينجح الإنسان في امتحانات عديدة لكنه يسـقط في أحدها سقوطاً نهائياً والعياذ بالله، عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(أن العبد ليعمل عمـل أهـل الجنـة فيمـا يرى النـاس وإنه لمن أهـل النـار، وإنه ليعمـل عمل أهل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنـة وإنما الأعمال بالخواتيم)(2) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(الأمور بتمامها والأعمال بخواتيمها)(3).



---

1- بحار الأنوار: 71/ 366 ح13.

2- كنز العمال ح950.

3- ميزان الحكمة- الريشهري: 1/ 724

## قصة أحمد بن هلال العبرتائي:

وهـذه الحقيقـة لها شواهـد قرآنيـة تاريخية كثيرة، ولنذكر مثالاً (حوزوياً) وهو أحمد بن هلال العبرتائي من كبار العلماء والرواة فقد قال عنه الشـيخ الطوسـي (روى أكثر أصول أصحابنا) ناهز التسعين من العمر (180-267)، حجّ (54) حجة، عشـرون منها ماشياً على قدميه، قال عنه الكشي (وقد كان رواة أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه) وقال العلامة (قد) أنه سمع منه (جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها).

وكان من أصـحاب الإمامين الهادي والعسـكري (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلاّ أنّه مرّ بامتحان بعـد استشـهاد الإمام العسـكري (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ففشل فيه وغلبه هواه وحسـده وحبّه للرئاسـة والزعامة فورد التحذير أولاً من الإمام المهدي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من الانخداع بظاهره فقد كتب الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلى نوابه (قوّامه) بالعراق في ابتـداء أمره (احـذروا الصوفي المتصـنّع) ثم جاء لعنه من الإمام المهـدي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فقـد ورد في كتـاب الغيبـة في ذكر المـذمومين الـذين ادّعوا البابيـة (قال أبو علي بن همام:كان أحمـد بن هلال من أصـحاب أبي محمـد(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فأجمعت الشـيعة على وكالـة محمد بن عثمان (رضـي الله عنه) بنص الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حياته، ولما مضـى الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قالت الشـيعة الجماعة له:ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان، وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم لم أسـمعه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه، يعني عثمان بن سـعيد، فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسـر عليه، فقالوا:قد سـمعهُ غيرك، فقال:أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرئوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح، بلعنه، وبالبراءة

منه في جملـة من لُعن).ولم يتحمل كثير من الأصـحاب هـذا الخبر في حق ابن هلال لما ذكرنا من منزلته عندهم وأنكروا ما ورد في مذمّته (فحملوا القـاسم بن العلاـء على أن يُراجع في أمره فخرج إليه توقيع طويـل جـاء فيه (ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا (رحمه الله) وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه)(1).

## أهمية حسن الخاتمة:

فهذا وأمثاله كثير ممن كان له ظاهر تمتد إليه الأعناق، لكن قدمه زلّت ولم يتب ولم يصـلح خطأه وأصرّ عليه فكان من الملعونين لذا ورد في الحـديث النبوي الشـريف (لاـعليكم أن تُعجبوا بأحـدٍ حتى تنظروا بمـا يُختمُ له، فإنّ العاملَ يعمل زماناً من عمره أو بُرهـة من دهره بعملٍ صالحٍ لو مات عليه دخل الجنة، ثمّ يتحوّل فيعمل عملاً سيئاً)(2) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(إنّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثمّ يختم له بعمل أهل النار)(3).

ولأهميّـة حسن الخاتمـة فقـد أشـير إليها كثيراً في الآيات الكريمـة والأحاديث الشـريفة، وتكرّر طلبها في الأدعية المباركة، وأجاب القرآن الكريم باختصار عن



---

1- هذه النصوص نقلها من مصادرها: السيد الخوئي (قدس سره) في معجم رجال الحديث: 2/ 367- 370.

2- منتخب ميزان الحكمة: 206 عن كنز العمّال: 545، 589.

3- السابق.

كيفيـة ضـمان الفوز بحسن الخاتمة في قوله تعالى {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (القصص:83) وبتفصيل أكثر قال تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً} (الإسراء:19).

## متطلبات الفوز بالآخرة:

فالفوز بالآخرة يتطلب بحسب الآية الشريفة:

1-إرادة جديّة وقصد حقيقي لنيل رضوان الله تبارك وتعالى وليس مجرد لقلقة لسان كما وصفهم الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (الناس عبيد الدُنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم يحيطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الديانون)(1)، وأن تكون إرادته مبنية على قصد الوصول إلى الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى وليس طاعة لغيره أو لأي هدفٍ آخر سواه.

2-السـعي الجاد الدؤوب بما يصـلح الآخرة ويضـمن الفوز فيها، فقوله تعالى (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) يتضمن عدة خصائص لهذا السعي منها كونه حثيثـاً ودؤوبـاً فقـد قيل في معنى السـعي أنّه ((المشـي السـريع ويسـتعمل للجـد في الأمر)، (وأكثر ما يُسـتعمل السـعي في الأفعال المحمودة)) ولتأكيد ذلك فقد أضافت الآية السـعي إلى الآخرة أي أن يكون السعي مناسباً للآخرة بكل ما يعني ذلك، لتختصر كل ما تطلبه الآخرة من نوع السـعي ومقداره وخصوصـياته، قال السـيّد صاحب الميزان ((والمعنى وسعى وجدّ للآخرة السعي الذي يختص بها ويُستفاد منه أنّ



---

1- ميزان الحكمة- الريشهري: 2/ 907

سعيه لهـا يجب أن يكـون سـعياً يليـق بهـا ويحقّ لهـا كـأن يكون يبـذل كمـال الجهـدِ في حسن العمـلِ وأخـذه من عقـلِ قطعي أو حجة شرعية))(1).3-أن يقترن ذلك بالإيمان بالله تعالى وبرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأنّه شرط القبول ونيل الجزاء لأنّ باب الله الذي لا يُؤتى إلاّ منه {وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} (البقرة:189) وأن يتعزز الإيمـان بالمعرفـة بالله تعالى وإخلاص النيـة له سـبحانه، وهـذا الإيمان والمعرفة لابد أن تكون لها حقيقة، فيعتقد أن هذا كله لطفٌ من الله تعالى وأنّه لا يسـتقل بشـيء عن ربّه، وأن يكون خائفاً مشفقاً إذا نظر إلى العمل من زاويته الشخصـية، فإذا قُبل عمله بفضل الله ورحمته وهـذا ما أكـدته الآيـة اللاحقة {كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً} (الإسراء:20) ونحو ذلك من المعاني.

## ما يؤمنك من سوء العاقبة:

وقـد بيّنت الروايات الشـريفة بعض مظاهر هـذه المعرفة وهذه الأعمال الصالحة:عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(إذا أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبـة فـاعلم أن ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فبإمهال الله وإنظاره إياك وحلمه وعفوه عنك).(2) ومن كلام الإمـام الصـادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لبعض الناس (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتّى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه أن تبـذل نعمائه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كلّ من وجدته يذكر منّا أو



---

1- الميزان في تفسير القرآن: 13/ 65.

2- بحار الأنوار: 70/ 392 ح60.

ينتحل مودّتنا).(1) عن الإمـام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائـج اخوانكم والإحسان إليهم ما قـدرتم وإلاّ لـم يُقبل منكم عمـل، حتّوا على اخوانكم وارحموهم تُلحقوا بنا)(2).فمثل هؤلاء يكون سـعيهم مشـكوراً، وقد أطلق لفظ الشكر ليكون لا حدود له لأنّ صفات الله تبارك وتعالى لا حدود لها، ومن أسمائه الشكور.

## لا بد أن يقترن الدعاء بالسعي:

وشـدّدت الآيـة على أن الجزاء لا يتخلف عن السـعي بل يكون نتيجـة حتميـة له، بعكس من يطلبون الدُنيا الذين ذكرتهم الآية السابقة على هـذه، قال تعالى {مَّن كَانَ يُرِيـدُ الْعَاجِلَـةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْـلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً} (الإسـراء:18) فلا يتحقق له ما يريد بل ما يريده الله تبارك وتعالى، وليس لكل أحدٍ بل لمن يشاء الله تعالى أن يعطيه.

وبهذا المعنى الذي شـرحناه لسعي الآخرة لابد أن نفهم معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلابد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يُسعى له سعيه.

وهكذا كل قضـية في حياتنا يُراد تحقيقها فلابد أن يسعى لها سعيها المناسب لها كمن يريد أن يصبح طبيباً أو مهندساً فلابد أن يبذل الجهد المطلوب كماً



---

1- عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): 2/ 4 ح8 .

2- بحار الأنوار، 75/ 379.

ونوعاً ويسير وفق الآليات التي توصله إلى هدفه، ولا ينال كل ذلك إلاّ بلطف الله تعالى وتوفيقه ومدده.

ص: 30

## القبس /84: سورة الإسراء: 23

### اشارة

{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

### موضوع القبس:بر الوالدين

الآيات الكريمة والروايات الشريفة الواردة في وجوب بر الوالدين والاحسان اليهما وحرمة عقوقهما كثيرة جدا قال تعالى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الإسراء:23) {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}(لقمان:14-15) {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} (الأحقاف:15) {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (البقرة:83) .

### اما الروايات فكثيرة جدا نذكر منها:

ما روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لما سُئل عن حق الوالدين على ولدهما قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) باختصار (هما جنتك ونارك) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (رضى الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد) وعن امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(برُّ الوالدين اكبر فريضة)(1).

هذا معنى واضح ومعروف ولا يحتاج الى بيان وتفصيل وكل الذي علينا هو



---

1- راجع هذه الروايات وكثير غيرها في ميزان الحكمة . 9/ 567.

التنفيذ والالتزام بكل حب ومودة ورحمة وصبر وسعة الصدر.

## أبوا هذه الأمّة:

اما ما اريـد ان اشـير اليه فهو مصداق آخر للوالدين تنطبق عليهما هذه الآيات والروايات بل هي فيهما آكد وأشد، وتبينهُ الرواية التالية، روى الشـيخ الصدوق بسـنده عن انس ابن مالك قال:(كنت عند علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في الشـهر الذي أصـيب فيه وهو شـهر رمضان فـدعا ابنه الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ثم قال:يا أبا محمـد اعل المنبر فاحمد الله كثيرا، وأثن عليه، واذكر جدك رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بـأحسن الـذكر، وقل:لعن الله ولـدا عق أبويه، لعن الله ولـدا عق أبويه، لعن الله ولـدا عق أبويه، لعن الله عبـدا أبق من مواليه، لعن الله غنما ضلت عن الراعي(1) وانزل. فلمـا فرغ من خطبته ونزل اجتمع النـاس إليه فقـالوا:يـا ابن أمير المؤمنين وابن بنت رسول الله نبئنا {الجواب} فقال:الجواب على أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فقال أمير المؤمنين:إني كنت مع النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في صلاة صلاها فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمنى فاجتذبها فضـمها إلى صدره ضـما شديدا ثم قال لي:يا علي، قلت:لبيك يا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، قال:أنا وأنت أبوا هـذه الأمـة، فلعن الله من عقنا، قل:آمين، قلت:آمين. ثم قال:أنا وأنت موليا هذه الأمة فلعن الله من أبق عنا، قل:آمين، قلت:آمين، ثم قال:أنا وأنت راعيا هذه الأمة فلعن الله من ضل عنا، قل:آمين، قال أمير المؤمنين



---

1- في روايـة اخرى ان الفقرة الثالثـة (لعن الله من ظلم أجيره) وذكر (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في معناها (الا واني وانت اجيرا هذه الامة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه)، أنظر: مستدرك سفينة البحار- الشيخ النمازي: 9/ 264

(عَلَيْهِ السَّلاَمُ):وسمعت قائلين يقولان معي:" آمين " فقلت:يا رسول الله ومن القائلان معي " آمين "؟ قال:جبرئيل وميكائيل (عَلَيْهِ السَّلاَمُ))(1).وورد في تفسير فرات بن ابراهيم بسنده عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسير قوله تعالى {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان:14) قال (رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وعلي ابن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)) .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} قال:(فالوالدان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وامير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ))، وورد عن جابر عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسير قوله تعالى {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} (البلد:3) انه امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، وما ولد من الائمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وورد في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} (الأحقاف:15) هما رسول الله وعلي بن ابي طالب (صلوات الله عليهما).

ويشرح في تفسير العسكري معنى ابوتهما (صلوات الله عليهما) قال (ولقد قال الله تعالى {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) افضل والديكم واحقهما بشكركم محمد وعلي، وقال علي ابن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) سمعت رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول انا وعلي بن ابي طالب ابوا هذه الامة، ولحقُّنا عليهم اعظم من حق والديهم فانا ننقذهم ان اطاعونا من النار الى دار القرار ونلحقهم من



---

1- معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: 118/ح1.

العبودية بخيار الأحرار)(1).

## في معنى الأب:

قال الراغب في المفردات (الاب):الوالد ويُسّمى كل من كان سببا في ايجاد شيء او صلاحه او ظهوره اباً ولذلك يسمى النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ابا المؤمنين، قال الله تعالى{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}(الأحزاب:6) روي انه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال لعلي (انا وانت ابوا هذه الامة)(2).

## حياتان ووجودان:

فالإنسان له حياتان ووجودان:الاولى:حياة ووجود بدني مادي في هذه الحياة الدنيا به يأكل ويشرب ويتحرك ويتزوج مما يشارك فيه الحيوانات وينتهي بالموت، واصله من الوالدين النسبيين الاب والام مما اوجب لهما الحقوق المعروفة للوالدين.

الثانية:حياة ووجود معنوي به يتكامل ويسمو ويرتقي وهو الموجب للفوز في الحياة الابدية وقوامه الايمان بالله تعالى وبما جاءت به رسُلُه، وهذه هي الحياة الحقيقية للانسان {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} (العنكبوت:64)، وقد وصف الله تعالى في آيات كثيرة من القران الكريم الايمان بالحياة والكفر بالموت {وَلَا



---

1- هذه الروايات في بحار الانوار : 36/ 6-9 في باب عنوان (ان الوالدين رسول الله واامير المؤمنين (صلوات الله عليهما) وتوجد روايات اخرى في باب بعنوان (تأويل الوالدين والولد والارحام وذوي القربى بهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)) في بحار الانوار :23/ 257.

2- المفردات للراغب، مادة (اب).

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} (آل عمران:169) وضرب امثلة عديدة للمؤمن والكافر بالأرض الميتة فأحييناها بماء الايمان والمعارف الالهية.

## الابوة المعنوية:

والنبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وامير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هما اصل هذه الحياة المعنوية ووجودنا فيها ولولاهما لكنّا امواتاً {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} (الأعراف:43) فهما ابوا هذه الامة في حياتها المعنوية ولانها الحياة الاهم والاسمى كان حقهما (صلوات الله عليهما) اكبر من الوالدين النسبيين.

ولعل مما يدل عليه من القران الكريم لرفع الاستغراب قوله تعالى {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} (الزخرف:22) فقد حُمِل على العلماء (اي علماءنا الذين ربونا بالعلم بدلالة قوله تعالى {إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} (الأحزاب:67) وقيل في قوله تعالى {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} انه عنى الاب الذي ولده والمعلم الذي علمه)(1).

بل يمكن القول انهما ابوا هذه الامة حتى بالمعنى الاول، لانهما العلة الغائية للموجودات خلق الكون لأجلهم وبهم يرزقون وبهم تستمر الحياة

((ولولاهم لساخت الارض باهلها)) وبهم يسبب الله الاسباب.



---

1- المفردات للراغب، مادة (اب).

## لنكن أبناء بارّين:

والى الان نكون قد عرفنا جانبا من الحديث الذي له اتجاهان لان الابوّة من المعاني المتضايفة كما يعبر اهل المنطق والاصول اي النسبية ذات الاتجاهين، فلا تتحقق الابوّة الا بالبنوّة، لذا علينا ان نلتفت الى هذا التشريف العظيم الذي منَّ الله تعالى به علينا اذ جعلنا ابناءاً لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وعلي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الذي يعرف قيمته مثل الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حين يقول (ولايتي لعلي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أحب إلي من ولادتي منه، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل)(1).

## لنقرأ الآيات برؤية جديدة:

وحينئذٍ نقرأ الآيات الكريمة بهذه الرؤية الجديدة {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} وتقدم ان حقهما (صلوات الله عليهما) اعظم من حق الوالدين الذي عرفنا عظمته، عن الامام الحسن السبط (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (محمد وعلي ابوا هذه الامة فطوبى لمن كان بحقهما عارفا ولهما في كل احواله مطيعا يجعله الله من افضل سكان جنانه ويسعده بكراماته ورضوانه) وعن الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من عرف حق ابويه الافضلين محمد وعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) واطاعهما حق الطاعة قيل له تبحبح في اي الجنان شئت)(2).



---

1- البحار: ج 39: ص 299.

2- بحار الانوار : 36/ 10 عن تفسير العسكري :330.

## في خصائص البنوة:

وعلينا ان نكون ابناءا بارين مطيعين، نقل في المناقب عن القاضي ابي بكر احمد ابن كامل قوله (يعني ان حق علي على كل مسلم ان لا يعصيه ابدا)(1).

واذا لم تتحقق شروط البنوة فان النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وامير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يتبرءان منه وينفيان انتسابه اليهما، وتصور العار الذي يلحق من يتبرأ منه ابواه وينفيان نسبته اليهما، عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(اما يكره احدكم ان ينفى عن ابيه وامه الذين ولداه قالوا بلى، قال فليجتهد ان لا ينفى عن ابيه وامه الذين هما ابواه افضل من ابوي نفسه)(2).

حُكي ان ذئباً نزى على انثى غزال فحملت منه وولدت مولودا اختلف فيه هل هو ذئب ام غزال ليُطبَّق الحكم الشرعي على كل منهما، وتقول الحكاية ان القاضي حكم بان يقدم امامه نوعان من الطعام احدهما من الرياحين والمسك والاخر من الجيف ولحوم الميتة، فان تناول الاول فهو غزال وان تناول الثاني فهو ذئب(3).

ومحل الشاهد ان بنوّة الانسان لأحد تعرف من خلال المنهج الذي يسير عليه ويرتضيه لنفسه فان كان صالحا كان ابنا لرسول الله وامير المؤمنين (صلوت الله عليهما) وان كان فاسدا منحرفا فهو ابن لمعاوية ويزيد ونظرائهما.



---

1- بحار الانوار 36/ 11 عن مناقب آل ابي طالب : 3/ 126.

2- بحار الانوار : 36/ 10 عن تفسير العسكري :330.

3- (غضوا ابصاركم ترون العجائب): 89 عن كتاب سلسلة اصول الدين للمرحوم دستغيب: 2/ 109.

في الحـديث الشـريف عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(فإن الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وادّى الأمانة وحسُن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسـرُّني ذلك ويدخل عليَّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر ، واذا كان على غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر)(1).فالإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ينسـبك فعلاً اليه والى ابائه الطاهرين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وتحمل لقبه اذا تحليت بهذه الصفات.

وفي القرآن الكريم قول ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} (إبراهيم:36) فمن سار على نهجه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) واتبعه كان منه وليس فقط ينتسب اليه وبهـذا اسـتحق سـلمان الفارسـي هـذا اللقب في الحـديث النبوي المشـهور (سـلمان منا اهل البيت)(2) وبـالعكس فان الانتساب البدني لا قيمة له اذا لم يكن مقترناً بالطاعة والاتباع، كما حكى القرآن الكريم في ابن النبي نوح (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} (هود:46).

نسـأل الله تعـالى ان يجعلنـا اهلاً للتشـرف بالبنّوة لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وامير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وأن نؤدي حقوق هـذا الانتساب بفضله وكرمه.



---

1- وسائل الشيعة : كتاب الحج، ابواب احكام العشرة، باب 1 ح2.
2- رواه الحاكم في المستدرك (3/ 598) ، والطبراني (6/ 261).

## القبس /85: سورة الإسراء: 36

### اشارة

{وَلَا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ ۚ}

### موضوع القبس: لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين

قال الله تبارك وتعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمعَ وَٱلبَصَرَ وَٱلفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسُولا } (الإسراء:36)

ولا ـ تقف: أي لا ـ تتبع، من القفو وهو الاتباع كقولك اقتفيت أثره، والفرق ان الاتباع يطلق على كل افراده سواء كان اختياريا او باكراه، اما الاقتفاء فيختص بالاتباع الاختياري، فالآية تؤسس قاعدة رصينة في التلقّي والأخذ من قنوات ومصادر المعلومات الخارجية والداخلية وهي الاذن والعين والتأملات الذهنية فلابد أن يكون ذلك مستنداً الى العلم الذي يشمل المعلومات المتيقنة المأخوذة عن حس ومشاهدة، أو عن مصادر معتبرة عند العقلاء التي لا يُعبأ باحتمال الخطأ فيها كإخبار الثقة او التواتر.

وهذه القاعدة القرآنية يجب تفعيلها في كل نواحي الحياة، فلا يرتب أثراً على ما يسمعه او يجده مكتوباً أو ينقدح في ذهنه الا اذا وجد دليلاً علمياً عليه سواء كان في الاعتقاد او السلوك او العلاقات مع الآخرين ولا ينشر شيئاً الا بعد ان يتأكد من مصداقيته وجواز نشره، في الحديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (ان

من حقيقـة الايمان ان لا يجوز منطقك علمك)(1) وفي حديث عن الامام موسـى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ليس لك ان تتكلم بما شـئت، لاـن الله عز وجل يقول: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}(2), وفي الحـديث النبوي (ايّما رجل اشاع على رجل مسـلم بكلمة وهو منها برئ كان حقا على الله ان يـذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال)(3)، فمن لا يأخذ بهذه القاعدة يعرّض نفسه للمسؤولية، ويكون اول شاهـد عليه حواسه {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.مثلاً شـخص يدّعي عنواناً معيناً كالسـفاره عن الامام المهدي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) او الوكالة والنيابة عنه لا يجوز تصديقه لانها دعوى غير مسـتندة الى العلم، او شـخص يتبنى مشروعاً معيناً كإصلاح الأوضاع العامـة وتغيير أحوال الناس نحو الاحسن لا يجوز تصـديقه واتباعه حتى يتحقق من مصـداقيته، او ما ينشـر على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من اتهامات لهـذا وذاك بالفساد والصـفقات المشـبوهة لا يجوز تصـديقه وترويجه الا بعد التحقق من صدقه او ما تتداوله الناس من أخبار عن هـذا وذاك أنه فعل كذا وقال كذا لا يجوز تبنّيه وترتيب الأثر عليه لان مثل هذه المصادر لا يوثق بها وقد تصل الحالة الى الاقتتال والقتل لمجرد انه قيل له ان هـذا الرجل او تلك المرأة فعلا كـذا وكـذا قبل أن يتبيّن حقيقـة الأمر وقـد يكون المخبر مبغضاً او حاسـداً او له غرض شخصي فيعمل على القاء الفتنه بهذه الاخبار وقد يكون متوهماً او مشتبهاً كما وقع في الكثير من الحالات.



---

1- وسائل الشيعة: 18/ 16،17.

2- علل الشرائع- الشيخ الصدوق: 2/ 605/ح80

3- الدر المنثور : 4/ 182 اخرجه الحاكم وصحّحه عن ابي ذر عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ).

والشـرع المقـدس يرى الصـدق في هـذه الأمور قبيحاً فكيف بالكـذب لان فيها تـدميراً للعلاقات الاجتماعية وتخريباً للأسـر، في الحديث النبوي الشـريف (ثلاث يقبـح فيهن الصدق:النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل عن الخبر)(1) وفي حديث اخر عن الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من روى على أخيه المؤمن رواية يبتغي بها شـينه وهدّم مروته اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ثم لا يقبله الشيطان)(2) بغض النظر عن كونه صادقـاً او كاذبـاً فيمـا روى ، وبالمقابل مـدح الله تعالى قوماً فقال تعالى {فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (الزمر:17-18) فلا يكتفي احدهم بصدق الخبر حتى يّرتب عليه الأثر أو ينقله للغير، لان الصـدق قـد يكون ضاراً، بل يتثبت من حسن القول مضافاً الى صدقه.وهذه القاعدة القرآنية مما تدعو له الفطرة السـليمة أيضاً فانها تتحرى دائما الوصول الى الواقع والحقيقـة فلا تعطي قيمة للمظنون او المشـكوك، ويحاول العقلاء أن يصـلوا الى الحقيقـة وتحصـيل العلم بأنفسـهم إن أمكن والا فيرجعون الى من له العلم بـذلك كمراجعـة المريض للطبيب، أو رجوع عامـة الناس الى المجتهد العارف بتحصـيل الاحكام الشـرعية وهكذا، ولا يعذرون من يتبنى عقيدة او قولاً او فعلاً من دون ذلك، وقد لبّى الله تعالى حاجة هذه الفطرة لدى الانسان فاعطاه السمع والبصر والعقل لتكون له أدوات يصل بها الى الحقيقة، وسيسأل الانسان عن



---

1- ميزان الحكمة: 5/ 44.

2- الكافي 2/ 358.

كيفية توظيفه واستعماله هذه الأدوات فهل ان ما اصغى له بسمعه كان من مصدره الموثوق، وهل ان ما نسبه الى عينه حينما يقول رأيت كان قد رآه فعلاً وواضحاً لديها فعلاً؟ وهل ان ما فكّر فيه ورتبّه بذهنه كان مستنداً الى معلومات ومقدمات صحيحة؟ وهذه الحواس ستشهد عليه وتجيب بصدق {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَ هِدَ عَلَيْهِمْ سَ مْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (فصلت:20) فعلى الانسان ان يحذر ويتجنب اتباع ما ليس له به علم والا فانه لا يكون معذورا.والمطلوب دائماً هو التثبت من المعلومة قبل البناء عليها، ومن صدق الدعوى قبل التسليم بها، ولو بنى المجتمع حياته على هذه القاعدة القرآنية لأغلق أبواب الكثير من المفاسد والاضرار والخرافات والانحرافات وبهذا المنهج نحافظ على العلاقات الاجتماعية وسمعة الأشخاص وكرامتهم ومنع حصول حالة الإحباط واليأس لدى العاملين بسبب ما يشيعه الحاسدون، وبذلك نستطيع تقويم عقائد وأفكار المجتمع من الانحراف والضلال.

فعلى مستوى الاعتقاد:لم يقدّم الملحدون دليلاً علمياً على نفي وجود الخالق تبارك وتعالى وغاية ما يدّعون انه لم يثبت عندهم وجوده سبحانه فكيف يريدون بجهلهم هذا نفي الأدلة القاطعة التي يقيمها المؤمنون بالله تعالى.

والذين ينكرون المعاد ليس عندهم دليل وانما هو مجرد استبعاد وقصور اذهانهم عن تصور الحالة بينما المؤمن عنده الحجج الدامغة على هذه الحقيقة، وكذلك الذين ينكرون الوحي والنبوة، قال تعالى {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} (يونس:36).

وهكذا اذن المطلوب التثبت وتحصيل العلم في كل شؤون الحياة فلا يجوز تصديق خبر بناءاً على الاشاعات أو الاقدام على فعل لمجرد ان النـاس فعلته مما سـمّوه بالسـلوك الجمعي وجعلوا له مثلاً يستشـهدون به وهو (حشـر مع الناس عيـد) كزيارة بعض القبور او القيام ببعض الاعمال التي لم يثبت أصـلها، او اتباع شـخص لمجرد ادعاءات ما لم يتحقق من توفر الشـروط المطلوبـة. فهذه كلها مخالفة لهذه القاعدة القرآنيـة، وقد روي في كتب العامة عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (بئس مطية الرجل:زعموا)(1) وقوله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب)(2) وفي حديث آخر (إن افرى الفرى ان يُريَ الرجل عينيه ما لم تريا)(3).

وفي حواراتنـا لابـد ان نسـتند في مواقفنا الى الحجـة والبرهان لا الظنون والقياسات ولا في احكامنا على الآخرين بالظن والتهمـة والاشـتباه والاحتمال، لذا لا يبني القاضي على كلام المدعّي في قضية معنية وإنما يطالبه بالبينة ويسمح للمدعى عليه بالدفاع عن نفسه وهكذا.

وبذلك يكون الإسـلام قد سـبق الحضارات المعاصرة في تأسيس منهج التثبت العلمي الشامل لكل شيء، حتى العلوم التجريبية والطبيعية حيث لا مكان للافتراضات الوهمية والاحتمالات غير الممحصة والاحكام الساذجة، ويجعل ذلك مسؤولية شـرعية وأمانة يُسئل عنها وهذه الرقابة الداخلية مما تميز المنهج



---

1- سنن ابي داوود: ص256.

2- وسائل الشيعة: 18/ 38.

3- صحيح البخاري: 3/ 1565/ح7043, ط. مؤسسة المختار.

الإلهي عن المادي، ويستشعرها المؤمن حتى لو خلى عن أي رقيب حتى على مستوى المشاعر والخلجات القلبية، فلا يقول كلمة بلسانه ولا ينقل حادثة عن أحد ، ولا يحكم بعقله حكماً ولا يعقد أمراً الا وقد استند فيه الى المعلومة الصحيحة. فلنتعاون جميعاً لنشر هذه الثقافة القرآنية والمنهج القرآني الكفيل بتحقيق السعادة والصلاح ولتجنب التداعيات الاجتماعية الخطيرة، والا فان الثقة ستنعدم بالجميع ويختلط الصالح والفاسد وتضيع الحقيقة ونفقد كل أمل بالصلاح والإصلاح.

ص: 44

## القبس /86: سورة الإسراء: 70

### اشارة

{وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ}

### موضوع القبس:الكرامة المطلقة للإنسان

### الكرامة الحقيقية:

تأكيد بعد تأكيد:باللام و(قد) وصيغة التفعيل(1) لهذه الحقيقة الإلهية وهي الكرامة المطلقة للإنسان التي تعتبر من أهم الأصول التي تستند إليها القوانين والتشريعات، هذا التكريم الذي أعلنه الله تعالى لكل الخلائق في الحفل الذي أقيم عند بدء الخلقة الإنسانية للتعريف بخليفة الله تعالى في الأرض حيث أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم، قد حسد إبليسُ الإنسان على هذا التكريم الإلهي، قال تعالى حكاية عن إبليس: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً} (الإسراء:62) أراد اللعين سلب تلك الكرامة منهم بصدهم عن سبيل الحق، فالكرامة الحقيقية هي الوعي بالحق وهو



---

1- ثم أردفها بقوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}، قال السيد الطباطبائي: (وهذا أيضاً أحد مظاهر التكريم فمثل الإنسان في هذا التكريم الإلهي مثل من يدعى إلى الضيافة وهي تكريم ثم يرسل إليه مركوباً يركبه للحضور لها، وهو تكريم ثم يقدم له أنواع الأغذية والأطعمة الطيبة اللذيذة وهو تكريم) (الميزان في تفسير القرآن: 15/ 154).

الطريق الذي يسلك به الإنسان إلى الله تعالى.

## الكرامة تتفاوت بحسب التقوى:

وتتفاوت درجات الكرامة عند الله تعالى بحسب درجة التقوى التي يتحلى بها الانسان قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات:13) وإن الإنسان يزداد كرامة عند الله تعالى حتى يفوق مقامه الملائكة، ففي الحديث عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ما شيء أكرم على الله من ابن آدم)(1)، وفي الرواية عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن، لأن الملائكة خدام المؤمنين)(2).

وتشرح رواية عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تعليل ذلك في ما نقله عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن الله عز وجل ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم)(3).

## من مظاهر التكريم الإلهي:

لقد تجلى هذا التكريم في كل أبعاد الإنسان، فجعل جسده {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:4) وفي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (صورة



---

1- ميزان الحكمة: 1/ 333.

2- ميزان الحكمة: 1/ 333.

3- علل الشرائع- الشيخ الصدوق: 1/ 4

الآدميين وهي أكرم الصور على الله)(1).وزوده بالعقل وأدوات العلم والمعرفة ليبني الحياة ويعمّرها ويطوّرها وينمّيها بينما المخلوقات الأخرى في دورة حياة ثابتة وسلوك واحد من لدن خلقها إلى قيام يوم الساعة.

وجعل ما في الأرض في خدمة الإنسان {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} (الجاثية:13) وعلّمه كيف يتمتع بالطيبات ويتفنن في صنعها والاستفادة منها.

ومن مظاهر تكريم الإنسان إعطاؤه حرية الاختيار والإرادة والقابلية على التكامل والسمو والارتقاء ثم بعث إليه الأنبياء والرسل وأنزل معهم الشرائع الإلهية ليدلّوه على طريق السعادة والفلاح وليستطيع التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال، ولتحفظ كرامة الإنسان وحقوقه.

## تكريم الإنسان معيار سلامة المناهج والأديان:

ان أوضح دليل على صحة وسلامة المنهج المتبع - أيً منهج حتى الاديان- هو سعيه لتحقيق كرامة الانسان وحفظ حقوقه بحيث يجد الانسان انسانيته فيه، اما مناهج التكفير والعنف والاستغلال والاستعباد والاستئثار بثروات الشعوب وقهرها فهي خارجة عن الدين وان تسمّت باسمه وادّعت الدفاع عنه، لان الاديان السماوية شُرّعت لحفظ انسانية الانسان وكرامته وسعادته.

روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(يقول الله تعالى:لم أخلقك لأربح



---

1- نور الثقلين: 3/ 387، ح 308 عن تفسير القمي.

عليك، إنما خلقتك لتربح علي، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء)(1).

## ما الذي أراده القرآن الكريم من حقيقة التكريم؟

إن بيان القرآن لهذه الحقيقة يستهدف:

1-تأسيس هذه القاعدة الأساسية التي تبنى عليها كل القوانين والأنظمة والتشريعات حتى الدين نفسه وهي كرامة الإنسان التي هي فوق كل شيء وأي قانون أو تشريع يتعارض مع هذا الأصل أو يتنافى مع حقوق الإنسان التي وهبها الله تعالى لبني آدم يجب أن يُلغى أو يُعدَّل.

2-إلفات نظر الإنسان إلى عظمة مكانته عند الله تعالى وما حباه الله من نعم ليحترم نفسه ويحافظ على طهارتها ونقائها ولا يبيعها بثمن بخس، في الحديث الشريف:من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته(2).

فالتفات الإنسان إلى هذه الحقيقة يعطيه الثقة بنفسه ويعينه على الثبات والاستقامة، وهذه من الوسائل المهمة في التربية الصالحة.

3-لا تخلو الآية من عتاب للإنسان على تمرده وعصيانه على ربه الذي أكرمه بأفضل ما يكون الإكرام وأغدق عليه من النعم حتى صار الإنسان يقيِّم ربَّه على أساس ما يعطيه من نعم مادية {فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} (الفجر:15-16).



---

1- ميزان الحكمة: 1/ 334.

2- نهج البلاغة: ج4، ح449.

## ليس للإنسان أن يتنازل عن كرامته:

وهذه الكرامة للإنسان هبة من الله تعالى وإن الإنسان قد يحافظ عليها ويعطيها حقها، وقد يستخف بها ويتنازل عنها قال تعالى: {وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ} (الحج:18) لذا على الإنسان أن يحفظ كرامة نفسه وأن يحفظ كرامة الآخرين بنفس الدرجة، فليس له أن يتنازل عن كرامته أو أن يذل نفسه أو أن يتخلى عن حقوق الإنسانية، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن الله تبارك وتعالى فوَّض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه) فقيل له:وكيف يذل نفسه؟ قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(يتعرض لما لا يطيق) وفي رواية أخرى (يدخل فيما يُعتذر منه)(1).

ويوصينا الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) دائماً بحفظ كرامتنا وعزتنا والترفع عن فعل ما ينافيهما وإن بدا محبباً إلى النفس وموافقاً للشهوات، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى رغبة، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)(2).

## لكي تكون الحياة كريمة:

إن كرامة الإنسان تتوفر بتمتعه بحقوقه في الحياة من الحرية والأمن والاستقرار والرفاء وسائر مستلزمات الحياة الكريمة، لكنها تكتمل بأمرين:

1-الالتزام بالدين، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن الله قد أكرمكم بدينه



---

1- ميزان الحكمة: 3/ 364.

2- تحف العقول: 77.

وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه)(1)، وروي عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله:(كل عز لا يؤيده دين مذلّة).2-طاعة الإمامة الحقة والقيادة المنصوبة من الله تعالى بالحجة الشرعية، فقد جاء في الآية التالية لآية التكريم هذه قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (الإسراء:71) وهذا شاهد على ارتباط كرامة الإنسان وانسانيته باتباع الإمامة الحقة(2).

وقد وصف الله تعالى عباده المكرمين بقوله: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} (الأنبياء:26-27) فهذه هي صفاتهم:متنزهون عن اتباع الشهوات التي تذل الإنسان وتهينه، دائبون في طاعة الله تعالى فاستحقوا منه المقام الرفيع {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} (يس:26-27).



---

1- ميزان الحكمة: 1/ 334.

2- روى الكليني بسنده عن علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن ابيه الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) انه اجاب رجلا سأله فقال : (أما قولك: أخبرني عن الناس، فنحن الناس ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الذي أفاض بالناس. وأما قولك: أشباه الناس، فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا (وهم اشباهنا ل خ) ولذلك قال إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (فمن تبعني فإنه مني) ، وأما قولك: النسناس، فهم السواد الاعظم واشار بيده إلى جماعة الناس ثم قال:(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) الكافي : ج8، ص244، ح339.

## معنى الاعتداء على الآخرين:

إن اعتداء الإنسان على كرامة أخيه الإنسان وسلبه حقوقه تبدأ من حين تخلي الإنسان عن كرامته الشخصية واتباعه لشهواته ورضاه بعبودية نفسه الأمّارة بالسوء أو طاعة غيره من العبيد، عن الإمام الهادي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه)(1) وعن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(أذلّ الناس من أهان الناس)(2).

## دولة الإنسان ودولة القانون:

إن كرامة الناس كل الناس لا تتحقق إلا في دولة الإنسان وذلك عندما يسود القانون الكريم على يد القائد الكريم وحينما تقام الدولة الكريمة التي تحفظ للجميع حقوقهم وتقوم على أساس المبادئ الإنسانية العليا، فدولة الإنسان أسمى وأرقى من دولة القانون؛ عندما لا يكون القانون صالحا وانما يشرّعه الناس لرعاية مصالحهم الضيقة ووفق رؤيتهم المحدودة والقاصرة ، ولا يكون صالحا الا اذا حفظ كرامة الانسان، لذا كان من الدعاء الذي علّمه الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لشيعته:(اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة)(3)، أما الدولة التي لا تقوم على أسس الكرامة الإنسانية فإنها تؤول إلى تسلط الأشرار والفاسدين واستعباد الناس ومصادرة حرياتهم والاستئثار بأموالهم وحرمانهم من مظاهر الحياة الكريمة.



---

1- تحف العقول- ابن شعبة الحراني: 483

2- معاني الأخبار- الشيخ الصدوق: 196

3- مفاتيح الجنان: 235

## الزهراء (س) تضحي من أجل دولة الإنسان النبوية:

أيها المؤمنون الموالون:

لقد كان موقف السيدة الزهراء (س) نوعياً بكل معنى الكلمة وفي مرحلة استثنائية من حياة الأمة التي قُدّر لها أن تقود البشرية جميعاً، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (آل عمران:110)، تلك المرحلة التي شكّلت فيصلاً بين خط الكرامة الإنسانية التي وهبها الله تعالى للبشر، وخط الذلة والهوان والفساد والانحراف الذي يزداد انحطاطاً كلما مرّ الزمن.

فوقفت السيدة الزهراء (س) موقفها العظيم في ذلك الجو الرهيب لتحفظ كرامة الإنسان والأمة التي جاء بها النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من الله تعالى، لكن الفترة التي قضاها النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في أمته لم تكن كافية لتطهير مجموع الأمة من رواسب الجاهلية وأغلالها وعصبياتها، وإن الأصنام المنصوبة في الكعبة وإن حُطّمت يوم الفتح، إلا أن الأصنام المصنوعة في النفس الأمارة بالسوء من التعصب والجهل والانانية كانت موجودة ومحرّكة لسلوكيات الكثيرين، فكان القيام الفاطمي معزّزاً بعناصر التأثير والصدمة(1) التي أحدثتها السيدة الزهراء (س) مكمِلاً لرسالة الإصلاح والتطهير التي أداها النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من أجل تحرير الإنسان وتكريمه.

ومن أهم معالم الحياة الإنسانية الكريمة التي دافعت عنها الزهراء (س)



---

1- كهيئة خروجها من المسجد وانينها وبكائها وفصاحتها في الخطاب وحججها البالغة (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

استمرار دولة الإنسان الكريمة التي أسسها النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وضَمِن ديمومتها بالقيادة الربانية التي اختارها الله تعالى المتمثلة بأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ومما قالت (سلام الله عليها) في وصف الحياة الإنسانية الكريمة في ظل هذه القيادة الإلهية وما تنعم به الأمة من بركات فيما لو انصاعوا للحق ووّلوا امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(ولسار بهم سيراً سُجحاً -أي سهلاً- لا يكلم حشاشه ولا يكل سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً، روياً، تطفح ضفّتاه، ولا يترنق - أي يتكدر- جانباه ولأصدرهم بطاناً -أي شبعانين- ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ولا يحظى منها بنائل غير ري الناهل وشبعة الكافل)(1) أي لا يبقي لنفسه شيئاً دون الأمة كالأب الرحيم الكافل للعائلة فانه يكتفي بالقوت ويعطي ما عنده لعائلته.وبالمقابل حذرتهم من تداعيات الابتعاد عن منهج الكرامة الإلهية ومما قالت (س):(وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود:28)) فهذه هي نتائج عدم إقامة الدولة الكريمة:فتن وصراعات وهدر للأموال وفوضى عارمة واستبداد الحكام وفقدان للأمن والاستقرار والنظام.



---

1- الاحتجاج: 1/ 139.

**كلامهم صدق:**

أيها الأحبة:

لاحظوا المصداقية الكاملة لكلام السيدة الزهراء (س) فيما نعيشه اليوم وفي كل يوم، وهكذا يجب أن نتدبر في كلماتها (س) ونستفيد منها في معالجة مشاكلنا ووضع البرامج الصحيحة لحياتنا، أما الاقتصار على ذكر مظلومية الزهراء (س) دون التعرض لبيان أهداف حركتها فإنه تقصير في حقها وفي فهم رسالتها المقدسة، فقد كانت (سلام الله عليها) مكمّلة لدور أبيها وبعلها (صلوات الله عليهما) في مشروع بناء دولة الإنسان التي تكون فيها القيمة العليا للإنسان وتُراعى حقوقه في كل القوانين والأنظمة والدساتير، ولا مجال فيها للاستبداد والاستئثار والتخلف والجهل، وتتحقق نصرتنا للسيدة الزهراء (س) بمقدار مساهمتنا في إنجاح مشروعها العظيم.

وإننا إذ نعيش هذه المرحلة الاستثنائية في حياة البشرية وهذه الانطلاقة المباركة للعقيدة التي آمنا بها بعد قرون طويلة من القهر والاضطهاد والحصار يكون المطلوب من السائرين على نهج الزهراء (س) القيام بالعمل النوعي الذي أرست دعائمه، وعلينا أن نصنع لأنفسنا هذا الدور كالأفذاذ في كل جيل، وليس ننتظر أن يصنعه غيرنا ثم يكلّفنا به، ولا يُنال ذلك الا بتوفيق الله الكريم.

ص: 54

## القبس /87: سورة الإسراء: 79

### اشارة

{وَمِنَ ٱلَّيلِ فَتَهَجَّد بِهِ نَافِلَة لَّكَ عَسَى أَن يَبعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحمُودا}

### موضوع القبس:صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة

{وَمِنَ اللَّيْلِ} يمكن أن تكون (من) بيانية باعتبار أن النهار من شأنه النشاط والحركة فلا يحتاج العمل فيه إلى بيان، اما الليل فهو للنوم والسكون فالعمل فيه يحتاج إلى توجيه، ويمكن أن تكون تبعيضية أي بعض الليل، والتبعيض يمكن أن يستفاد من الباء، وقد حدّدت آيات المزمِّل هذا البعض، قال تعالى {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}(المزمِّل:2-4).

{فَتَهَجَّدْ} الهجود هو النوم ومعنى تهجّد أي قاوم النوم وتكلَّف اليقظة كالتمريض الذي يعني معالجة المرض.

{نَافِلَةً لَّكَ} تكليفاً زائداً خاصاً بك يا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حيث ان قيام الليل واجب عليه خاصة {عَسَى} ترجّي وأمل بأن يبلغ به المقام المحمود مقام الرسالة العظمى والولاية الكبرى وإظهار دينه على الدين كله والشفاعة الواسعة المقبولة وتفضيله على الخلق أجمعين، ولا داعي للاقتصار على أحدها في تفسير المقام المحمود.

واستعمال صيغة الترجي وليس صيغة الجزم والقطع مع ان إرادة الله تعالى اذا تعلقت بأمر فإنما {أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (يس:82) لعل ذلك لإحداث المزيد من الرغبة والعزم، كالذي ورد في تفسير قوله تعالى {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه:44) لحث النبي موسى وأخيه هارون (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) على بذل الوسع في دعوة فرعون إلى الايمان والتوحيد، والله تعالى يعلم أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى.وقد بيّنت آيات سورة المزمِّل المتقدمة ان قيام الليل يهيئ لإداء الأدوار الكبيرة وتحمّل المسؤوليات العظيمة، وتتمتها {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً} {المزمل:5-6) سنوحي اليك قولاً يحمل مسؤولية عظيمة وفيه معاني عميقة وثقيل في آثاره ونتائجه وثقيل في ما يسببه لمن يصدع به من مصاعب ومشاق {فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف:2) فلكي تتحمل هذه الاثقال استعن بناشئة الليل أي العبادة التي تنشئها في الليل لأنها أصعب مراساً وأشد على النفس وأثبت لها وأصدق في الأداء وادعى لحضور القلب لانقطاع الشواغل، في الرواية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (يعني بقوله: وَأَقْوَمُ قِيلاً:قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عزوجل ولا يريد به غيره)(1) لذا فإنها تكون أحسن انتاجاً وتحقيقاً للغرض وهذه حقيقة ثابتة فان العظماء الذين بلغوا ما بلغوا من مقامات كانت علامتهم المميزة مواظبتهم على قيام الليل، فاذا كنتم من الساعين لنيل تلك المقامات --



---

1- وسائل الشيعة: 5 /269 أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب 39 ح 5.

وحريٌّ بكل عاقل أن يكون كـذلك -- فأعـدوا أنفسـكم بهذه الرياضة المعنوية لتساعدكم على نيل الخصال الكريمة.لذا تضـمنت الوصايا التي قـدمّها رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وهو يُعِّده لخلافته العظمى تركيزاً على صـلاة الليل، عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (كان في وصـية النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أن قال:يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال:اللهم أعنه.... -- إلى ان قال -- وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الليل)(1) .

ومن سـننه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه كان يفرّق صـلاة الليل على اجزائه ليكون في جميع وقته مستأنساً بلقاء ربه ففي التهذيب بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال (سـمعت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يقول:وذكر صلاة النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:كان يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله، فإذا استيقظ جلس، ثم قلب بصـره في السماء ثم تلا الآيات من آل عمران " إن في خلق السماوات والأرض "(2) الآيات، ثم يستن ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءة ركوعه وسجوده على قدر ركوعه، يركع حتى يقال:متى يرفع رأسه ويسـجد حتى يقال:متى يرفع رأسه، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله، ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران، ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد ويصلي الأربع ركعات كما ركع قبل



---

1- رواها في وسائل الشيعة عن المشايخ الثقات في اصولهم في عدة مواضع منها في كتاب الصلاة، أبواب بقية الصلوات المندوبة، باب 39 ح 1.

2- الآية 190 من السورة وما بعدها.

ذلك، ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ ويجلس ويتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين، ثم يخرج إلى الصلاة)(1) ورواه الكليني في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن ابي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وفيه (ثم قال:لقد كان لكم في رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أسوة حسنة، قلت:متى كان يقوم؟ قال:بعد ثلث الليل)(2) وفيه قال:في حديث آخر:(بعد نصف الليل)(3).وقد اختصر الحديث المروي عن الامام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هذه الأهمية بقوله (الوصول إلى الله تعالى سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل)(4) أي ان الاعمال الصالحة الموصلة إلى الله تعالى لابد ان تُتوِّج بصلاة الليل لتوصل إلى الهدف.

وهذا الحديث له دلالات عديدة منها أن الوصول إلى الله تعالى ممكن ولكنه يحتاج إلى حركة وسلوك وقطع مسافة بما يتطلب ذلك من جهد وجهاد، وأنّه يحتاج إلى مركب ليقطع به الطريق وهي صلاة الليل، وأن يترك كل شيء مما يتعلق به قلبه وراءه كالمسافر الذي يهجر وطنه وداره وأهله وولده وماله



---

1- وسائل الشيعة: 3/ 195 ح 1، التهذيب: 2/ 334 ح 1377

2- وهذا مما يُستدل به على أن وقت صلاة الليل يبدأ قبل منتصف الليل بعد مضي ثلثه، ومما يدلّ على ذلك آيات سورة المزمَّل الماضية فان فيها (نصفه، أو زد عليه) والزيادة على النصف تعني القيام قبل منتصف الليل.

3- وسائل الشيعة: 3/ 196 ح 2، الكافي: 3/ 445 ح 13

4- بحار الأنوار: 78/ 379، مسند الامام العسكري:379، الأنوار البهية للمحدث القمي:161.

ومنصبه وجاهه وعلاقاته وسائر تعلقاته.ويفيد الحديث أيضاً ان الصلوات المفروضة قد لا يكفي اتخاذها وسيلة لقطع هذا السفر ولابد من امتطاء صلاة الليل معها ليتحقق الوصول إلى الهدف بإذن الله تعالى وإن الصلاة بشكل عام هي أداة هذا العروج إلى الله تعالى ولعل هذه المعاني منشأ الكلمة المشهورة على ألسنة العلماء (الصلاة معراج المؤمن)(1) فهذه كلها معانٍ يمكن استفادتها بوضوح من الحديث الشريف.

ومن تشبيه صلاة الليل وعموم الطاعات بالسفر إلى الله تعالى نعرف انها تتعرض لنفس ما يتعرض له المسافر من مخاطر:كالتيه والمزالق والوحوش المفترسة وقطاع الطرق وفقدان الزاد، وهذه المخاطر بوجودها المناسب موجودة لمن يريد السفر إلى الله تبارك وتعالى، فقطاع الطرق هم المتلبسون بالدين الذين يضللون الناس بشبهاتهم، وفقدان الزاد بضياع العمر من دون تقديم عمل صالح (آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر)(2) والوحوش المفترسة هم الذين



---

1- قال الشيخ محمد الريشهري في كتاب: الصلاة في الكتاب والسنة - الصفحة 15: لا يخفى أن عبارة " الصلاة معراج المؤمن " مع كثرة تداولها على الألسن بحيث صارت من أشهر الكلمات في وصف الصلاة، لم نجد لها مصدرا مسندا إلى (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أو الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)، وهذا بعد أن استقصينا كلمات أصحاب الكتب في شتى العلوم ووجدناها في أكثر من ثلاثين موضعا من عباراتهم، علما أن كتب السنة كلها وكتب الشيعة جلها إلا ما دون في القرون الأخيرة - كروضة المتقين وبحار الأنوار للمجلسيين أعلى الله مقامهما والرواشح السماوية للمحقق الداماد قدس سره - خالية منها، فالظاهر أنها ليست برواية بل من عبارات علمائنا المتأخرين رضوان الله تعالى عليهم.

2- نهج البلاغة - خطب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ج 4 - الصفحة 17

يزينون الـدنيا والشـهوات ويوقعون الانسان في المعاصـي ليطفئوا في قلبه نور الايمان، ويتحقق التيه بعـدم أخـذ العلم والمعروفة من أصـله ومعـدنه، قال أمير المؤمنين(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (فان العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعداً من حاجته)(1) .هذا كله من ناحية الارتقاء في سـلم الكمال، اما من ناحية الثواب فقد ورد في صلاة الليل فضل عظيم ففي الرواية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسـير قوله تعالى {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السـجدة:17) قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ما من عمل حسن يعمله العبد وله ثواب في القرآن الا صـلاة الليل، فان الله تعالى لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده، فقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السـجدة:16 17)(2).

وفي حديث قدسي (ان العبد ليقوم في الليل فيميل به النعاس يميناً وشمالاً وقد وقع ذقنه على صدره فيأمر الله تعالى أبواب السماء فتفتح ثم يقول للملائكـة:انظروا إلى عبدي ما يصـيبه في التقرب إليَّ بما لم افترض عليه راجياً مني لثلاث خصال:ذنباً أغفره له، أو توبة أجدّدها له، أو رزقاً أزيده فيه، اشهدوا



---

1- بحار الأنوار: 1/ 209 ح 11 عن نهج البلاغة.

2- بحار الأنوار: 87/ 140

ملائكتي أني قد جمعتهن له)(1).وروى الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (قال النبي (صلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لجبرئيل (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):عظني:فقال:يا محمد عش ما شئت فانك ميت، وأحبب ما شئت فانك مفارقه، واعمل ما شئت فانك ملاقيه، واعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّه عن اعراض الناس)(2).

وتوجد روايات كثيرة في الآثار الدينية والدنيوية المباركة التي تترتب على أداء صلاة الليل بفضل الله تعالى وكرمه.

ولأن صلاة الليل بهذه المنزلة العظيمة فانها لا تنال الا بتوفيق خاص ويحرم منها من ليس أهلاً لها، في الرواية (جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إني قد حرمت الصلاة بالليل فقال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنت رجل قيدّتك ذنوبك)(3).

وفي الحديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (إني لأمقُتُ الرجل قد قرأ القرن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم، حتى اذا كان الصبح قام يبادر بالصلاة)(4).

هذا الحب لله تعالى وامتطاء الليل للوصول إليه سبحانه هو الذي أراده الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حينما طلب من ابن سعد تأجيل المعركة من عصر يوم التاسع إلى صبيحة يوم عاشوراء، فقد روي ان عمر بن سعد زحف بجيشه نحو معسكر الامام



---

1- وسائل الشيعة: 5/ 272

2- وسائل الشيعة: 5/ 269

3- وسائل الشيعة: 5/ 279

4- بحار الأنوار:83/ 127 ح 79

الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عصر يوم التاسع فأرسل أخاه العباس (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ليستعلم خبرهم فقصدهم في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فقال لهم العباس (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ما بدا لكم، وما تريدون؟ قالوا:جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم! قال:فلا تعجلوا حتى ارجع إلى أبي عبدالله فاعرض عليه ما ذكرتم) ثم أتى إلى الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بما عرض عليه عمر بن سعد قال (ارجع اليهم:فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار) فبات الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تلك الليلة راكعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرعاً، وبات أصحابه ولهم دوي كدويّ النحل)(1). جزاهم الله تعالى عن الإسلام وأهله خير جزاء المحسنين.



---

1- تاريخ الطبري: 5/ 416، الكامل في التاريخ: 2/ 558، البداية والنهاية: 8/ 176 الارشاد: 2/ 89، مناقب ابن شهراشوب: 4/ 98 مقتل الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) للخوارزمي: 1/ 251 وغيرها.

## القبس /88: سورة الكهف: 13

### اشارة

{إِنَّهُم فِتيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِم}

### موضوع القبس:الفتّوة زينة الانسان

تعرف المعاجم اللغوية الفتوة بانها مرحلة عمرية للإنسان فالفتى هو الشاب الطري الحدث وتطلق على غير الانسان كالفتي من الابل، لكن المحققين في أصول المفردات يرون ان الشـباب غير كافٍ وحـده لإطلاق عنوان الفتوة مالم تجتمع فيه خصال الكمال لـذا قيل (ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال)(1) مع شيء من الطراوة والجدة لذا فإن الشاب اعم من الفتى.

وتوسع المعنى -- وهو الأمر البالغ التّام -- من الأشـياء الخارجية كالفتى من الانسان والحيوان إلى المعنوية، فاشتقت الفتوى إذ ان الإفتاء هو النظر التام البالغ الذي يبيّن المشـكل من الأمور ويقوّي الحق فيها لذا فالنظر أعم من الفتوى، ولا تختص بالأحكام الشـرعية، قال تعالى {قُضِـيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} (يوسف:41) وقال تعالى {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ} (يوسف:46) وقال تعالى {قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} (النمل:32).



---

1- التهذيب: 14/ 327 بواسطة كتاب التحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي:9/ 28

وعلى هـذا فليس كل شاب فتى ما لـم يكن تاماً بالغاً ومـدبراً عاقلاً، وقـد توسّع هـذا المعنى في القرآن الكريم وروايات المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَـمُ) لكـل من اتصف بهـذه الخصـال الكريمـة وان لم يكن في عمر الشـباب قال تعالى : {قَالُوا سَـمِعْنَا فَتًى يَـذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} (الأنبياء:60) وقـال تعـالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَـى لِفَتَاهُ} (الكهف:60)، ووصـف النسـاء العفيفـات - وإن كن مملوكـات - بالفتيـات للتبجيل والتوقير، قـال تعـالى {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَـاتِكُمْ عَلَى الْبِغَـاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنـاً} (النور:33) وقـال تعـالى {فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُم مِّن فَتَيَـاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} (النساء:25).وبهذا اللحاظ أطلق القرآن الكريم على أصحاب الكهف وصف الفتية وهم لم يكونوا شباباً، ففي رواية الكافي عن الامـام الصـادق (عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) انه قال (لرجل عنـده:ما الفتى عنـدكم؟ فقال له:الشاب، فقال:لا، الفتى المؤمن، إن أصـحاب الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله عز وجل فتية بإيمانهم)(1) .

ورويت بطريق آخر عن سـليمان بن جعفر الهمـداني عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال فيها (أما علمت أن أصـحاب الكهف كانوا كهولاً فسـمّاهم الله فتية بإيمانهم، يا سليمان من آمن بالله واتقى فهو الفتى)(2) .

وقـد أظهر أصـحاب الكهف من الفتوة ما أبهر العقول واسـتحق الثناء من الله تبارك وتعالى فقد آمنوا بالله تعالى ووحّدوه ونبذوا ما كان عليه قومهم من الشرك



---

1- الكافي: 8/ 395 ح 595

2- تفسير العياشي: 2/ 32 ح 11 ، تفسير البرهان: 6/ 118

والوثنيـة وعبـادة الطاغوت وهو امبراطور الرومان ولم ترعبهم قوته وبطشه وقسوته ولم يخلـدوا إلى الـدنيا التي تزيّنت لهم وكانوا فيها مترفين ومن عليـة القوم، لكنهم آثروا ما عند الله تعالى ووقفوا بشـجاعة في وجه الطاغوت وعرّفوه بحقيقته التافهة واعانهم الله تعالى بالتأييد والثبات وقوة القلب ورسوخ الايمـان {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً} (الكهف:13-4) وهؤلاء الفتية نعم الأسوة لنا، ولم يكونوا من الأنبياء ولا من المعصومين حتى يقال اننا لا نستطيع بلوغ درجتهم وتكرار نسختهم.وقد اعطى المعصومون (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) قيمة كبيرة للفتوة، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قـال (ما تزيّن الانسان بزينـةٍ أجمل من الفتوة)(1) وبيّنوا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عـدة خصال كريمة يتضـمنها معنى الفتوة كبـذل المعروف للناس وكف الأذى عنهم واجتناب القبائح ونحو ذلك فعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (بعد المرء عن الدنيّة فتّوة)(2) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (الفتوة نائل -- أي عطاء -- مبذول، وأذى مكفوف)(3) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (نظام الفتوة -- أي تمامها وكمالها -- احتمال عثرات الاخوان وحسن تعهد الجيران)(4) .



---

1- غرر الحكم/9659

2- غرر الحكم: 4425

3- غرر الحكم: 2170

4- غرر الحكم: 9999

وقـد تجلّت الفتوة بأكمـل خصالها في رسول الله (صَـلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، روى الشـيخ الصـدوق بسـنده عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن أبيه عن جده (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (ان اعرابياً أتى رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فخرج اليه في ثوب مزيَّن ، فقال:يا محمد لقد خرجت اليَّ كأنك فتى، فقال: (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نعم يا اعرابي أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى، فقال:يا محمد أما الفتى فنعم، وكيف ابن الفتى وأخو الفتى، فقال:اما سمعت الله عز وجل يقول {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} فانا ابن إبراهيم، واما أخو الفتى فان منادياً نادى في السـماء يوم أحـد:لا سـيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي، فعلي أخي وأنا أخوه)(1) .وصحّح الأئمة أيضاً المعاني المنحرفـة لهـذه الصـفة النبيلـة حيث اطلقت على المكر والخـداع و(البلطجة) في مصـطلح اليوم، روي ان أصـحاب الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) تـذاكروا عنـده الفتّوة (فقـال (عَلَيْهِ السَّلاَـمُ):ومـا الفتوة؟ لعلكم تظنّون أنها بالفسوق والفجور! كلاّ، إنما الفتّوة طعام موضوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفافٌ معروف، واذى مكفوف، واما تلك فشطارة وفسق)(2) أي دهاء وخبث.

ولعله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يشـير إلى الظاهرة الاجتماعية التي انتشـرت يومئذٍ بمن يسـمّونهم (الشـطّار والعيّارين) وكانوا يؤذون الناس ويستهزئون بهم ويسـلبونهم أموالهم وممتلكاتهم بعنوان الشطارة وهكذا في كل زمان يوجد من يُلبس الأفعال والمظاهر السيئة عناوين جميلة لتسويقها داخل المجتمع.



---

1- معاني الاخبار:119

2- أمالي الصدوق:443، المجلس82، الحديث 3، أمالي الطوسي، معاني الأخبار: 119، بحار الأنوار:79/ 300 ح 9.

وحكى في مجمع البحرين أن هـذا الكلام منه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (رد على ما كان يزعمه سـفيان الثوري وغيره من فقهاء العامة من أن التوبة بعد التفتي والصـبوة ابلغ وأحسن في باب التزّهـد، من الزهادة والكف عن المعصـية رأساً في بـدء الأمر)(1) وهذه من شـطحاتهم المنكرة.وقد التصقت الفتوة بالشباب لأن عندهم الأهلية للتحلي بمعانيها الكريمة فأنهم يتصفون بطراوة الفطرة وطهارة النفس وبالشجاعة والقوة والاقدام والتضحية والنخوة والحيوية والمسارعة إلى الخير، حيث يقوم شبابنا اليوم بخدمات إنسانية وفعاليات ميدانية وتعبوية تجسّد معنى الفتوّة .

فلإحياء هذه الصـفة الكريمة وبيان معانيها السامية وترسيخها في الفرد والمجتمع وتنقيتها من سوء الاستعمال وتشجيع الفعاليات الميدانية والتعبوية التي يطلق عليها احياناً عنوان (الكشافة) ولبيان سيرة فتيان الإسلام ندعو الى تعيين يوم للفتوة، وقد اخترت له يوم الخامس عشر من شوال لأنه ذكرى معركة أحد وإعلان السـماء أن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هو فتى الإسـلام بلا منازع يوم نادى منادي السماء (لا فتى الا علي).

فأدعوكم إلى إقامة هذه الفعالية وضـعوا برامج لاكتساب المجتمع خصوصاً الشـباب هذه الخصـلة الكريمة لنساهم في ارتقاء الأمة وازدهار البلد، وليقم العلماء والكتّاب والمفكّرون بالتعريف بتفاصيلها والله معكم وهو ناصركم إن شاء الله.



---

1- مجمع البحرين: المجلد الأول: 201 مادة فتا

## القبس /89 : سورة الكهف:16

### اشارة

{فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلكَهفِ}

### موضوع القبس:اللجوء إلى الكهف المعنوي

قال الله تبارك وتعالى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً} (الكهف:16).

تقع الآية الشريفة في سياق قصة أصحاب الكهف التي حكاها القرآن الكريم في سورة باسم الكهف، وقد كان الإيواء إلى الكهف واتخاذه مأوى وسكناً بعيداً عن قومهم ليمارسوا شعائر الله تعالى هو القرار الذي ألهمه الله تعالى الفتية أصحاب الكهف الذين ربط الله تعالى على قلوبهم وزادهم هدى، فاتفقوا عليه بعد أن دعوا قومهم إلى الإيمان والتوحيد ونبذ الشركاء والآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى سواء كانت هذه الآلهة حجرية أو بشرية وهم أباطرة الرومان، لكن دعوتهم لم تؤثر في المجتمع الوثني يومئذٍ، وانكشف أمرهم للسلطة فلاحقتهم للقضاء عليهم وعلى دعوتهم، فرأوا أن القرار الذي يجب اتخاذه هو الفرار من قومهم واعتزالهم والابتعاد عنهم ونبذ ما يعبدون من دون الله تعالى واللجوء إلى كهف يقع في جبل خارج المدينة ليحافظوا على أنفسهم وعلى

عقيـدتهم وأخلاقهم، وكلّفهم هذا الإيواء التنازل عن مواقعهم في السـلطة والحياة المترفة التي كانوا عليها ومفارقة الأهل والأحبة والأوطان، وافترشوا التراب في كهف ناءٍ مظلم موحش مخيف، لكنهم كانوا يرون في ذلك الكهف الضّيّق الحياة الرحيبـة الهنيئة لأن رحمة الله تظلله ويملأه رضوان الله تعالى، أما الحياة المترفـة في ظل السـلطة البعيدة عن الله تعالى فإنها نكدة ضـيِّقة وكأنهم يكررون بذلك ما قاله الصديق يوسف (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حين رفض الاسـتجابة لإغراءات امرأة العزيز مفضـلاً حياة السـجن الخشنة: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} (يوسف:33)، وهـذا سـمو روحي لا يـدركه إلا من أحبّ الله تعالى من أعمـاقه وتعلق به مخلصاً.فهـذا الإـجراء قبل أن يكون مادياً - ان صـح التعبير- لحفظ حياتهم وأنفسـهم من القتل، فإنه إجراء معنوي لحفظ عقيدتهم وطهارة قلوبهم ونفوسـهم من التلوث ببيئة الكفر والشرك والنفاق وما تحويه من فتن وضلالات وانحراف وفساد، قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً} (الأنفال:25)، وقـد كـان خوفهم وقلقهم على دينهم أكثر من خوفهم على أرواحهم وقـد حكى القرآن الكريم تصـريحهم بـذلك قال تعالى: {إِنَّهُمْ} أي قومهم الوثنيون {إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً} (الكهف:20).

ولعل الفتية أصـحاب الكهف كان نظرهم إلى الاعتزال المعنوي أكثر من المادي، وهذا واضح من النتيجة التي توخّوها فإنهم لم يقولوا نلجأ إلى الكهف لنأمن على أنفسنا ونحفظ حياتنا من القتل – وان كان هذا حقا مشروعاً لهم –

وإنما قالوا: {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً} فقدموا الهدف المعنوي وهو تحصيل الرحمة الإلهية الخاصة التي كانوا يطلبونها من الله تعالى ويصفونها في دعائهم باللدنية، ويسألونه تعالى أن يمنَّ بها عليهم {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} (الكهف:10)، ثم إيجاد حل ينفعهم ويرفق بهم ويجعل لهم فرجاً ومخرجاً من المأزق الشديد الذي هم فيه، ويخلصهم من الأعداء المتربصين بهم.والمرفق هو ما يرتفق به أي ينتفع، ولا يخفى ما في لفظ {يَنْشُرْ} من الإشارة إلى أن الرحمة الإلهية بكل درجاتها موجودة (لا بخل في ساحته) إلا أنها مطويّة وتُستحق بشروط، فنشرت عليهم حين أووا إلى الكهف، فلم يعد الكهف ضيّقاً خشناً بل أصبح واسعاً رفيقاً ليّناً برحمة الله تعالى، وهذه قيمة عظيمة للإيمان يُحرَم منها الماديون والملحدون. وقد كان الفتية على ثقة مطلقة بأن الله تعالى سيعتني بأمرهم وسيلطف بهم بحيث ذكروا النتيجة مسلّمة {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته} ولم يقولوا عسى ولعل، وهذا ما حصل فعلاً وأبقى الله تعالى ذكرهم خالداً بخلود كتاب الله تعالى لهداية الناس، وهذه سُنّة إلهية أمر الله تعالى بها كما في سورة الكافرون وغيرها، حاصلها إنَّ شرط نزول الرحمة والنصر الإلهيين يتحقق بمباينة أهل المعاصي واجتنابهم، وقد أدركها أصحاب الكهف بلطف الله وعنايته.

ومن لطائف القرآن الكريم أنه لا يذكر الحوادث ويسرد القصص بشكل

يجعـل آيـاته مختصـة بالواقعـة التي نزلت فيهـا، وإنما يصوغها بنحو مثمر مبارك ينتفع بها الخلق جميعاً إلى قيام يوم الساعـة ولو توقفنا عند خصوصـيات كل حادثة يحكيها القران الكريم، فأنها سـتكون حكاية عن كيفية خاصة بأهل الكهف.فالآية الكريمة تعطينا درساً في الرجوع إلى الله تبارك وتعالى دائماً واللجوء الى كهفه الحصـين في الأزمات والشدائد وعند اختلاط الأمور وانتشار الفتن ليشملهم برحمته الخاصة ويهيئ لهم من أمرهم رشداً، وتبيّن بأن الوسـيلة إلى النجاة من بيئة النفاق والفساد والضـلال والظلم والانحطاط هو باعتزالها معنوياً وتجنب التأثر بها، وليس من الضـروري الانعزال(1) عنهـا والانزواء في البيت أو أي مكان آخر لوجود ضـرورة لممارسـة الحياة الطبيعيـة من حيث طلب الرزق وسدّ الاحتياجات المتنوعة والاهم من ذلك التفقه(2) في الدين وممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وارشـاد الضـال والـدعوة الى الله تتبـارك وتعـالى ورسوله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) واهـل بيته (صـلوات الله عليهم اجمعين) وكلها تقتضـي الاختلاـط بالناس والتعامل معهم، فالمهم إذن هو الاعتزال المعنوي، وهكـذا كان أصـحاب الكهف فقـد روى الشـيخ الكليني (قـده) في الكافي بسنده عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف إن كانوا



---

1- راجع خطاب المرحلة (سلامة الدين في اعتزال الناس) في موسوعة خطاب المرحلة:8/ 289 ونظائرها من الخطابات.

2- كما روى الكليني بسـند معتبر انّ رجلا قال للإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : جعلت فـداك رجل عرف هـذا الأمر لزم بيته ولم يتعرّف إلى احد من اخوانه، قال : فقال: كيف يتفقّه هذا في دينه : الكافي ج 1 / ح9.

ليشـهدون الأعياد ويشدون الزنانير(1) فأعطـاهم اللـه أجرهم مرتين)(2).وقـد دلّتنا الأحاديث الشـريفة والأدعيـة المباركـة على مصاديق الكهف المعنوي الذي نلجأ إليه والعروة الوثقى التي نتمسك بها عند اشتداد الفتن والأزمات وانتشار الفساد والضلال والانحراف والنفاق.

أولها:الإيمان بالله تعالى وتوحيـده بإخلاص، ففي الآية الكريمة: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا} (البقرة:256)، وفي الحديث القدسـي (لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمِن من عذابي)(3)، ومن وصية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لولده الحسن (وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز)(4)، وفي الدعاء الشريف:(يا كهفي حين تعييني المذاهب)(5) و(يا كهف من لا كهف له)(6).

وثانيهـا:كهف الإسـلام والانقيـاد لأوامر الله ونواهيه والعمل الصالـح، قال تعالى: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى



---

1- جمع زنار وهو ما يشده النصارى والمجوس على اوساطهم، شعاراً لهم يعرفون به.

2- الكافي 2: 173 /ح8، تفسير العياشي : 2/ 323 ح9.

3- عيون أخبار الرضا للشـيخ الصـدوق: 1 / 144، ح2، باب 37 : ما حـدث به الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في مربعـة نيسابور وهو يريـد قصـد المأمون.

4- نهج البلاغة: 3/ 39، بشرح محمد عبده.

5- الكافي للكليني: 3/ 325، ح 17، باب: الركوع وما يقال فيه من التسبيح والدعاء فيه وإذا رفع الرأس منه.

6- بحار الأنوار: 84/ 257، عن مصباح المتهجد والبلد الأمين وغيرهما.

اللّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (لقمان:22).وثالثها:القرآن الكريم وولايـة أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) كما في حديث الثقلين المشـهور:(إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما:كتاب الله وعترتي أهل بيتي)(1) وما رواه أبو الصلت عن أبي الحسن الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (يقول الله عز وجل ولاية علي بن أبي طالب حصـني فمن دخل حصـني أمن من عذابي)(2)، وعن أبي جعفر الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في صـفة أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) قال:(وهم الرحمة الموصولة والكهف الحصين للمؤمنين)(3).

حكى السـيد الشـهيد الصـدر الثاني (قدس سـره) في إحدى رسائله التي جمعتها وطبعتها في كتاب قناديل العارفين قال:((إنني يوماً فتحت القرآن الكريم لأجـد فيه منزلـتي أمـام الله سـبحانه أو قـل -بـالتعبير الـدنيوي- (رأي) الله فيّ فخرجت هـذه الآيـة من سورة الكهف: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُـدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً}. إن كل هـذه الآيـة مفهومة لي بحسب حـالي يومئـذٍ إلاـ قصـة (الكهف) الـذي يكون من المطلوب أن آوي إليه، أي كهف هـذا؟ وذهبت إلى الحرم العلوي على ساكنها السـلام عسـى أن ينفتـح لي هناك عن هـذا المعنى، وبـدأت بزيارة (أمين الله) حتى وصـلت إلى قوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(اللهم فاجعل نفسـي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك.. إلى قوله:يا كريم) وقد حصل لي في تلك اللحظة (حدس) قوي بأن الكهف الذي



---

1- الكافي: 2/ 415، ح 1، باب: أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أو ضالاً.

2- عيون أخبار الرضا: 2/ 146، باب 38.

3- بحار الأنوار: 26/ 255 عن تفسير فرات بن إبراهيم.

يجب أن أدخله هو هـذا، أي أن تصـبح نفسـي على هـذه الأوصاف وتجانب ما سواها، وقد عرضت ذلك على (مولاي) – يقصد به اسـتاذه (قدس سـره) في السير والسلوك الى الله تعالى – فأقرّه وقال بصحته))(1).وهؤلاء هم من وصـفهم الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في مناجاة العارفين بقوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (فهم الى اوكار الأفكار يأوون)(2) أي انهم يأوون الى كهف المعرفة بالله تعالى.

أيها الاحبّة يا أنصار السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (س).

هـذا اللجوء إلى الكهف المعنوي لتحصـيل الرحمـة الإلهيـة الخاصـة وحل الأزمات والنجاة من الفتن والضـلالات هو ما أرادته الصديقة الطاهرة فاطمـة الزهراء (س) من الأمة ودعتهم إليه حينما قالت لهم في خطبتها: (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشـرك، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة)(3).

وقالت في اللجوء إلى ولايـة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (وتالله لو مالوا عن المحجّـة اللايحـة، وزالوا عن قبول الحجـة الواضـحة، لردّهم إليهـا، وحملهم عليهـا ولسـار بهم سـيراً سُـجُحاً لا يكلم حشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً، روياً، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري



---

1- قناديل العارفين: 188، ط. مؤسسة الرافد.

2- الصحيفة السجادية : 275 مناجاة العارفين.

3- الاحتجاج للطبرسي: 1/ 128.

الناهل، وشبعة الكافل)(1).وكثرت وصايا أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) في وصف أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بأنهم (الكهف الحصين) الذي يجب على الأمة اللجوء إليه:

1- ففي الصلوات الشعبانية للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(اللهم صلّ على محمد وآل محمد الكهف الحصين وغياث المضطر المسكين وملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين)(2).

2- وفي زيارة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (السلام عليك أيها الكهف الحصين)(3).

وأوصوا (سلام الله عليهم) من بعدهم بالإيواء إلى كهف العلماء العاملين المخلصين، روى في كتاب الاحتجاج عن الإمام الهادي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله:(لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمنا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شِباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكّانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل)(4) وهم موجودون في كل جيل بحسب إخبار الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال



---

1- المصدر السابق: 139.

2- بحار الأنوار: 84/ 67.

3- بحار الأنوار: 97/ 324.

4- بحار الأنوار: 2/ 6، ح12 عن الاحتجاج: 18، وتفسير العسكري: 344، ح225.

المبطلين وتأويل الجاهلين)(1), وعن الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال في حديث (لأن المؤمنين الفقهاء حصون المسلمين كحصن سور المدينة لها)(2).والمجاهدون المدافعون عن مقدسات المسلمين وحرماتهم وأوطانهم هم حصون الإسلام، فقد خاطبت السيدة الزهراء (س) الأنصارَ بقولها:(معشر البقية وأعضاد الملة وحصون الإسلام)(3).

وورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وصيته للأشتر حين ولاه حكم مصر:(فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم)(4).

والمسجد كهف معنوي عظيم على من يأوي إليه ويتردد عليه، روى الامام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن جده رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) انه قال (من أدمن الاختلاف الى المساجد أصاب أحدى الثمان:أخاً مستفاداً في الله عزوجل أو علماً مستطرفاً أو كلمة تدلّه على هدى أو أخرى تصرفه عن الردى أو رحمة منتظرة أو ترك الذنب حياءاً أو خشيةً)(5).

والإخوة في الإيمان يلجأ إليهم المؤمن، ورد عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله:(اعلم يرحمك الله أن حق الإخوان واجب فرض لازم) إلى أن قال:(وهم



---

1- بصائر الدرجات: 1/ 30، ب 6، ح7.

2- الكافي: 1/ 38، كتاب فضل العلم، باب فقد العلماء، ح3، ورواه في قرب الإسناد.

3- بحار الأنوار: 29/ 243.

4- نهج البلاغة: 3/ 90.

5- الخصال للشيخ الصدوق: 207 أبواب الثمانية.

حصونكم التي تلجأون إليها في الشدائد في الدنيا والآخرة، لا تماطوهم (أي لا تفخروا عليهم ويحتمل أن يكون لا تمايطوهم أي لا تباعدوهم:هامش البحار) ولا تخالفوهم ولا تغتابوهم ولا تدعوا نصرتهم ولا معاونتهم، وابذلوا النفوس والأموال دونهم، والإقبال على الله عز وجل بالدعاء لهم، ومواساتهم ومساواتهم في كل ما يجوز فيه المساواة والمواساة ونصرتهم ظالمين ومظلومين بالدفع عنهم)(1).كما بيّن الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) مصاديق أخرى للكهف المعنوي لحثّ الأمة على التمسّك بها والإيواء إليها كالورع؛ ففي خطبة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ولا معقل أحرز من الورع)(2), والمعقل هو الحصن، فالورع أمنع الحصون وأحرزها من وساوس الشيطان وأهواء النفس.

وكذلك الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة حصون للإيمان تحفظه من سراق شياطين الإنس والجن، وكل ما تجمعه كلمة (التقوى) من أفعال وتروك.

ومنها الدعاء كما في قول الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر)(3)، ومنها الموعظة عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(الموعظة كهف لمن وعاها)(4).

ومنها عقول وقلوب المؤمنين التي تحفظ علوم ومعارف أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)



---

1- بحار الأنوار: 71/ 226.

2- الكافي: 8/ 19 وهي من كلامه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الذي خطب الناس به في المدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

3- الكافي: 2/ 471.

4- الكافي: 8/ 23. من لا يحضره الفقيه: 4/ 39.

وتكتم أسـرارها إلا عن أهلها والتلطف في نشر أمرهم قال الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وصيته لشيعته:(اقرَأ موالينا السلام، وأعْلِمْهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصـينة وصدور فقيهة وأحلام رزينة، والذي فلق الحبّة وبرأ النسـمة ما الشاتم لنا عِرضاً والناصب لنا حرباً أشدّ مؤونة من المُذيع علينا حديثنا عند من لا يحتمله)(1).احبّتي:

مـا احوجنـا اليوم وفي كـل يوم خصوصاً ونحن نعيش في أعتى ازمنـة الظلم والضـلال والاسـتبداد والقهر والحرمان ان نأوي الى كهف الله تعالى الحصـين وولاية النبي وآله الاطهار (صـلى الله عليهم اجمعين) والسير خلف العلماء العاملين المخلصين ونبذ الفرقة واتباع الاهواء والانانيات وعدم الانسـياق بالسلوك الجمعي وراء الدعوات المنكرة والمجهولة وغير المستندة الى الأسس الرصينة التي وضعها لنا أئمة اهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لكي ينشر الله تعالى علينا من لدنه رحمة ويهيئ لنا من امرنا رشدا ويهدينا الى حل الازمات وفك العقد وإصلاح ما فسد من الأمور انه نعم المولى ونعم النصير.



---

1- الاختصاص للشيخ المفيد: 258، ونقله في البحار: 1/ 89.

## القبس /90: سورة الكهف:109

### اشارة

{لَنَفِدَ ٱلبَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي}

### موضوع القبس:معاني القرآن لا تنتهي

قال تعالى {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (الكهف:109) (المداد) هو الحبر الذي يُمَّد القلم بقابلية الاستمرار على الكتابة و (النفاد) هو الفناء والانتهاء، فمعنى الآية أن البحر لو تحوّل الى مداد وصنعت أشجار الأرض كلها أقلاماً لكتابة كلمات الرب فأن البحر سيفنى قبل ان تنتهي كلمات الرب حتى لو أمددنا هذا البحر ببحر آخر.

والظاهر ان (البحر) و(المثل) هنا أُريد به اسم الجنس وليس الوحدة فالمثال شامل لكل البحار والمحيطات بقرينة قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (لقمان:27) والسبعة هنا رمز للكثرة وهذا مثال لسعة كلمات الله تعالى إذ ان محبرة صغيرة سعة 50 ميللتر تكفي لكتابة آلاف الكلمات، فكيف لو تحولّت كل البحار والمحيطات التي تغطي ثلاثة ارباع سطح الكرة الأرضية وبعمق يصل أحياناً عدة كيلومترات الى حبر، واشجار الأرض الى أقلام، إنه تصوير رهيب لسعة كلمات الله تبارك وتعالى، مع ان العدد ذكر هنا لتصوير الكثرة بحسب

فهم البشـر وليس للتحديـد.ولم تتعرض الآيتـان لـذكر الكاتب او المكتوب عليه لاطلاق الخيال في تصوره وانه حتى لو كان الكاتب الجن والانس أجمعين وكانت الواح الكتاب كل ما يمكن أن يكون كذلك.

وقد يقال ان الآية الثانية لا تصلح للقرينية، لأن الاولى ذكرت كلمات الرب والثانية كلمات الله، والربوبية صفة فعل يمكن ان تكون محدودة بمحدودية المربوب وإن كانت لا تحصـى بينما صفات الله تعالى اوسع من صفة الربوبية لانها تشمل صفاته الذاتية والفعلية فهذا وجه زيادة الابحر، ونجيب بأن هذا التفريق لا يضرّ لان صفات الله عين ذاته، ولان عدم النفاد أمر حق بغضّ النظر عن القرينة.

وقوله تعـالى {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} تعليـل لعـدم نفـاد الكلمـات، فـأنه كما لا يغلب في ذاته كـذلك لا يغلب في كلماته وحكيم لا يفوّض التدبير الى غيره.

ومن لطائف هذه الآية ورود الشجرة بصيغة المفرد والاقلام بصيغة الجمع وفيه إشارة لكثرة الأقلام المتخذة من شجرة واحدة.

والتعبير بالبحر الـدال على الجنس ليشـمل كل البحار والمحيطات وانه ذكر إمداد البحار بسـبعة أخرى لان الحبر يسـتهلك اثناء الكتابة ولم يذكر امداداً للأشجار في صنع الأقلام لأنها لا تستهلك بالكتابة.

وهنا قـد يثار سؤال بأننا لو حسـبنا رياضـياً عـدد الكلمات التي يمكن كتابتها بهذه الابحر والاقلام لوجدناها تفوق عدد احتمالات ما يمكن انتاجه من ترتيب الحروف المعروفة في اللغة حتى لو لم يوضع بإزائها معنى، فكيف نفهم الآية.

ونذكر في الجواب أكثر من وجه:

الأول:ان الكلمـة هي كل ما دّل على معنى وبيّن مراداً سواء كانت مكتوبـة أو موجوداً خارجياً أو حادثـة واقعة أو حقيقة علمية فكلمات الله هي كل ما دل على الله تبارك وتعالى، ولذا فهي لا تنتهي، كما قيل:وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد(1)

فكلمات الله تعالى هي كل احكامه وقضاياه وسـننه وآياته وليس فقط الكلمات المكتوبـة، قال تعالى {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ} (يونس:64) وقـال تعـالى {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} (البقرة:124) وقـال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ} (الأنعام:115) وقال تعالى {وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا} (التوبة:40) وغيرها بالعشرات.

وإذا كان جانب من آياته لا تُعـد ولا تحصـى (وهي نعمه) قال تعالى {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (إبراهيم:34) مع انها في نفسها قابلـة للعد والاحصاء لأنها محدودة فمن الأولى أن لا تعدّ آيات الله وكلماته، لان نفس اتخاذ الأشـجار أقلاماً والبحر مداداً وكتابة الكلمات هي كلمات جديدة وآيات حادثة، فهي سلسـلة فوق حد الاحصاء والعد فضلاً عن النفاد كما في الرواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حديث (قلت:قوله عز وجل {لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي} قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):قد أخبرك ان كلام الله عز وجل ليس له آخر



---

1- بيت من الشعر منسوب الى أبي العتاهية, أنظر: البداية والنهاية- ابن كثير: 14/ 77, ط. هجر

ولا غاية لا ينقطع أبداً(1) وإن كان ظاهر قوله تعالى {قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} انها قابلة للنفاد.وقد استعمل لفظ الكلمة بهذا المعنى في الموجودات العظيمة التي لها أوضح دلالة على الله تعالى كقوله عز وجل {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ} (النساء:171).

ووردت روايات عن الكافي ومعاني الاخبار وعلل الشرائع وغيرها في تفسير قوله تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} (البقرة:37) أنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم))(2) فهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من أتم كلمات الله تعالى الدالة عليه تبارك وتعالى.

الثاني:ان هذه الكلمات بوجودها اللفظي يمكن ان تنتهي، لكن معانيها والعلوم والمعارف المودعة فيها - حيث اللفظ كالوعاء للمعنى - لا تنتهي فتكون الآية تعبيراً عن سعة علم الله تعالى - بتقدير المضاف - وتدل على ان معاني كلمات الله تعالى لا تنتهي، ولعل الحادثة في سبب نزول الآية تدل على هذا المعنى، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره (أن اليهود سألوا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عن الروح، فقال (الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا نحن خاصة قال بل الناس عامة قالوا فكيف يجتمع هذان يا محمد تزعم إنك لم تؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتيت القرآن وأوتينا التوراة وقد قرأت (ومن يؤت



---

1- تفسير البرهان: 6/ 183 ح1.

2- تفسير البرهان: 1/ 153.

الحكمة) وهي التوراة (فقد أوتي خيرا كثيرا) فأنزل الله تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللَّهِ} يقول:علم الله أكثر من ذلك، وما أوتيتم كثير فيكم قليل عند الله)(1).وتماشياً مع هذا الجواب نقول ان الكلمات المكتوبة في القرآن محدودة ومعدودة لكن المعاني المودعة فيها لا تنفد، فقد أودع الله تعالى هذه المعاني اللامتناهية في كتابه الكريم، ففي أصول الكافي عن الامام الصادق عن ابائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في حديث قال عن القرآن (ظاهره انيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه)(2).

تصوروا أن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في علمه الذي هو باب(3) مدينة علم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علمه(4) ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب من العلم، وانه لو كُشِفَ له الغطاء ما ازداد يقينا(5) وغير ذلك



---

1- تفسير البرهان: 7/ 293 ح2 الآية 27 من سورة لقمان.

2- أصول الكافي: ج2 / كتاب فضل القرآن، باب 1 ح 2.

3- اللئالئ المصنوعة: ج 1، ص 329. ورواه الحاكم في المستدرك (ج 3، ص 126).

4- قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (علمني رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ألف باب من العلم وتشعب لي من كل باب ألف باب) تفسير الرازي 8 : 21، عند تفسير قوله {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران:33) ورواه ابن عساكر في تاريخه كما في ترجمة الإمام علي منه 2 : 485 / 1012 ، والجويني في فرائد السمطين 1 101/ 70 ، والمتقي في كنز العمال 13 : 114 / 36372 ، والحافظ المغربي في فتح الملك العلي: 488.

5- قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) كشف الغمة: ج1 ص170 في وصف زهده (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في الدنيا..

قيل له:(هل عندكم شيء من الوحي؟ قال:لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)(1)وعن إبراهيم بن العباس قال:(ما رأيت الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) سئل عن شيء قط إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول الى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن)(2).

أقول:فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) غنية بالمعاني وعميقة الفهم، وهي متجدّدة ومفتوحة لا تنتهي، وكل جيل من العلماء يأتي يبين شيئاً يسيراً منها وما يخفى عليه أكثر بكثير، ويأتي الجيل الآخر ويغترف منها شيئاً وهكذا من دون أن تنتهي تلك المعاني.

وقد يستغرب البعض كيف يكون لكلام مؤلف من هذه الحروف الثمانية والعشرين في اللغة العربية التي نتداولها يمكن أن تكون لها هذه السعة من المعاني، وهذا الاستغراب منشأه القصور والتقصير في معرفة معاني القرآن الكريم وعدم الالتفات إلى من أودعها في هذه القوالب اللفظية وقدرته وعظمته وعلمه.

واضرب لكم مثالاً قد يعرفه طلبة الحوزة العلمية أكثر من غيرهم وهي ما يعرف بقاعدة الاستصحاب التي هي من أهم الأبحاث المعمّقة في علم الأصول وكتبت فيها مجلدات ولا زال البحث فيها مستمراً والتفريعات تتكثر، واصلها



---

1- تفسير الصافي: 1/ 39 .

2- بحار الانوار: 49/ 90 ح3 عن أمالي الصدوق:758 مجلس 94 ح 1023 وعيون اخبار الرضا: 2/ 108

حـديث من ثلاـث كلمـات للمعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (لا تنقض اليقين بالشك) (1)، أي إذا كنت على يقين من حالـة معينـة ككونـك على طهارة أو أن زيـداً حيّ، فتبني على هذا اليقين بالطهارة وحياة زيد وترتّب آثاره حتى لو حصل لك شك فيها ولا تنقض حالة اليقين إلا بيقين مثله، هـذه الكلمات أصـبحت محوراً لإبحاث معمّقـة تملأ مجلدات ولازال البحث فيها مفتوحاً، فإذا كانت ثلاث كلمات في علم ظاهري تفتح هذه الآفاق الواسعة للبحث، فماذا سينفتح من علوم ومعارف إلهية من كلمات القرآن الكريم وانى للبشر استيعابها وبلوغ كنهها؟لذلك تجـد العلماء لا يتوقفون عن التـدبر في آيات القرآن الكريم واكتشاف ما يهتـدون إليه من معانيها وإيـداعها في التفاسـير، ومع ذلك لا زالت حقائقه كثيرة خافية على العلماء فضـلاً عن غيرهم، وحكي عن السيد الطباطبائي (قده) صاحب تفسير الميزان قوله اننا نحتاج في كل سنتين إلى تفسير، وقد أنهى (قده) تفسيره في عشرين عاماً فهذا يعني أن محاولات التفسير لابد أن تكون متعدّدة ومتواصلة في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال المتتالية.

إننا نشـهد في هذا العصـر نهضة قرآنية محمودة ونسأل الله تعالى ان يوسّـعها ويزيدها، لكنها غالباً تقتصـر على التجويد وتحسـين الصوت ومخـارج الحروف والنغمـات ونحوها، وهـذا شـيء جيـدٌ في نفسه لأن حليـة القرآن الصوت الحسن، ونشـجّع عليه لانه يحّبب القرآن الى النفوس ويحصل انس به لكن الاقتصار عليه والوقوف عنده من دون الانطلاق إلى فهم معاني القرآن الكريم واكتشاف أسـراره ومعرفة حدوده يكون خطوة ناقصة نحو الكمال المنشود، بل لابد أن يدفع الانس



---

1- وسائل الشيعة (آل البيت): 1/ 245/ح1

بالقرآن والتلذذ باستماعه الى حب التعرف على معارفه واسراره ومكنوناته ولتحقيق ذلك ينبغي نشر المؤسسات والمدارس والمراكز القرآنية لتقود هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى.روى السيد الحكيم (قدس سره) في كتابه حقائق الأصول حادثة تحكي جانباً مما يلطف به الله تعالى بعض عباده من سعة الفهم لمعاني القرآن الكريم، قال (قدس سره) تحت عنوان (فائدة) ألحقها ببحث استعمال اللفظ في أكثر من معنى (حدَّث بعض الاعاظم دام تأييده - أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملا فتح علي(1) (قدس سره) مع جماعة من الاعيان منهم السيد إسماعيل الصدر (قدس سره) والحاج الميرزا حسين نوري صاحب المستدرك (قدس سره) والسيد حسن الصدر (قدس سره) فتلا الآخوند (قدس سره) قوله تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} (الحجرات:7) ثم شرع في تفسير قوله تعالى فيها:حبب اليكم الايمان من الآية وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه واستغربوا من عدم انتقالهم اليه قبل بيانه لهم، فحضروا



---

1- الظاهر بملاحظة القرائن انه الشيخ المولى علي محمد النجف آبادي من اعاظم العلماء له ترجمة في كتاب (نقباء البشر: 16/ 1622)، لازم المجدد السيد الشيرازي في النجف وسامراء واختص لاحقاً بالمعقول والحكمة الإلهية وصفه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء - وهو من تلاميذه - بانه (اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان العارف الإلهي الذي كان من اكابر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في الاسفار ولكنه يتفّجر بينابيع الحكمة) (عقود حياتي:59) توفي سنة 1332 وصلى عليه السيد أحمد الكربلائي أستاذ السيد علي القاضي (رحمه الله)

عنـده في اليوم الثاني ففسـرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضـحوه أيضا وتعجبوا من عـدم انتقالهم اليه قبل بيانه، ثم حضـروا عنـده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضـروا عنده يوما ذكر لهم معنى الى ما يقرب من ثلاثين يوماً فـذكر لهم مـا يقرب من ثلاثين معنى وكلما سـمعوا منه معنى استوضـحوه، وقـد نقل الثقات لهـذا المفسـر كرامات قـدس الله روحه)(1)

.أقول:هـذا غير مسـتغرب من أمثاله (قدس سـره) فانه كان من العارفين وأهل الصـفاء والطهارة وإن من ثمرات سـلوك طريق تهذيب النفس وتطهير القلب فهم معاني متعددة لآيات القرآن الكريم والروايات الشـريفة كما افاد اسـتاذنا الشـهيد السـيد محمد الصدر (قدس سـره) في احدى رسائله التي نشرتها في كتاب (قناديل العارفين).



---

1- حقائق الأصول: 1/ 95-96.

## القبس /91: سورة مريم:16

### اشارة

{وَٱذكُر فِي ٱلكِتَبِ مَريَمَ}

### موضوع القبس:مريم الصدّيقة الطاهرة برؤية قرآنية

أمر متوجّه من الله تعالى إلى رسوله الكريم (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ان يذكر مريم ونبأها في القرآن الذي هو كلامه تبارك وتعالى، وهي المرأة الوحيدة التي ذُكرت باسمها صريحاً في القرآن تكريماً لها وتشريفاً ولتبقى هذه الآيات الكريمات وثيقة تثبت طهارتها وعفّتها وسمّو مقامها وبرائتها مما اتهمها به قومها من بني إسرائيل.

إنها مريم ابنة عمران من فضليات النساء عبر التاريخ ففي الحديث الشريف الذي رواه الشيخ الصدوق بسنده عن ابن عباس عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(أفضل نساء أهل الجنة أربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)(1).

وهذا مع تفاضلهن فيما بيّنهن أيضاً، فقد روى في الدر المنثور عن فاطمة الزهراء (س) أنها قالت (قال لي رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنت سيدة نساء أهل الجنة لا مريم البتول)(2).



---

1- الخصال: 151، أبواب الأربعة ح 22، 23

2- الدر المنثور: 2/ 23

وقد ضربها الله تعالى هي وامرأة فرعون مثلاً سامياً للذين آمنوا جميعاً من الرجال والنساء على طول الأجيال البشرية ليتأسوا بها ويعتبروا بسيرتها قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ} (التحريم:11) ثم قال تعالى {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (التحريم:12) فكان عندها الاستعداد لتلقي الفيض الإلهي وأن ينفخ الله تعالى فيها من روحه جزاء لعفّتها وإحصانها في أعلى مراتبه بقرينة فاء التفريع (فنفخنا)، وجعلها تعالى وعاءاً لحمل وانجاب واحد من أعظم الأنبياء والرسل ومن اولي العزم عيسى ابن مريم (صلوات الله وسلامه عليه).طهرها الله تعالى ونقاها من كل سوء واصطفاها على نساء العالمين أي انتخبها من نساء العالمين لتكون الأصفى والأنقى من كل نقص وشين قال تعالى {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (آل عمران:42-43) ويذّكر النبي الكريم عيسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بهذه النعمة عليه وعلى والدته {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (المائدة:110).

هكذا هي مريم عظيمة المنزلة جليلة القدر سامية المكانة عند الله تعالى في جميع الآيات القرآنية التي وردت فيها وقد ذكرت باسمها الصريح في (34)

موضعاً منتشرة في 12 سورة من سور القرآن وبغير الصـريح في غيرها، بينما ورد ذكرها في خمسة(1) مواضع من الانجيل بصور تحطّ من كرامتها وقدسيتها.واذا أردنا ان نستقرئ الآيات الكريمة لنكتشف العوامل التي صنعت هذه الشخصية الفذة في ضوء الكلمة المختصرة التي قالها الامام الجواد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (المؤمن يحتاج الى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه)(2) فسنجد ما يلي:

1- الأسـرة الكريمـة والمنبت الطاهر قال تعالى {وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} (آل عمران:37) كمـا في قوله تعالى {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} (الأعراف:58) فالأصل الطيب يساعد على صـناعة الانسان الطيب بإذن الله تعالى، وهذا ما شـهد به الجميع بقولهم {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} (مريم:28) وكان ابوها عمران صالحاً معلماً لمعارف التوحيد في المعبد وفي رواية ابي بصير عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) انه (كان نبياً مرسـلاً إلى قومه)(3) لـذا لما نُذرِت ابنته مريم للمعبد وكان قد توفي وهي حمل تنافس بعض انبياء بني إسرائيل الموجودين يومئذٍ وأحبار المعبد على كفالتها {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} (آل عمران:45).



---

1- الفرقان في تفسير القرآن: 18/ 205.

2- تحف العقول: 336.

3- بحار الأنوار: 14/ 202 ح 14

وكانت أمها صالحة ومن اسرة كريمة واختها زوجة نبي الله زكريا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وكانت عارفة مخلصة لله تعالى وهذا واضح من تسمية ابنتها مريم التي قيل أنها تعني العابدة وقيل انها ((لغة سريانية تعني الغالبة المرتفعة، ولعلَّها لأنها غلبت شهوتها وأحصنت فرجها رغم جمالها وكثرة الراغبين إليها، وارتفعت عما افتروا عليها وعن اقرانها من نساء العالمين))(1) وارتفعت عن كل رجس ودنس ونقص.وتظهر معرفتها بالله تعالى من خلال ادعيتها ونذرها {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (آل عمران:35) والتقبّل ليس كالقبول بل هو تمام القبول وأحسنه قال تعالى {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (المائدة:27).

وفي الرواية (إن الله تعالى أوحى إلى عمران:أني واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمة والأبرص ويحي الموتى بإذني وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل فحدّث امرأته حنّة بذلك وهي أم مريم فلما حملت به كان حملها عند نفسها غلاماً ذكراً)(2) فنذرته لخدمة الدين والمسجد والتفرغ لعبادة الله تعالى ((ومالم يحرّر الانسان نفسه من القيود فإنه لن يكون قادراً على خدمة الدين، فالشيء الذي لم يتحرّر من قيود الملكية كلها لن يكون متصفاً بقيد (الوقف)))(3).



---

1- الفرقان في تفسير القرآن: 18/ 205.

2- رواية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في نور الثقلين: 1/ 334 عن الكافي.

3- تفسير تسنيم للشيخ الجوادي الآملي:14/ 125 .

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا} ورأتها انثى خلاف ما كانت ترجو وكانت خدمة المعبد وظيفة مقتصرة على الذكور وممنوعة على الاناث {قَالَتْ} بحسرة وأسف {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى} فالأنثى لا يتسنى لها التحرر لخدمة المعبد واثير هنا إشكال بأن مقتضى الاستعمال اللغوي أن يقال (وليست الأنثى كالذكر) أي ان ما وضعت -- وهي انثى -- ليست كما كنت أرجو لخدمة المعبد بأن يكون المولود ذكراً فالتشبيه معكوس، ولهذا قال أكثر المفسرين ان هذا من كلام أم مريم ليمكن الاشكال عليه وساعدهم على ذلك ظهور السياق في كونه من مقولة قولها وأجابوا على الاشكال بعدة أجوبة ككون المراد أصل المقايسة وليس التفضيل وفي رواية حريز عن أحدهما (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وليس الذكر كالأنثى في الخدمة)(1).لكن صاحب الميزان والكشاف قالا انه من مقول قول الله تبارك وتعالى ولا ضير في نسبته اليه تعالى وحاصل جواب الميزان بأن الحكمة الإلهية شاءت أن يجري الأمر على هذا بأن تكون المولودة انثى وهي مريم ثم تلد مريم الذكر الموعود وهو عيسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بتلك الآيات الباهرات التي رافقت الحمل والولادة {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:91) وسيتبيّن لكم أنّ الذكر الذي كنتم ترجونه ليس كالأنثى التي قدرها الله تعالى ولو كان المولود لأم مريم ذكراً بالمباشرة وإن كان بمواصفات عيسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فان ولادته سوف لا تقترن بتلك المعجزات والحجج البيّنة، وعلى هذا يكون قوله تعالى {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}



---

1- تفسير العياشي:1/ 170 - بحار الأنوار:5/ 319.

من مقول قول الله تعـالى كـالفقرة قبلها وليس حكايـة لقول أم مريم(1) الذي هو أظهر من السـياق وتؤيده الروايات(2)، لكن الوجه الأول أفضل لـدفع الاشـكال.ويمكن أن نقـدّم معنى آخر بناء على كون الفقرة من مقول قول الله تعالى حاصـلهُ إن ما كنت ترجين من الـذكر بأن يكون محرراً خادماً للمعبد لا يصل الى مقام هذه الأنثى والمعجزات والآيات التي ستجري لها فتكون اللام هنا عهدية.

وبذلك يرتفع الاشـكال اللغوي ولا نحتاج الى ما قيل من أجوبة كقول بعض المفسّـرين بأن ذهول أم مريم والمفاجأة الحزينة التي واجهتها جعلتها لا تعي ما تقول.

ونسـتمر مع أم مريم وقولها {وَإِنِّي سَـمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (آل عمران:36) لتكون مخلصة لك ليس للشـيطان مطمع في إضـلالها أو اغوائها، لتكون اسـماً مطابقاً للمسـمى، وشملت بدعائها ذرية مريم لأنها علمت أن الولد المبارك الموعود منها بعـد ان توفي زوجها ووفت بنـذرها وغالبت كل عواطف الأمومـة وبعثت ابنتها الوحيـدة إلى المعبـد خالصة لله تعالى متفرغة لعبادته وهي المفجوعة تواً بوفاة زوجها عمران(3).

{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} (آل عمران:37) واستجاب الله تعالى دعاء الأم فتقبّل الله تعالى مريم محرّرة خالصة له تعالى وهو



---

1- استفدنا الوجه من كلام السيد الطباطبائي (قده) في الميزان في تفسير القرآن: 3/ 199

2- تفسير القمي: 1/ 109.

3- الظاهر وفاة عمران خلال حمل زوجته لأنه من البعيد أن تسـتقل بالنذر مع وجود زوجها، ولعدم ورود أي ذكر له في احداث الولادة وما بعدها من الكفالة والنذر للمعبد.

معنى اصطفائها واعطاها وذريتها الكمال والنقاء والحصانة من وساوس الشيطان فتحققت لمريم صفتا الاصطفاء والطهارة اللتان بشرتها الملائكة بهما {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ} (آل عمران:42) وهكذا الأعمال الصالحة المخلصة تحظى بالجزاء الحسن.2- المربّي الناصح المخلص العارف وقد حظيت مريم برعاية مباشرة وباهتمام خاص من نبي الله زكريا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) واحاطها الله تعالى بعناية عظيمة وربّاها تربية حسنة وأفاض عليها ألطافاً من عالم الغيب وأغدق أرزاقاً مادية ومعنوية وجعل قرعة كفالتها تحطّ عند زكريا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) {وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ} (آل عمران:37) فهذا الرزق المطلق مادياً ومعنوياً كان من ثمرات العمل المخلص ومن مظاهر الانبات الحسن.

3- توفر البيئة المناسبة والمساعدة على الصلاح فقد قالت أم مريم {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} (آل عمران:35) و (المحرر للمسجد يدخله ثم لا يخرج منه أبدا)(1) فيتحرر من أي مسؤوليات عائلية أو اجتماعية تجاه والديه وغيره، ومما تتطلبه معاشرة الناس من مساوئ وأذى، وقد تفرغت مريم للعبادة في محرابها وهو المكان المخصوص للعبادة في المسجد أو البيت وسمي(2) بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ويكون الانسان فيه حريباً أي سليباً من اشغال الدنيا



---

1- في حديث عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) رواه في الكافي: 3/ 105 ح 4

2- مفردات غريب القرآن- الأصفهانى: 112

وتوزع الخاطر ويكون في صدر المسجد والبيت وانزوت في مكان لا يعبأ به ولا يلفت الأنظار بقرينة التعبير القرآني {فَانتَبَذَتْ} والنبذ هو القاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، ولم تكتفِ بذلك بل ضربت دونهم حجاباً، واعتزلت الناس المنهمكين في الدنيا واتباع الشهوات والمخدوعين بوساوس الشيطان الماكرة وإن رفعوا شعارات الدين أحياناً وكانوا من سدنة المعبد {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} (مريم:16-17).4- الوازع الداخلي والإرادة الجدية لفعل الخير وسلوك طريق الصلاح والعزم الراسخ على الالتزام به مهما تعاظمت الضغوط النفسية والاجتماعية ومهما تزينت الاغراءات. وقد التزمت مريم الصدّيقة بدقة تعاليم الأنبياء في التوحيد والعمل الصالح والسلوك العفيف حتى أثنى عليها تعالى {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (التحريم:12) وأشاد بصفات خاصة منها وهي العفاف ونقاء النفس وطهارة القلب والتعلق الخالص بالله تعالى {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} (المائدة:75).

فاستحقت التكريم الإلهي بالاصطفاء والتفضيل والتطهير من كل الارجاس الظاهرية والباطنية قال تعالى {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} (آل عمران:42-43).

وكرمّها أيضاً بحمل الرسول العظيم عيسى {إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران:45) بمعجزة لم تتكرر عبر التاريخ البشري {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ} (النساء:171) {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (مريم:17) وكان رد فعلها المباشر وقد فاجأها بشر سوي جميل في عزلتها وهي العفيفة الطاهرة الالتجاء الى الله تعالى والاستعاذة به مع تمام حسن الظن به أنه لا يدعها لأنه (الرحمن) وتذكير المتمثل بتقوى الرحمن التي هي صفة لا يمكن لأحد أن يرفضها عن نفسه {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا} (مريم:18) ولولا كمال معرفتها ونفوذ بصيرتها ونقاء سريرتها وطهارة قلبها لما كانت أهلاً لتمثل روح الله تعالى لها {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا} (التحريم:12) فألقى الله تعالى في رحمها بواسطة الروح الأمين ما تخلّقت منه نطفة النبي الكريم عيسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ((وهذا يكشف عن كمال الاستعداد الذاتي ووجود السنخية التامة بينها وبين الروح اللاهوتي حتى تتمكن من مقابلته وقبوله وحمله والتسليم لديه والعمل بالوظائف الخاصة))(1) لتكون معجزة(2) إلهية للوالدة والمولود لم تتكرر نسختها



---

1- التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي: 11/ 96.

2- لا تخلو الآية من إشارة الى إمكان قيام غير الحيامن بدور التلقيح للبيضة والمهم في تكوّن الجنين وجود بيضة الأنثى، وبعض المصادر الطبية ما يشير الى وجود تجارب في هذا المجال.

في جميع الأجيال {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:91) {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} {المؤمنون:50).فبشرها الله تعالى بالمولود المبارك {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا} (مريم:19) {إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران:45) وكان وقع هذه البشارة عظيماً على نفسها لكن الأمر خطير إذ كيف تحمل المرأة من دون مقاربة الرجل ومريم لم يمسَّها رجل بالحلال ولا بالحرام {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} (مريم:20) فاستشعرت عظمة الابتلاء لأن قومها سوف يتهمونها في اعزّ شيء عندها:شرفها وعفافها وطهارتها مع صعوبة ظروف الحمل والولادة حيث كانت وحيدة في مكانٍ نائي كالصحراء ليس فيه ماء ولا طعام والمرأة تحتاج حين الولادة إلى رعاية خاصة وحضور القابلة وغير ذلك {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} (مريم:22-23) فهو جذع مقطوع يابس لا ثمرة فيه وتحت وطأة هذه الظروف القاهرة التي لا يطيقها إنسان {قَالَتْ

يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا}(1) (مريم:23) قالت ذلك مع كمال التسليم لأمر الله تعالى وهذا أحد شواهد ما كانت عليه من مقام التصديق بكلمات ربها نظير ما ورد في ابراهيم {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} (البقرة:124) وطمأنها الله تعالى وربط على قلبها {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا} (مريم:21).وأراها معجزة لتطمئن نفسها فنبعت عين ماء عند قدميها {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} (مريم:24) والسري هو جدول الماء لتشرب منه، وناداها أيضاً {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} (مريم:25) الجَذع تعني القطع فالجِذع هو المقطوع وفيه إشارة الى كونه يابساً لا ثمرة فيه فلما هزّته تساقط منه رطب طري طيب(2)، ضرب لها بهذا الجذع الذي أثمر بعد أن كان ميتاً مثلاً لحالتها فهي امرأة لا زوج لها ولا تفعل الفاحشة فمثلها يستحيل عليها الحمل لكن الله تعالى هزّها بنفخة الروح فحملت بالثمرة المباركة روح الله وكلمته عيسى (عَلَيْهِ السَّلامُ) فتحققت لها البشرى واكتملت بما يسَّر لها من الطعام والشراب {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} (مريم:26) وكان حملها (بعيسى بالليل



---

1- الفرقان في تفسير القرآن: 18/ 206

2- تكررت مثل هذه المعجزة للأئمة الطاهرين كالإمام الحسن والامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلامُ) (راجع روايات في تفسير نور الثقلين:3/ 331 ح 55)

ووضعته بالغداة وكان حملها تسع ساعات من النهار جعل الله لها الشهور ساعات) وفي روايات أخرى ذكرت غير هذه المدة.(ففقدوها في المحراب فخرجوا في طلبها)(1), ولما جاءتهم بالوليد المبارك حدث ما هو متوقع من لئام الناس {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} (النساء:156) {قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} (مريم:27) واتهموها بممارسة الفاحشة وهنا تدخلت القدرة الربانية لتنطق الوليد المبارك بكلمات ادهشت الحسّاد والمعاندين وأخزتهم ونصرت العفيفة الطاهرة.

فنحن – المسلمين– نقدّس مريم ونعظمها لهذه المنزلة التي بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم، ونرتبط – نحن اتباع أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)– بولدها روح الله وكلمته عيسى (صلوات الله وسلامه عليه) بأن لنا أملاً كبيراً فيه لأنه سيظهر مع المخلِّص العظيم الامام المهدي الموعود (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لينقذا البشرية من الضياع والضلال والشرور والآثام.



---

1- البرهان في تفسير القرآن: 6/ 194 ح 1 عن تفسير علي بن إبراهيم.

## ملحق:مقارنة بين الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والسيدة مريم إبنت عمران

لنا – اتباع أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)– علاقة وجدانية خاصة بالصدّيقة الطاهرة مريم بنت عمران لأنها شابهت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (س) في الكثير من الصفات مع حفظ التقدم للسيدة الزهراء (س) في تلك الصفات.

فقد اقتبست من أنوار سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (س) فكانت تتلألأ نوراً في محرابها وفي الرواية عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وكانت أجمل النساء، فكانت تصلي ويضيء المحراب لنورها)(1).

وكانت مريم محدّثة -- وهو من أسماء السيدة فاطمة الزهراء (س) -- تحدّثها الملائكة كما أخبر به الله تعالى {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} (آل عمران:42) {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} (مريم:17) وروي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال (انما سميت فاطمة (س) محدثة لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران، فتقول يا فاطمة ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة:أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت



---

1- البرهان في تفسير القرآن: 2/ 33, عن تفسير العياشي:1/ 193.

عمران؟ فقالوا:ان مريم كانت سيدة نساء عالمها، وان الله عزوجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الاولين والآخرين)(1).وفي صفة التطهير فقد قال تعالى في مريم (وطهّرك) وأنزل في أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) آية التطهير {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (الأحزاب:33).

وفي الاصطفاء والسيادة فقد جعل مريم سيدة نساء العالمين وكانت فاطمة (س) كذلك والفرق ما ذكرته الرواية عن المفضل بن عمر قال (قلت لأبي عبدالله -- الصادق -- (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أخبرني عن قول رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في فاطمة أنها سيدة نساء العالمين أهي سيدة نساء عالمها؟ قال:ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)(2)، واذا تمسكت باطلاق قوله تعالى (على نساء العالمين) فلا تختص بزمانها كما في الميزان قلنا نعم لكنه اصطفاء خاص بآيات محددة كالتي رافقت حملها وولادتها بينما اصطفاء فاطمة الزهراء (س) مطلق وهو وجه الفرق بين الاصطفاء المتعدي ب (على) كما في مريم والاصطفاء المطلق و ((ان الاصطفاء المتعدي ب (على) يفيد معنى التقدم، وانه غير الاصطفاء المطلق الذي يفيد معنى التسليم، وعلى هذا فاصطفاؤها على نساء العالمين تقديم لها عليهن))، فتقديم مريم كان من بعض الجهات ((حيث لم



---

1- علل الشرائع:1/ 216 - تفسير نور الثقلين 1/ 337.

2- البرهان في تفسير القرآن: 2/ 216 ح 7 عن معاني الأخبار للصدوق: 107 ح 1

تشـمل ممـا تختص بها من بين النساء الا على شأنها العجيب في ولادة المسـيح (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أن هـذا هو وجه اصـطفائها وتقـديمها على النساء من العالمين))(1).وفي إنجاب المعصومين الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) فقد اعاذهم الله تعالى من الشيطان الرجيم، ففي حديث لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حدث تزويجه بفاطمة (س) ودعاء النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لهما وقال (قم بسم الله وقل:على بركـة الله، ومـا شاء الله، لا قوة الا بالله، توكّلت على الله -- ثم جاءني حين اقعـدني عنـدها ثم قال:اللهم إنهما أحبّ خلقك إليَّ فأحبهما، وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإني اعيذهما وذريتهما بك من الشيطان الرجيم)(2).

وفي الرزق الذي يأتيها في المحراب من عند الله تعالى ففي رواية عن الصـحابي الجليل حذيفة بن اليمان في طعام وجده النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأصحابه في دار فاطمة ولم يكونوا يعرفوه من قبل إلى ان قال (وقام النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حتى دخل على فاطمة (س) وقال (وأنى لك هـذا يا فاطمة؟) فردّت عليه ونحن نسـمع قولهما فقالت (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فخرج النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مسـتعبراً وهو يقول (الحمـد لله الـذي لم يمتني حتى رأيت لأـبنتي مـا رأى زكريا لمريم كان اذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا فيقول: {يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} (3).



---

1- الميزان في تفسير القرآن:3/ 218

2- أمالي الشيخ الطوسي: 40، تفسير نور الثقلين:1/ 333

3- البرهان في تفسير القرآن:2/ 216 ح 8 عن آمالي الشيخ الطوسي:2/ 227

ويعجبني نقل هـذه الأبيات في المقارنـة بين بعض حالات الصدّيقـة الكبرى فاطمة الزهراء (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) والصدّيقة مريم:إن قِيلَ حَوّا قُلتَ فاطمُ فَخرُها *** أوقيلَ مريمُ قلتُ فاطمُ أفضلُ

أفهلْ لمريم والدٌ كمحمدٍ *** أم هَلْ لمريمَ مثلُ فاطمَ أشبلُ

كلٌ لها عندَ الولادةِ حالةٌ *** فيها عقولُ بني البصائرِ تذهَلُ

هذي لنخلتِها التَجَتْ فَتَساقَطَتْ *** رُطَباً جَنياً فهي منه تأكُلُ

ولدت بعيسى وهي غيرُ مروعةٍ *** أنَّى وحارسُها السّري الأبسلُ

وإلى الجدارِ وصفحةِ البابِ التَجت *** بنتُ النَّ-بي فأسقَطَتْ ما تَحمِلُ

سَقَطت وأسقَطَتِ الجنينَ وحولَها *** من كلِّ ذي حسبٍ لئيمٍ جَ-حفلُ

هذا يعنفها وذاكَ يدُعُّها *** ويردها هذا وهذا يركُلُ

وأمامَها أسدُ الأسودِ يقودُهُ *** بالحبل قنفذ هل كهذا معضَلُ

ولسوفَ تأتي في القيامةِ فاطمٌ *** تشكوا إلى ربِّ السماءِ وتعولُ

ولتَ-رفَعَ-نَّ جنينَها وحنينَ-ها *** بشكايةٍ منها السماءُ تَتَزلزَلُ(1)



---

1- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير: 128.

## القبس /92 : سورة مريم:48

### اشارة

{وَأَعتَزِلُكُم وَمَا تَدعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ}

### موضوع القبس:المعنى الصحيح للاعتزال

### دين الاجتماع:

الإسلام دين الاجتماع والتواصل ومظاهر ذلك كثيرة كالحج وصلاة الجماعة والجمعة ومنها تشريع العيد ففي دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وداع شهر رمضان عن يوم الفطر (الذي جعلته... لأهل ملتك مجمعاً ومحتشدا)(1) وفي الرواية عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(إنما جُعل يوم الفطر العيدَ ليكون للمسلمين مجتمعاً يجتمعون فيه ويبرزون لله عز وجل فيمجدونه على ما منَّ عليهم، فيكون يومَ عيدٍ ويوم اجتماع)(2)، وهو دين إعمار الحياة المثمرة وبناء الأمة الصالحة الوسط الشاهدة على الناس جميعاً.

مضافاً إلى أن وظائف كثيرة لا ـ يمكن القيام بها إلا بالتواصل مع الناس كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكافل الاجتماعي وتعليم أحكام الدين.

وورد النهي عن الترهّب وترك إعمار الحياة كقوله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(ليس في



---

1- الصحيفة السجادية (ابطحي): 299

2- من لا يحضره الفقيه: 1/ 522، ح 1485.

أمتي رهبانية)(1)، ويشرح (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) معناها لعثمان بن مضعون عندما أراد الترهب:(إن ترهّب أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلاة)(2) فيعطي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) للرهبانية معنى اجتماعياً واسعاً خلافاً للمعروف عنها .ويخاطب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) العلاء بن زياد الحارثي لما اعتزل الحياة وترهب:(يا عُدَيَّ - تصغير عدو- نفسه:أترى أن الله أحلّ لك الدنيا وهو يكره أن تأخذ منها؟)(3).

## الحث على العزلة:

في مقابل ذلك توجد روايات كثيرة حثّت على الانفراد والعزلة عن الناس وذكرت فضل العزلة والآثار المباركة فيها كقول رسول الله (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(العزلة عبادة) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(في الانفراد لعبادة الله كنوز الأرباح) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(ملازمة الخلوة دأب الصلحاء) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(الوصلة بالله في الانقطاع عن الناس)(4) وعن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال الناس وواحدة في الصمت)(5).



---

1- بحار الأنوار: 70/ 115 عن الخصال للصدوق: 1/ 138.

2- بحار الأنوار- المجلسي: 80/ 381

3- نهج البلاغة:

4- راجع مصادرها في ميزان الحكمة: 6/ 17.

5- سفينة البحار: 6/ 233 عن كمال الدين.

## إشكال وردّ:

وهنا قد يثار إشكال منشأه وجود التنافي بين التوجيه بالعزلة والمنحى الاجتماعي لدين الإسلام؟

ويجاب هذا الإشكال بأكثر من مستوى:

الأول:أن نضع هذه الأحاديث في موضعها الصحيح ولا نأخذها على إطلاقها، ونتعرف على المخاطبين بها وحالاتهم، ومن تلك الحالات التي خاطبتها هذه الأحاديث المحبِّبة للعزلة:-

1-وهي أوضحها:عندما يكون الاختلاط بالناس سبباً للوقوع في المعاصي فإن المجالس لا تخلو غالباً من المحرمات بل الكبائر، وعلى رأسها الغيبة التي جعلها الناس فاكهة المجالس، وهي من الموبقات التي توجب إحباط العمل وذهاب الدين، عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(الغيبة أسرعُ في دين الرجل المسلم من الأَكْلَة في جوفه) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول:يا ربِّ، فأين حسناتُ كذا وكذا عملتُها ليست في صحيفتي؟ فيقول:محيت باغتيابك الناس)(1) ووصفتها بعض الروايات بالنار التي يرسلها على مغروساته - وهي الأعمال الصالحة - فيحرقها.

وينبغي الالتفات إلى أن المجالس لا- تختص باللقاءات المباشرة بل تشمل اليوم ما يحصل من حوارات ولقاءات عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتؤدي أحياناً إلى أمور محرمة كأحاديث الحب والغرام مع الجنس الآخر من دون مسوِّغ شرعي، وبعضهم يستفتي عن جواز تبادل هذه الأحاديث بين امرأة متزوجة



---

1- ميزان الحكمة: 6/ 506.

ورجـال أجانب من دون علم الزوج ويسأل هل هـذا جائز؟ فتصوروا الانحـدار والتسافل!.فهـذه الموبقات وأمثالها من نتائـج الاختلاط غير المنضـبط، لـذا كـان في العزلـة الحفـاظ على الـدين وعلى ما حصل عليه من الطاعات. عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(العزلة سلامة) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لا سلامة لمن أكثر مخالطة الناس) (سلامة الدين في اعتزال الناس) (من اعتزل سَلِم ورعُه) (مداومة الوحدة أسـلم من خلطة الناس)(1)، ولذا قيل إن ((في العزلة صـيانة الجوارح وفراغ القلب وسـلامة العيش وكسـر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة الوقت، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه إما في ابتدائه وإما في انتهائه))(2).

2-عنـدما يكون الاختلاط مع الناس والحضور في مجالسـهم مسـبباً لتشوش الفكر بالأحاديث الفارغة المضـيِّعة للوقت وتسـمى مجالس البطّالين، وقلنـا أنهـا تشـمل ما يعرَف اليوم بالحوار عبر الإنترنت والرسائل القصـيرة ومكالمات الهواتف المحمولـة، وأغلب لقاءات الناس ومجالسهم ومحادثاتهم من هذا القبيل، فكل ما يدور فيها هذر من الكلام وعبث ولهو باطل كأحاديث الألعاب الرياضية أو الشؤون العائلية الخاصة بالناس الآخرين.

فإذا تشوش الفكر بهـذه الأحاديث فإنه لا يكون مؤهلاً للإقبال على الله تبارك وتعالى والأنس بـذكره، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: (من انفرد عن الناس



---

1- ميزان الحكمة: 6/ 18.

2- سفينة البحار: 6/ 233.

أنس بالله سبحانه)(1) (الانفراد راحة المتعبدين) وعن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(لو ذُقتَ حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك) ومن حِكم لقمان:(إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة).لذا كان اعتياد هذه المجالس سبباً للحرمان من القرب الإلهي كما في دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في ليالي شهر رمضان:(أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خلّيتني) (2)، وفي وصية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لهشام بن الحكم:(الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنيسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومُعِزَّه من غير عشيرة) (3).3-عندما لا يكون الفرد قادراً على أداء حق الاختلاط مع الناس ومراقبة ما يجري فيها ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمثل هذا يكون الأفضل له تجنب الاختلاط إلا بما هو ضروري حتى لا يكون من الساكتين على الباطل والراضين بالظلم، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسُد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن)(4) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(أقلُّ ما يجد العبد في الوحدة الراحة من مداراة



---

1- راجع مصادر هذه الأحاديث في ميزان الحكمة- الريشهري: 3/ 1964

2- مفاتيح الجنان: 245

3- بحار الأنوار- المجلسي: 75/ 301

4- بحار الأنوار- المجلسي: 75/ 225

الناس)(1).الثاني:أن نفهم من معنى العزلة غير المعنى المتعارف وهو الانكفاء على الذات وترك الاختلاط بالناس فلا يرد الإشكال أصلاً، وإنما يراد باعتزال الناس مباينتهم في السلوك والأفعال المخالفة للشريعة، فلا مانع من أن يعيش المؤمن وسط المجتمع بكل فئاته بشرط أن يكون متميزاً بعقيدته وأخلاقه وسلوكه وتقييمه للأمور عن أهل المعاصي ولا يتأثر بشيء من انحرافاتهم أو يداهن أو يجامل أو يتنازل عن شيء، وبثباته ومبدئيته سوف يكون موقفه قوياً مؤثراً في الآخرين وهادياً ومصلحاً لهم.

وهذه المباينة في العقيدة والسلوك مع أهل الباطل جعلها الله تعالى في القرآن الكريم علامة فارقة لسلوك الأنبياء (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مع مخالفيهم والمتمردين عليهم، قال تعالى: {بِسمِ اللهِ الرَحمَنِ الرَحِيمِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} (الكافرون:1-3) وقال تعالى: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيّاً} (مريم:48-49).

## لكي لا ينحرف الدين وتضيع معالمه:

إن الاختلاط وعدم التمايز في الرؤية والتوجهات والسلوك بين المؤمن وغيره خطير جداً لأنه يؤدي لتشويه صورة الدين وتمييعه وتضييع هويته وانحراف



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 75/ 254

أحكامه حتى يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً والأخطر من ذلك أنه يعطي مشروعية للانحراف والفساد بعد أن اختلط الحق بالباطل ولم يبق مائزٌ بينهما. خذ مثلاً سلوك السياسيين فهل تجد فرقاً بين من يرفع شعاراً إسلامياً ويعتبر حزبه إسلامياً وبين الآخرين؟ فإذا لم تجد فرقاً من حيث الفساد والاستئثار بأموال الشعب والأنانية وعدم الاكتراث بحال الشعب وعدم الاهتمام بإعمار البلد وازدهاره، فماذا سيبقى في يدك من أدوات لإقناع المجتمع بمشروع الإسلام ونظامه في سياسة الأمة وإدارة شؤون البلاد؟.

وهكذا على صعيد السلوك الشخصي إذا كان (المتدين) يكذب ويخلف الوعد ويغشّ ويعتدي على حقوق الآخرين ويفتري عليهم ويكيد لهم فكيف سيحب الناس التدين والالتزام بالشريعة؟.

وللعلم فإن أهل الباطل يحاولون جاهدين لاستدراج أهل الحق حتى يكونوا مثلهم، كما لو وُجد موظف نزيه مثابر في عمله يخدم الناس بإخلاص فإنهم يقومون بكل وسائل الضغط والترغيب والترهيب ليتخلى عن مبدأيته ويصبح مثلهم، ليعطوا المبررات لأنفسهم ويتخلصوا من محاسبة الضمير وليصبغوا أفعالهم بالشرعية، فالعزلة والاعتزال الذي حثت عليه الآيات الكريمة والروايات الشريفة يعني إبقاء الخط الفاصل بين المنهجين والسلوكين والرؤيتين.

الثالث:أن يكون الاعتزال بمعنى الانقطاع عما سوى الله تعالى وعدم التمسك بأي سبب من المخلوقات، عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لا يكون العبد عابداً لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كلهم إليه فحينئذٍ يقول:هذا

خالص لي، فيقبله بكرمه)(1).فذِكرُ الله تعالى والتمسك بالنبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم وسلامه) وولاية أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) هو الكهف الـذي نكون فيه دائمـاً ونـأوي إليه باسـتمرار وان كنّـا في أوسـاطهم ، قال تعالى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُـدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً} (الكهف:16).

## مع السيد الشهيد الصدر الثاني:

روى لي السـيد الشـهيد الثاني (قدس سـره) هذه القصة ويبدو أنها حصلت له بعد معاناة اعتقاله عام 1974 قال:((إنني يوماً فتحت القرآن الكريم لأجـد فيه منزلتي أمام الله سـبحانه أو قل - بالتعبير الدنيوي- (رأي) الله فيَّ، فخرجت هذه الآية من سورة الكهف: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً}، إن كل هذه الآية مفهومة لي بحسب حالي يومئذٍ إلا قصة (الكهف) الذي يكون من المطلوب أن آوي إليه، أي كهفٍ هذا؟ وذهبت إلى الحرم العلوي (على ساكنها السـلام) عسى أن ينفتح لي هناك عن هذا المعنى، وبدأت بزيارة (أمين الله) حتى وصـلت إلى قوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(اللهم فاجعل نفسـي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك.. إلى قوله:يا كريم) وقد حصل لي في تلك اللحظة (حدس) قوي بأن الكهف الذي يجب أن أدخله هو هذا، أي أن تصـبح نفسـي على هذه الأوصاف وتجانب ما سواها، وقد



---

1- بحار الأنوار: 70/ 112 عن عدة الداعي: 233.

عرضت ذلك على (مولاي) فأقرّه وقال بصحته))(1).وفي ضوء ما تقدم يندفع الإشكال وأن المعاشرة مع الآخرين أفضل من العزلة إذا كانت مثمرة ونافعة ويؤدي فيها الفرد وظائفه ولا تستدرجه المجاملات إلى الوقوع في المعاصي؛ لأن الاختلاط مع الآخرين يوفر فرصاً عظيمة للطاعة كقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم وهدايتهم وإرشادهم و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

## الحل الوسط:

روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله:(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم) وقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لرجل أراد الجبل ليتعبد فيه:(لصبرُ أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته أربعين سنة)(2)، وعليه أن يكون يقظاً ملتفتاً حتى لا يتسبب اختلاطه مع الناس بالوقوع في المعاصي أو تشويش فكره بفضول الكلام، وأن يلتزم بمبادئه والأفعال الموافقة للشريعة ويعتزل سلوكياً الآخرين ويحذر من مناهجهم ورؤيتهم.

أما من لا يملك الشجاعة والمعرفة والقدرة على أداء وظائفه مع الآخرين فالحل المناسب له تقليل اختلاطه بالناس والاقتصار على مقدار الضرورة وأن يحرص على مجالسة ومحادثة من يقرّبه إلى الله تعالى، روى الإمام الصادق



---

1- قناديل العارفين: 153.

2- نقلها عن مصادرها في ميزان الحكمة: 6/ 19.

(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(قالت الحواريون لعيسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):يا روح الله، مَن نجالس؟ قال:من يذكّركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغّبكم في الآخرة عمله)(1)وفيه إشارة إلى أن من لم تستفد منه هذه الأمور فلا تضيّع وقتك(2)وعمرك الثمين بمجالسته أو محادثته عبر الإنترنت وأجهزة الاتصال ومصاحبته، فكيف بمن تكون مجالسته سبباً لعكس هذه الصفات كما هو حال أغلب الناس مع الأسف؟ لذا ورد في بعض الأحاديث:(فرَّ من الناس فرارك من الأسد)(3).إن المؤمن له أنس بربّه لا يستوحش معه ولا يحتاج إلى غيره إلا بمقدار الضرورة، وينفر من مخالطة الناس أزيد من ذلك ومجاملتهم ومداهنتهم، عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: (ما من مؤمن إلا وقد جعل الله له من إيمانه أنساً يسكن إليه حتى لو كان على قلّة جبل لم يستوحش)(4) وروي عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله: (خالط الناس تخبرهم ومتى تخبرهم تَقْلِهم - من القلى أي البغض والاجتناب-).

فترجيح الاختلاط او العزلة وتحديد مقدارهما يدور مدار ما يقرب-ك الى



---

1- سفينة البحار: 6/ 235.

2- عن الإمام الباقر، عن آبائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وصية النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: (يا علي من لم ينتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته..) مكارم الأخلاق، وصية النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

3- في مصباح الشريعة: روي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال: (قال عيسى بن مريم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): اخزن لسانك لعمارة قلبك، وليسعك بيتك وفرّ من الرياء وفضول معاشك، وابك على خطيئتك، وفرّ من الناس فرارك من الأسد والأفعى، فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء، ثم الق الله متى شئت) نقلاً عن بحار الأنوار: 67/ 110.

4- الحديث وما بعده في بحار الأنوار: 70/ 111 عن عدة الداعي: 232.

الله تبارك وتعالى ويجنّبك معصيته ولا يحرمك من طاعته .وعلى أي حال فإن الاعتزال فترة محددة أمر مفيد، فقد كان رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعتزل النـاس في غـار حراء في مكـة، أمـا في المدينـة فقـد كان يطوي فراشه ويشـد مئزره للعبادة في العشـرة الأواخر من شـهر رمضان(1).

ولأجل تحقيق هذا النقاء وتصفية الباطن لله تعالى شُرّع الاعتكاف في المساجد، وقد وردت الأحاديث في فضله وآثاره المباركة.

ونثني هنا على المبادرة التي يقوم بها جمع كبير من الشـباب وطلبة الجامعات منذ عدة سـنوات بإقامة العشـر الأواخر من شـهر رمضان إلى جوار أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ويُنظَّم لهم برنامج عبادي وتثقيفي مفيد بفضل الله تبارك وتعالى.



---

1- مستدرك الوسائل- المحدث النوري: 7/ 470

## القبس /93: سورة مريم:59

### اشارة

{فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ}

### موضوع القبس:إنحراف الامة بعد رحيل قائدها

قال الله تبارك وتعالى {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} (مريم:59) أي جاء من بعد {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} (مريم:58) أجيال غير صالحين لذا قرأت (خَلْفٌ) بالسكون اما الذريات الصالحة فتقرأ بالتحريك (خَلَفَ) كما عن المشهور.

وذكرت الآية صفتين لهم وعلامتين لانحرافهم عن خط اسلافهم الصالحين بينهما ارتباط وثيق وهما (إضاعة الصلاة) و (اتباع الشهوات) وقد ترجعان الى واحدة أي ان كلاً منهما تؤدي الى الأخرى، فقد يكون الأصل في الانحراف إضاعة الصلاة، اما الثانية وهي اتباع الشهوات فهي نتيجة للاولى لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فاذا اضاعوها فقدوا المناعة التي تحصّنهم فوقعوا فريسة تزيين الشيطان واغرائه وسقطوا في اتباع الشهوات عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(لا يزال الشيطان يرعبُ من بني آدم ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيّعهن

تجرأ عليه واوقعه في العظـائم)(1) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(الصـلاة حصن من سـطوات الشيطان) فذكر تضييع الصلاة دون غيرها من الواجبات لأنها عمود الدين وعنوان صـحيفة المؤمن والعاصـمة للإنسان من الانجرار نحو التسافل.لذا ورد في الحديث الشـريف عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ما بين المسـلم وبين الكافر الا ان يترك الصـلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصـليها) لانه بترك الصـلاة يبقى مكشوفاً للاعداء – وهم شـياطين الجن والانس والشـهوات واهواء النفس – لا يملك ما يحميه منهم فيبدأ سلوكه بالانحدار ولا يقف السـقوط الى حد معين حتى يستقر في قعر جهنم، وهذا مجّرب وله أمثلة كثيرة في الواقع لا تخفى عليكم لأشخاص تركوا الصلاة اولاً ثم انحدروا وأوغلوا في الموبقات.

وعلى العكس من الانحدار فان الترقي في درجات الكمال يبدأ من هذه الصـلاة وعن طريق هذه الصلاة بحسب مراتب أدائها، ففي الحديث النبوي الشـريف قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(إن الصلاة قربان المؤمن)وفي تعبير اخر (الصلاة معراج المؤمن) وفي آخر (الصلاة قربان كل تقي) و(إضاعة الصـلاة) لها مراتب عديدة، اوضـحها تركها من اصـلها وهي المرتبة التي جعلتها الاحاديث الشـريفة المتقدمة قرينة لبعض مراتب الكفر.

وتليها حالـة عـدم الالتزام بتأديتها في اوقاتها المخصّصة لإدائها أي عدم الاكتراث بفواتها، وفي مجمع البيان عن أبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسير الآية قال:(اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها اصلاً). وروي عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)



---

1- راجع مصادر الاحاديث المذكورة هنا في ميزان الحكمة:5/ 107 وما بعدها.

قوله في الصلاة:(واذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول:ضيّعتني ضيّعك الله)وفي الكافي بسنده عن داود بن فرقد قال:(قلت لأبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} (النساء:103) قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (كتاباً ثابتاً وليس أن عجلت قليلاً أو أُخّرت قليلاً بالذي يضُّرك ما لم تضّيع تلك الاضاعة فان الله عز وجّل يقول لقوم {أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} (مريم:59).

وتليها حالة اتيانه بالصلاة لكن ليس على وجهها الصحيح من حيث اجزائها وشرائطها واقوالها وافعالها فلا يتم له ركوع أو سجود أو طهور أو قراءة واشباه ذلك من الصلاة التي وصفها النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)بأنها نقر كنقر الغراب(1) ، وقال البعض بأن الآية تنطبق على أهل هذه المرتبة اكثر من المرتبتين السابقتين لان معنى ضياع الشيء تلفه وخرابه أو افتقاده بسبب سوء تدبير الذي بيده ذلك الشيء فوضعه في غير موضعه، فالإضاعة لا تصدُق الا مع التفريط بالشيء بعد وجوده اما من لا يوجد عنده الشيء اصلاً فقد لا تصدق عليه الاضاعة، فهذا الخلْف المُضّيع للصلاة ورث الصلاة من اسلافه الصالحين الا ـ انه فرّط فيها وضّيعها ولم يعتنِ بها وغيَّر فيها واستهان بها فلم يحسنوا الخلافة فيها كما سيأتي ان شاء الله في رواية البخاري، ولا أرى مانعاً من دخول جميع المراتب المتقدمة في عنوان إضاعة الصلاة فأن من تركها اصلاً يصدق عليه التضييع لأنه اعطي هذه الصلاة لكنه لم يؤّدِها.



---

1- الكافي- الشيخ الكليني: 3/ 268/ح6

وتوجد مرتبة أخرى لإضاعة الصلاة تخفى الا عن أهل المعرفة وهي إضاعة حقيقتها وجوهرها وثمرتها وهي المعراجية الى الله تبارك وتعالى والنهي عن الفحشاء والمنكر فهو يؤدي الصلاة في اوقاتها ويدقق في الاتيان بأجزائها وشرائطها الا انه لا يتكامل بها ولا ترتقي احواله وعلاقاته بربه بها. عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(اعلم ان الصلاة حجزة الله في الأرض، فمن أحَبَّ أن يعلم ما ادرك من نفع صلاته، فلينظر:فان كانت حجزته عن الفواحش والمنكر فانما ادرك من نفعها بقدر ما احتجز).وقد يؤدي الإنسان خلال عمره آلاف الصلوات(1) من دون ان تحصل له حالة الارتقاء والسمو في درجات المعرفة والكمال، روى الشيخ الصدوق بسنده عن حّماد بن عيسى – ويعلم اهل الاختصاص أن حّماد من ثقات الرواة عن الصادق والكاظم والرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) – قال:(قال لي أبوعبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يوماً تُحسن أن تصلّي يا حّماد؟ قال:قلت:يا سيدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة، قال: فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لا عليك قم فصلِّ قال فقمت بين يديه متوجهاً الى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت فقال:يا حّماد لا تحسن ان تصلّي؟! ما أقبح بالرجل أن تأتي عليه ستون سنة او سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة؟!)(2) ثم قام الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وصلى أمامه الصلاة القربانية الخاشعة فالتوبيخ لم يصدر لترك



---

1- الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمسة غير المستحبات ففي السنة 1800 وفي عشر سنوات ثمانية عشر الف صلاة

2- من لا يحضره الفقيه: ج1/ح915/باب وصف الصلاة

الصـلاة أو عـدم الالتزام بها وإنما لعدم الوصول الى حقيقتها، ولعدم تحقق الاسـتفادة التامة من ثمرتها.والصـفة الثانية للخلّف غير الصالح (اتباع الشـهوات) وهو له صور عديدة بحسب عمر الانسان وعمله وموقعه الاجتماعي والسياسي والديني وغير ذلك من المؤثرات، فالشباب يغريهم اللهو واللعب والمتعة الجنسية وهوس المودة في الملبس والمظهر الخارجي وتقليد الأجانب ولربما الانخراط في جماعات العنف والقتل والابتزاز والاختطاف.

والسياسـيون تسـكرهم السـلطة والنفوذ والاستيلاء على المال العام وكثرة المؤيـدين وتسـليط الاعلام. والنساء يسـتهويهنَّ التجمل وإظهار الزينـة حتى لغير من أحـلّ الله تعـالى ونصب الفخوخ للرجال. والتجار في السوق يلهثون وراء الأموال باي طريقـة حصـلت ولو كانت عن طريق الغش والظلم والبخس والتطفيف وغير ذلك كثير من اشكال اتباع الشهوات.

وتذكر الآية الكريمة العاقبة الوخيمة لإضاعة الصـلاة واتباع الشـهوات {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} والغي مقابل الرشد الذي هو إصابة الحق قال الله تعالى{قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة:256) كالضـلال في مقابل الهدى الذي يعني الوصول الى الغاية المقصودة ، فهؤلاء سوف يلاقون الغي، وقـد اطلق لفظ الغي أي سواء في الحياة الـدنيا وحين الموت وما بعـده وفي الآخرة، ففي الدنيا يقعون في الجهل والضـلال ويفقدون البصـيرة والرشد والحكمة وفي الآخرة يلقون جزاء ذلك {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً} {الفرقان:68) لأنهم اوقعوا انفسهم في الغي والضلال فيلاقون جزاءه {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (النمل:90).

لكن لا ينبغي لمن اغراه الشيطان وغلبته اهواؤه وشهواته أن ييأس من روح الله تعالى ورحمته والرجوع اليه لذا جاءت الآية التالية مباشرة لتزرع هذا الأمل {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً} (مريم:60).والآية تبين بوضوح ظاهرة اجتماعية وسلوكاً عاماً يحصل عند غياب كل القادة العظام من الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) أو قادة الثورات الإصلاحية وهو الانقلاب على التعاليم الإلهية ووصايا الأنبياء والرسل والرجوع الى حالة الانحطاط من خلال إضاعة حقيقة الصلاة واتباع الشهوات والانخداع بالدنيا.

فلم يكن ما حصل بعد رحيل رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من انقلاب بدعاً من السلوك وانما هي نسخة متكررة من الأمم السابقة، تلك الحالة التي يبدي الله تعالى آسفه عليها {يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون} (يس30) وكأن هذه الآية المكية وامثالها تنبه الامة الى هذا الخطر المترقب لئلا يقعوا فيه، وليس لهم عذر في ذلك لان النبي(صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حذرهم منه في مناسبات عديدة كقوله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):فيما رواه عنه الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسير قوله تعالى {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ} {الانشقاق:19) قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة ولا تخطئون طريقهم قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قالوا:اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):فمن أعني؟ لتنقض عرى

الإسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الامامة واخره الصلاة)(1).روى البخاري في صحيحه عن النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(أنا فرطكم على الحوض ليُرفعنَّ إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول:أي ربِّ أصحابي، يقول:لا تدري ما أحدثوا بعدك) (2)

وفي نفس المصدر بسنده عن الزهري قال:(دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت:ما يبكيك؟ فقال:لا أعرف شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضُيِّعت)

ويبدو ان هذه الظاهرة متكررة في جميع الأجيال وعند كل انعطافة تاريخية ومفترق طريق يحصل عند غياب أصحاب الرسالات والمشاريع الإلهية، او عند اقبال الدنيا وتوسع خيراتها كما حصل للمسلمين الأوائل عند نجاح الفتوحات الإسلامية وهزيمة الامبراطوريتين الفارسية والرومية، أو ما حصل لساسة العراق الجدد بعد عام 2003، فكم من القادة العظام يتعبون ويضحون وقد يستشهدون ثم ترثهم وتخلفهم جماعات تدعي الانتساب اليهم وترث الامتيازات عنهم لكنها تضيّع مشروعهم العظيم، قال تعالى في موضع آخر {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}



---

1- تفسير القمي:2/ 412.

2- صحيح البخاري: 9/ 46/ح 7049,_1/ 112/ح530, ط. دار طوق النجاة

(الأعراف:169) امـام هـذه الحقيقـة التي يكشف عنهـا القرآن الكريم ويؤكـد تكرارهـا عبر الأجيـال لا يحقّ للمؤمنين الرساليين ان يكتفوا بتحريـك السـنتهم بقول انـا لله وانـا اليه راجعون أو لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ونحو ذلك بل لابـد من العمل بما تقتضـيه هـذه الكلمـات المباركـة والتحرك لحث الناس على إقامـة الصـلاة ووعي حقيقتها والاسـتفادة من آثارها المباركـة في الـدنيا والآخرة وتعليمهم احكامها التفصـيلية ومقدماتها وسـننها وآدابها وغير ذلك وتحذّر الناس في جميع مسـتوياتهم وعلى اختلاف مواقعهم من الانخداع بالدنيا والاغترار بمظاهرها البرّاقة الخادعة واتباع الشهوات والتأثر باهل المعاصي.

ولكي تحقق الحركـة أفضل النتائج ينبغي ان تقوم بهذه المسؤولية مؤسـسة وجماعة تأخذ على عاتقها احداث هذه النهضة المباركة بأذن الله تعالى قال تعالى {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} (آل عمران104) وهذه دعوة صريحة لإقامة مثـل هـذه المؤسـسات و الجماعـات لكل باب من أبواب الخير ولكل مورد من موارد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلاقامـة الصـلاة مؤسـسة ولايتـاء الزكـاة مؤسـسة ولتشـجيع الزواج وتكثير النسل مؤسـسة ولاصـلاح ذات البين ورفض الطلاق مؤسـسة وللعفاف مؤسسـة وللتشـجيع على القراءة ونشـر الكتـاب مؤسـسة وللشـعائر الدينيـة مؤسـسة وغير ذلـك كثير {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} {النحل:128).

## القبس /94: سورة مريم:34

### اشارة

{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا}

### موضوع القبس: لا تهولنّكم قوة الباطل فإنها إلى فناء

يشعر المؤمنون والعاملون الرساليّون بالإحباط واليأس أحياناً عندما يرون الباطل يتسلط ويتفرعن، والفساد ينتشر، وتصبح للظالمين دولة تملك المال والاعلام والسلطة وكل أدوات الحرب الناعمة والخشنة، ولا تتورع عن استخدام أي وسيلة حتى القذرة منها لتحقيق أهدافها، وحينئذٍ ينكمش المؤمنون وينزوون ويتخلون عن واجبهم في الدعوة الى الله (تبارك وتعالى) وهداية الناس وإرشادهم وإصلاحهم.

فتأتي هذه الآية الكريمة وآيات كثيرة غيرها لتحليل هذه الظاهرة وعلاجها لتقول : إنّ هذا الشعور ناشئ من العجلة، فكأن المؤمنين يستعجلون النصر وتحقق النتائج التي يسعون من أجلها، ويريدون أن ينزل الله تعالى العقوبة على كل ظالم بمجرد صدور الظلم منه فلما تتأخر عليهم يشعرون بالإحباط والضيق، وهذا خلاف سنة الله تعالى الجارية في خلقه {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} (فاطر:45) فتنهى الآية الكريمة عن الانبهار بدولة الباطل والشعور بالإحباط لعدم نزول العذاب {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ} لعدم وجود

المسوغ للعجلة ، ففي دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وإنما يعجل من يخاف الفوت وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف)(1) والمفروض أننا مؤمنون نعتقد جازمين بأنّ الله تعالى لا يفوته شيء وهو قوي ومقتدر قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} (إبراهيم:42) وقال تعالى: {لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} (مريم:94-95) فإمهالهم وبال عليهم، قال الله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (آل عمران:178) وستقودهم شياطينهم إلى الهلاك فلماذا العجلة.ويتضمن الجزء الثاني من الآية تعليل عدم صحة الاستعجال بقوله تعالى {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} فإن الله تعالى بهذا الإمهال يريد أن يقيم الحجة البالغة عليهم ويدعهم يستوفون مدّتهم كاملة ، وهم في كل لحظة تمرّ عليهم في الدنيا ومع كل نفس يلتقطونه يزدادون إثماً واستحقاقاً للعقاب، والله تعالى يعدُّ عليهم هذه الأنفاس حتى تنتهي، إذ المعدود ينقصه العدّ وتتأكل به، ففي التعبير كناية عن انتهاء أعمارهم ورجوعهم الى الله تبارك وتعالى، وكأن الله تعالى يملك في خزائنه لكل منهم عدد أنفاسه المكونة لعمره ويطلقها لهم واحداً بعد واحد حتى تنتهي، روى الشيخ الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال: (قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): قول الله عز وجل: " إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا " قال: فما هو عندك؟ قلت: عدد



---

1- الدعاء الثامن والاربعون من الصحيفة السجادية في يوم الجمعة والأضحى .

الأيـام، قـال: إن الآبـاء والأمهات يحصون ذلك، قال: لا ولكنه عـدد الأنفاس)(1) فتصوروا أنّ آثامهم بقـدر أنفاسـهم فضـلاً عما لو لوثوها بجرائمهم ومعاصـيهم، فإن عـدَّ الأنفاس في الحقيقـة هو عدَّ للأعمال المثبتة في صـحيفة الحياة حتى تتم الصورة التي يؤول اليها في آخرته ((فكما أن مكث الجنين في الرحم مـدة يتم بها خلقـة جسـمه كذلك مكث الانسان في الدنيا لأن يتم بها خلقة نفسه وأن يعدَّ الله ما قدّر له من العطية ويستقصـيه))(2) لـذا لاـ يصـح اسـتعجال الجزاء ثوابـاً وعقابـاً لأن في استيفاء المـدة اكتمالاً لحسـنات المحسن فيثاب عليها، ولسـيئات المسيء فيعاقب عليها. ولذا جاءت هذه الآية الكريمة متفرعة بقرينة الفاء على الآية التي قبلها {أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} (مريم:83) أي تهزهم وتـدفعهم بقوة وازعاج نحو الشـر والفساد وتحرضـهم على اتباع الباطل فتزيدهم ضـلالاً إلى ضـلالهم، وليس ذلك من باب الإكراه حتى تسـقط المسؤولية عنهم، وإنما لأنهم هم من مكّنوا هذه الشـياطين من أنفسهم وأطاعوهم وانقادوا لهم قال تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل:100)، روى علي بن ابراهيم في تفسـير هـاتين الآيتين قال: (لما طغوا فيها وفي فتنتها ، وفي طاعتهم ، مدّ لهم في طغيانهم وضلالهم ، وأرسل عليهم شياطين الإنس والجن {تؤزهم أزا} أي تنخسهم نخسا وتحضّهم على طاعتهم وعبادتهم فقال الله: "فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ



---

1- الكافي: ج3 /ص 259 / ح 33 .

2- الميزان في تفسير القرآن: 14/ 108

إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا " أي في طغيانهم وفتنهم وكفرهم)(1).والخطاب في الآية وإن كان موجهاً إلى رسول الله (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الا انه في الحقيقة لنا من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة) والا فان هذه الحقيقة ماثلة امام القادة المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) على نحو اليقين، وكشاهد على ذلك نذكر ما كتبه الامام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من سجنه إلى هارون العباسي وقال فيه: (إنه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلّا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتّى نفضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون)(2).

هذا ما نفهمه من الآية الكريمة على المستوى الحركي ونتيجته النهي عن التبرّم وضيق الصدر والتقاعس والانزواء عندما يطول الزمن بالظلم وتتمكن دولة الباطل، وان على العاملين الرساليين الاستمرار في أداء واجباتهم ولا تكن نظرتهم ضيقة محدودة تقتصر على مساحة صغيرة من الزمن بل لينظروا الى الأفق البعيد.

ويمكن أن نفهم منها على الصعيد المعنوي والأخلاقي بأن الإنسان يجب أن يكون متيقظاً ملتفتاً عارفاً بقيمة وقته لأنه ليس مغفولاً عنه، فإن الله سبحانه يحصي عليه أعماله ويعدّ عليه أنفاسه التي وصفها أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بقوله: (نفسُ المرء خطاه إلى أجله)(3) فكلّما أمدّه الله سبحانه وتعالى بنفس فكأنما قربّه إلى أجله حتى إذا استنفدها وانتهت مدته جاءه الأجل وعُرِض للحساب أمام الله تعالى،



---

1- تفسير القمي ج2 / ص55 ، البرهان ج6 / ص216 / ح 8 .
2- كشف الغمة ج 3 /ص 3.
3- نهج البلاغة / قصار الكلمات / رقم 74 .

وكما يعدّ الله تعالى للإنسان أنفاسه فإنه يحُصي عليه أعماله فلا يغتر الإنسان العاصي الغافل عن الله تعالى بإمهال الله تعالى له.روى علي بن إبراهيم في تفسير الآية قال: (نزلت في مانعي الخمس والزكاة والمعروف، يبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً، فينفق ما يجب عليه من الزكاة والخمس في غير طاعة الله(1) ويعذبه الله على ذلك)(2).

فاذا علم الانسان أن كل شيء محسوب حتى أنفاسه فانه سيكون متيقظاً حاضر الذهن مراقباً لنفسه فيما يقول ويفعل.

ولا تخلو الآية من إشارة الى قُصر عمر الانسان مهما طال لأنه عبارة عن عدد من الأنفاس مهما كثُرت فأنها تنقص بالعدّ، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ)(3) لذا ورد في الحديث عن الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (أكبر ما يكون الانسان يوم يولد، وأصغر ما يكون يوم يموت)(4).

فلابدّ أن يتدارك الانسان عمره ويراجع نفسه ويعيد ترتيب ملفاته كما يقال، وسيجد الله تعالى قريباً اليه رحيماً به ويساعده على تغيير كل حياته نحو الأفضل، روى الشيخ الصدوق بسنده عن الامام الصادق عن آبائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال: (من أحسن فيما بقي من عمره، لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومن



---

1- شرحنا هذه الفكرة في قبس الآية {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} راجع: من نور القرآن ج2 ص 91

2- تفسير القمي : ج2/ص53 ، البرهان ج6/ص216 / ح 9 .

3- نهج البلاغة- خطب الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- ج 1- الصفحة 197

4- من لا يحضره الفقيه ج1/ص194

أساء فيما بقي من عمره أخذ بالأول والآخر)(1)، وهي فرصة عظيمة يوفرّها الله تعالى لعباده رحمةً بهم.ويشير أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الى القيمة العظيمة لهذا الانقلاب والانعطاف في حياة الانسان في أي لحظة تحصل من حياته ويصفها بأنها (لا قيمة لها) أي لا يمكن تقييمها لعظمتها، قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): (بقيةُ عمر المرء لا قيمة لها: يُدرِكُ بها ما قد فات ويُحيي بها ما مات)(2) .

والغريب أن نجد بعض الناس يقضون هذه البقية الثمينة من أعمارهم بعد تقاعدهم عن العمل في المقاهي وعلى أرصفة الطرق باللهو والعبث والأحاديث الفارغة بل المحرمة فيخسرون هذه الفرصة الثمينة وفي الوقت الضائع بل القاتل.

ونحن اليوم في آخر جمعة من شعبان وهو من أعظم المناسبات لإجراء هذه المراجعة لاستقبال شهر رمضان بقلوب نقية ونفوس مقبلة على الطاعة، روى أبو الصلت الهروي قال: (دخلت على الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في آخر جمعة من شعبان، فقال لي: يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره، وهذه آخر جمعة فيه، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار، وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عز وجل، ولا تدعنَّ أمانة في عنقك إلا أديتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه واتق الله وتوكّل عليه في سرّ



---

1- أمالي الصدوق :111

2- بحار الانوار: 6/ 138 / ح46

أمرك وعلانيتك (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر " اللهم ان لم تكن قد غفرت لنا في ما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه)(1)، ونحن ندعو بما علمنا الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).



---

1- مفاتيح الجنان: 171 أعمال ما بقي من شعبان.

## القبس /95: سورة طه: 41

### اشارة

{وَاصطَنَعتُكَ لِنَفسِي}

### موضوع القبس: الصناعة الإلهية للإنسان

### أهمية الطفولة:

من المعلوم أن فترة الطفولـة لدى الإنسان هي أطول من كل الكائنات الحية، وما ذلك إلا لينال التربية الكاملة والكافية التي تؤهله لممارسـة دوره كخليفة لله تعالى في أرضه وليستطيع بناء كل قواه البدنية والعقلية والفكرية والنفسية حتى يتمكن من تلقي التشريف الإلهي ويبلغ سن التكليف الذي يتأخر عن السنة التاسعة عند الإناث وأكثر من ذلك عند الذكور.

ولاشك أنه كلما تتوفر للإنسان عوامل أقوى لتربيته وبنائه فإن فرصـته لبلوغ الكمال والرقي أفضل وأوسع، وكلّما كان الدور المناط بالشـخص والمسؤولية التي سيضطلع بها أهم وأوسع، كان نوع المربي المطلوب متصفاً بكمالات أرقى.

### التربية الإلهية:

ولما كان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أكمل البشـر وأفضلهم ومعداً لأداء أعظم الرسالات الإلهية، فلم يكن هناك من هو جدير بتربيته وتأديبه، لذا تكفل الله

تبارك وتعالى بذلك، قال (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(أدبني ربي فاحسن تأديبي)(1) وعنه (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (أنا أديب الله وعلي أديبي)(2).وفي نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هذه الصناعة بقوله (ولقد قرن الله به (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)(3).

وأرّقَ تعبير وألطفه وأعظمه لهذه الفكرة هو ما ورد في القرآن الكريم في حق نبي الله تعالى وكليمه موسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، قال تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه:39) وقال تعالى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طه:41)،حينما يحظى الإنسان بلحظة من العناية الإلهية والألطاف الإلهية فإنها تغنيه وتكفيه، فكيف بمن يُصنع كله بعين الله تعالى ورعايته ولطفه، وليس هذا فقط بل يصطعنه لنفسه خالصاً مخلصاً ليحمل رسالته الكريمة إلى البشرية فليس له نظرٌ إلى ما سوى الله تبارك وتعالى، ولا يطمع فيه أحد من شياطين الجن والإنس، والصنع كما في المفردات (إجادة الفعل) أما الاصطناع فإنه (المبالغة في إصلاح الشيء)(4).

## نتيجة الاصطفاء الإلهي:

وكانت النتيجة أن يكون موسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مخلصاً لله تبارك وتعالى نبياً رسولاً



---

1- البحار: ج68 ص382.

2- ميزان الحكمة: 1/ 80.

3- نهج البلاغة، الخطبة، 192 المسماة بالقاصعة.

4- المفردات: ص286.

من أولي العزم {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً} (مريم:51)، هكذا تتدخل الألطاف الإلهية في صناعة الأفذاذ المؤهلين للأدوار العظيمة، والمستحقين للمقامات السامية، ومنهم أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)، فقد أراد الله تعالى أن يكونوا معصومين مطهرين مخلصين له تبارك وتعالى، قال تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} (الأحزاب:33) وإذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولا رادّ لقضائه.هل تساءل أحد كيف يمكن أن توجد مثل خديجة بنت خويلد التي لُقِّبت بالسيدة الطاهرة في ذلك المجتمع الجاهلي المملوء بالجرائم والموبقات والمفاسد التي لم يسلَم منها إلا الأندرون كجد النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأبويه وعمه وابن عمه؟ وهل يوجد تفسير لذلك إلا الصناعة الإلهية لتلك القدّيسة الطاهرة؟.

وهكذا يجد من يراجع سير العظماء ان يداً من وراء الغيب تتولى أمرهم وتصنعهم بحب وشفقة واتقان لتعدّهم للدور الكبير الذي يراد لهم.

## كيف ننال الاصطفاء الإلهي؟

والذي يهمّنا من ناحية عملية هو هل يمكن أن نحظى بهذه الألطاف الإلهية ونكون ممن يصنعهم الله تعالى على عينه ويصطنعهم لنفسه بدرجة من الدرجات؟ ومن الواضح اننا نتحدث هنا عن التربية الإلهية الخاصة، لأن العامة شاملة للجميع، فهو تبارك وتعالى (ربّ العالمين) و{مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} (هود:56).

والجواب واضح بإمكان ذلك إذ أن الله تبارك وتعالى لا بخل في ساحته

-كما قيل- ولا يحتجب عن خلقه، إلا أن تحجبهم الـذنوب دونه -كما في الـدعاء-(1).والسؤال الأهم في كيفية تحصـيل ذلك، ويمكن ان نستفيد معنيين من نفس الآيات الشريفة.

الأول:من نفس الآية الأولى {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه:39) فالطريق أن تحبّ الله تعالى ويحببك الله تعالى، وقد شرحنا علامات هذا الحب المتبادل وطريقة تحصيله في قبس مفصّل(2)، وورد في كلمات الحكماء (إن الله إذا أحبّ عبداً تفقّده كما يتفقّد الصديق صديقه)(3).

الثاني:من الآية الثانية {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى، وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طه:40-41) فعندما يكون الإنسان ذا همّة عالية وطموح كبير للعمـل في إعلاء كلمـة الله تعـالى ونشـر علوم أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) واصـلاح النفس والمجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله يستخلصه لنفسه وسيصلح شأنه ويتولاه بنفسه ويعينه على هذه الرسالة ويؤهله لأدائها.

## ما يوجب الصناعة الإلهية:

ويستفاد من الروايات الشريفة ما يوجب تلك الألطاف الإلهية.

(منها) صحيحة أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) -في حديث-



---

1- أنظر: مصباح المتهجد- الشيخ الطوسي: 162_815

2- أنظر: القبس/32 {يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ} (سورة المائدة:54), من نور القرآن: 1/ 356

3- مفردات الراغب ص321.

(إن الله جـلّ جلاله قال:ما يتقرب إلي عبـدٌ من عبادي بشـيء أحبُّ إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلـة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سـمعه الذي يسـمع به، وبصـره الذي يبصـر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته)(1).
(منهـا) مـا في الحـديث القدسـي (أيما عبـد اطلعتُ على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بـذكري تولّيتُ سياسـته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه)(2).

وفي البحـار عن إرشـاد الـديلمي وغيره (فمن عمـل برضائي ألزمه ثلاث خصال:أعرفه شـكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسـيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين.

فـإذا أحبّني أحببته، وأفتـح عين قلبه إلى جلاـلي، ولاـ أخفي عليه خاصّـة خلقي، وأنـاجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حـديثه مع المخلوقين ومجالسـته معهم، وأسـمعه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السـر الذي سترته عن خلقي، والبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم، ويمشـي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرّفه ما يمرُّ على الناس في القيامة من الهول والشـدّة، ومـا أحـاسب به الأغنيـاء والفقراء والجهّـال والعلمـاء، وأنوّمه في قبره، وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمه القبر واللحـد وهول المطّلع، ثم أنصب له ميزانه وأنشـر ديوانه، ثم أضع كتـابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ثم لاـ أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات



---

1- وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب17، ح6.
2- البحار: ج90 ص162، الكافي: ج2 ص352 ح8.

المحبين)(1).

## الدعاء يوصل الى الصناعة الإلهية:

ولا شك أن الدعاء وطلب معالي الأمور يوشك أن يوصل إلى ذلك فليجتهد العبد في الطلب والدعاء، من دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في طلب مكارم الأخلاق(2) (واصلحني بكرمك وداوني بصنعك) وورد في دعائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الذي أوله (يا من تحلّ به عقد المكاره)(3) (وأذقني حلاوة الصنع فيما سألتُ) ومن دعائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في طلب العفو (اجعلني... وخلّصته بتوفيقك من ورطات المجرمين، فأصبح طليق عفوك من أسار سخطك، وعتيق صنعك من وثاق عدلك)(4).

خصوصاً أنتم معاشر الشباب ما دمتم في مقتبل العمر وبداية الطريق لصناعة مستقبلكم المعنوي والمادي، فاسألوا الله تعالى أن يختاركم لأعظم الأدوار وأرقى المسؤوليات وأن يصنعكم بيده سبحانه لأدائها، وواظبوا على طلب ذلك بإخلاص ولسوف يعطيكم ربكم ذلك كما حكى سبحانه عن عباد الرحمن أن من دعائهم {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} {الفرقان:74).



---

1- البحار: ج74 ص29.

2- مفاتيح الجنان: ص105.

3- السابق: ص148.

4- الصحيفة السجادية، من دعائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في طلب العفو والرحمة: ص170.

## القبس /96: سورة طه:114

### اشارة

{وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلما}

### أدب طلب العلم:

قال النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(أدبني ربي فاحسن تأديبي)(1) ومما أدّب الله تعالى به نبيه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله تعالى {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (طه:114) وقد اخذ النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بهذا الادب وسائر الآداب الربانية فكان يطلب الزيادة في العلم باستمرار ويدعو (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال)(2) حتى روي عنه قوله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ): (اذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم)(3).

### التأسي بطلب العلم:

وإذا كان النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في مقامه السامي يطلب الزيادة باستمرار فنحن اولى، مضافاً الى أننا مأمورون بالتأسي بالنبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهذا الادب الشريف منه, فالازدياد مطلوب في كل زمان وفي كل مكان حيث يوجد علم نافع, ويبقى



---

1- الكافي : 1/ 266 ح4.

2- الدر المنثور : 4/ 309.

3- ميزان الحكمة :6/ 145 عن كنز العمال 28687.

الانسان طالب علم وإن حاز على أعلى الالقاب العلمية ولا معنى للتخرج وإنهاء الدراسة أو التعطيل إلا بالتحول من مجال الى مجال انفع منه، وإلاّ حُرمنا من البركة التي أشار إليها النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في حديثه المتقدّم؟.

## في قوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ

وأوّل ما يستوقفنا في هذا الأدب الإلهي استعمال لفظ الرب في الدعاء من دون الأسماء الحسنى الأخرى، ولفظ الربوبية الدال على التربية والاعتناء بإنشاء الشيء وصناعته ورعاية صلاحه حالاً بعد حال إلى أن يبلغ تمامه، لإلفات نظر الداعي إلى هذه العلاقة الحميمة والعناية الخاصة التي يوليها الله تعالى لعبده، ولاستدرار الرحمة والشفقة الإلهية الخاصة.

## في معنى أن الآية لسانها الدعاء:

والدعاء الذي ورد في الآية الكريمة، وكلّ دعاء ليس مجرد كلمات تُحرَّك بها اللسان وانما يعبِّر عن أهداف وطموحات وغايات يريد الانسان ان يصل اليها ويحققها بلطف الله تعالى وتوفيقه فعليه ان يهيئ المقدمات ويتخّذ الاسباب الموصلة الى الغاية، فعندما يطلب الانسان الزيادة المستمرة في العلم عليه ان يسعى لتحصيل هذا العلم من مصادره من خلال المطالعة والاستماع الى كل معلومة نافعة ومن خلال التلقي ممن عنده هذا العلم والاستفادة منه كما هو شأن الجامعات والمعاهد والمدارس والحوزات العلمية وامثالها.

## لا تغفلوا عن العلم الغيبي:

وهذه هي المصادر البشرية للزيادة من العلم أي العلم المكتسب من

الآخرين، ونغفل عن المصادر الغيبية أو الالهية للازدياد من العلم وهي مصادر أوسع وأنقى وأثبت وأعمق وأكثر تأثيراً والذي سنسمع وصف النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) له بأنه لا جهل معه, كمن يريد ان يسقي أرضه الزراعية فتارةً يفتح لها قناة تأتيه بالماء من النهر مع ما يَحمل في طريقها من الأوساخ والأوبئة، وأخرى يفجر من الارض ينبوعاً صافياً نقياً، فكذلك القنوات التي تغذّي العقل والقلب بماء العلم والمعرفة فإنها تارة تؤخذ من الآخرين، وتارة تتفجّر من باطن الانسان، وقد فُسِّر قوله تعالى {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} (عبس:24) بالعلم ممن يأخذه لأن العلم غذاء الروح، ففي الكافي عن زيد الشحّام عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في قول الله عز وجل: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} {عبس:24) قلت:ما طعامه، قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه)(1).

## مصادر العلم الغيبي:

ومن هذه المصادر:

1-التقوى:قال تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} (البقرة:282) فالتعليم الالهي يتعقب التقوى وهو العلم اللدني الذي ورد في قوله تعالى {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} (الكهف:65) وعن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (لو خفتم الله حق خيفته لعُلّمتم العلم الذي لا جهل معه)(2) وهو العلم اللّدني.



---

1- الكافي: 1/ 39/ح8..

2- ميزان الحكمة : 6/ 203 عن كنز العمال 5881.

قال الشاعر:

شكوتُ الى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني الى ترك المعاصي

وعلّله بأن العلم نورٌ *** ونور الله لا يؤتى لعاصي(1)

وكلما أزداد الانسان تقوى وابتعاداً عما يُسخط الله تعالى وعملاً بما يرضيه كان أكثر انفتاحاً على الاسباب الالهية وكانت مرآته أصفى وأنقى فتنعكس فيها حقائق العلوم حتى تبلغ الذروة عند المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)، عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (قال:ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور قلت:كيف ذلك؟ جعلت فداك قال:إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) العرش ووافى الائمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ووافيت معهم فما أرجع إلا بعلم مستفاد ولولا ذلك لنفد ما عندي)(2) وسٌئل الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (إنا نسئلك احياناً فتسرع في الجواب وأحياناً تطرق ثم تجيبنا ؟ قال:نعم انه ينكت في أذاننا وقلوبنا فاذا نكت نطقنا وإذا امسك عنا أمسكنا)(3) وهذا المصدر هو الذي يفسر الظاهرة الغريبة التي بدأت مع الامام الجواد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وولده الإمام الهادي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بقيامهما بأعباء الامامة وقيادة الأمة ومناظرة العلماء في مختلف الفنون وهما صبيان في الثامنة من العمر وعجز الاخرون عن تفسيرها



---

1- يُنسب هذا الشعر الى الشافعي. أنظر: تفسير الآلوسي: 6/ 90.- موسوعة الرقائق والأدب- ياسر الحمداني: 1/ 480

2- اصول الكافي : ج1 كتاب الحجة، باب في أن الائمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) يزدادون في ليلة الجمعة، ح3.

3- الفرقان في تفسير القرآن :19/ 91 عن بصائر الدرجات.

لعدم إيمانهم بالعقائد الحقة.2-من خلال العمل به، فان العمل بما تعلم وتطبيقه ينتـج علما جديـدا عن رسول الله (صَـلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (من تعلّم فعمل علّمه الله ما لـم يعلم)(1) فهـذه إذن زيادة في العلم حصل عليها من خلال العمل بما علم، وعن امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاـمُ) قال (ما زكا العلم بمثل العمل به)(2) وعن الامـام البـاقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (من عمل بما يعلم علّمهُ الله ما لا يعلم)(3) وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (العمل مقرون الى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم)(4).

وهكذا تسـتمر جدلية التأثير والترابط بين العلم والعمل، زيادة ونقصاً، فمن عمل بالعلم ازداد،ومن لم يعمل بعلمه يفقده، عن امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(مَنْ عَلِمَ عَمِلَ وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاّ ارْتَحَلَ)(5).

وهذه الحقيقة جارية في كل المجالات فمن اكتسب معلومة اخلاقية وعمل بها سـيوفق الى درجة أعلى، ومن اسـتفاد نظرية علمية اكاديمية ثم اجرى تجارب ومحاولات عليها فانه سـيتوصل الى نتائـج ومعلومات جديدة، حتى على مسـتوى الطالب الذي يطالع دروسه فانه عندما يلخصّ ويستذكر ويخطّط ويرسم او يحلّ المسائل الرياضية بيده يحصل على معلومات لا يحصل عليها من يكتفي بمطالعة



---

1- ميزان الحكمة: 6/ 202 عن كنز العمال ح 28661.

2- غرر الحكم: 9569.

3- اعلام الدين: 301.

4- منية المريد : 181.

5- نهج البلاغة: 366.

الكتاب .3- ومن خلال إنفاقه اي نشره وتعليمه من لا يعلمه بأيّ وسيلة للنشر التي اتّسعت اليوم وأصبح بإمكان الشخص أن يخاطب الآخرين في العالم كله، من وصية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لكميل بن زياد وهو يقارن بين المال والعلم قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وَالْمَالُ تُنقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ)(1) والتجارب اثبتت ايضا صحة هذا المسلك فأن من يتصدى للتدريس وتعليم الاخرين وينشر ما عنده من العلم فانه يشعر بزيادة في العلم لم يحصّلها من احد، عن الامام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (علّم الناس، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد اتقنت علمك، وعَلِمْتَ ما لم تعلمْ)(2) هذا غير الثواب الكثير لمن علّم الناس شيئا ينتفعون به ولو كان حديثاً شريفاً أو مسألة شرعية أو عملاً صالحاً أو... وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نكتفي بواحدة منها عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (يجيء الرجل يوم القيامة وله من الحسنات كالسحاب الركام أو كالجبال الرواسي، فيقول:يا ربِّ أنّى لي هذا ولم أعملها ؟ فيقول:هذا علمك الذي علّمته الناس، يُعمل به من بعدك)(3).

وقد جُمع هذان المصدران للمعرفة في الحديث الشريف عن الإمام

الصادق عن ابيه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(جاء رجل إلى النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال:يا رسول الله ما العلم؟ قال:الانصات، قال:ثم مه؟ قال:الاستماع له،



---

1- نهج البلاغة: 147.

2- كشف الغمة : ح2/ 197.

3- بحار الانوار: 2/ 18 ح44.

قـال:ثم مه؟ قـال:الحفـظ له، قال:ثم مه؟ قال:العمل به، قال:ثم مه؟ قال:ثم نشـره)(1).فهذه هي مراحل تحصـيل العلم وازدياده:الإنصات للمعلومة والإصغاء اليها ووعيها ثم حفظها واستيعابها ثم العمل على طبقها وتحويلها الى الواقع ثم نشرها وتعليمها للآخرين.

## في معنى قوله تعالى:(زِدْنِي):

ويظهر من كلمـة {زِدْنِي} وتعقب هذه الفقرة لقوله تعالى {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} (طه:114) إن الحصول على هذا العلم تدريجي فكلما وصل الى مرتبة وحفظها وعمل بها أُعطيت له مرتبة جديدة فاذا حفظها وعمل بها أسـتحق الاعلى وهكذا {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} (يوسف:76), وهـذه نتيجـة صـحيحة إذ ان العلم لاـ يهجم دفعـة واحـدة من غير تـوفر القـدرة على تحمله، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من زاد علمه على عقله كان وبالاً عليه), وقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (كل علم لا يؤيده عقل مظلّةٌ)(2).

## في معنى قوله تعالى:(علماً):

هـذا بالنسـبة لزيادة العلم، اما كلمـة (علم) فنلاحظ فيها انها مطلقة فالزيادة مطلوبة في كل علم ولا تختص بالعلوم الشـرعية، نعم لابد من تقييدها بالعلم النافع في الدنيا او الاخرة اي فيه صلاح الناس كما ورد في الدعاء النبوي



---

1- الفرقان : 19 / 91 عن الخصال.

2- غرر الحكم : 8601 , 6869.

المتقـدم وعن امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (خير العلوم ما اصـلحك)(1) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(خَيرُ الْعِلْمِ ما أَصَّ لَحْتَ بِه رَشادَكَ وَ شَرُّهُ ما أَفْسَ دْتَ بِه مَعادَكَ) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(رب علم أدّى الى مضـلّتك)(2).لـذلك نجد في حياة الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) انه كما كان يدرّس العلوم والمعارف الدينية فانه كان يدرّس العلوم الطبيعية فتخرج على يديه جابر بن حيان في الكيمياء وله كتاب في الفسـلجة يشرح فيه تشريح جسم الانسان ووظائف الاعضاء باسم توحيد المفضّل وتوجد روايات في الحساب والفلك وغيرهما.

ولأن العمر قصـير لا يتيسر معه الاحاطة بكل العلوم فضلاً عن العمل بها لذا لابد من الاقتصار على الافضل والاحسن والاكثر صلاحاً عن رسول الله (صَ لَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (العلم أكثر من ان يُحصـى، فخـذ من كل شـيء أحسـنه)(3) وفي حـديث عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (خـذوا من كل علم أحسـنه، فان النحل يأكل من كل زهرة أزينه، فيتولد منه جوهران نفيسان:احدهما فيه شـفاء للناس، والاخر يستضاء به)(4).

وأنفس العلوم وأشـرفها وأهمّها المعارف الدينيـة من العقائـد والأخلاق والأحكام لأنها اكثر التصاقا بعلاقة الانسان بربّه ودينه وما يضـمن له السعادة في دنياه واخرته، من وصية الامام علي لولده الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ورأيت ... ان ابتدأك



---

1- غرر الحكم : 4963/ 5023.

2- غرر الحكم : 5352.

3- ميزان الحكمة : 6/ 199 عن كنز الفوائد 2/ 31.

4- غرر الحكم : 5082-نهج البلاغة.

بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع الاسلام واحكامه، وحلاله وحرامه، لا اجاوز ذلك بك الى غيره)(1).

## الدعوة الى أن تكونوا من حملة العلم:

في الكـافي عن الإمـام الصـادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (عليكم بالتفقّه في الـدين، ولا تكونوا اعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكِّ له عملاً) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّهوا)(2).

فإذا نال قسـطاً وافراً من العلم بالمقـدار الـذي يسـتطيع به إرشاد الناس وهـدايتهم كان من أهل الحـديث الشـريف عن الامام الجواد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (من تكفّل بأيتام آل محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) المنقطعين عن امامهم المتحيرين في جهلهم الأُسـراء في أيدي شـياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فأستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليُفضَّلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السـماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء،وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء)(3).

هذا الخير الذي لا يضاهيه خير في هذه الدنيا طالما دعانا الله تعالى اليه في كتابه،



---

1- جواهر البحار: ج74/ كتاب الروضـة / باب وصـية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وإلى محمـد بن الحنفيـة عن نهج البلاغة.

2- أصول الكافي/ ج1، كتاب فضل العلم، باب 1 ح7، 8.

3- بحار الانوار : 2/ 6 عن الاحتجاج وتفسير العسكري ع.

وحثّنا عليه الأئمـة المعصومون (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)، وتبعاً لذلك فقد طالبنا كل ذوي العقول النيرة والهمة العالية والشـعور بالمسؤولية أن يرتبوا أوضاعهم ويهيئوا المقـدمات للالتحاق بالحوزات العلميـة الدينية ويحظون بهذه المقامات العالية.وينبغي هنا الالتفات إلى حقيقة وهي أنه كلما أزداد اهتمام الله تعالى في كتابه والمعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بشـيء فهذا يعني أن مدخليتهُ في التكامل والقرب من الله تعالى أقوى، والاهتمام بتحصـيل العلوم والمعارف الدينيـة بلغت الذروة في كتاب الله تعالى وسـنة نبيه (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأحاديث الائمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بحيث تجاوزت المئات في كل منهما، فلابد أن نفهم ونستوعب هذه الرسالة من الله تعالى ورسوله وأهل بيته الكرام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

## القبس /97: سورة طه:124

### اشارة

{وَنَحشُرُهُۥ يَومَ ٱلقِيَمَةِ أَعمَى}

### موضوع القبس:الاعمى من لم يبصر طريق الهداية

### عميت عين لا تراك:

من دعاء الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يوم عرفة وهو يناجي ربه بكل تذلّل وخضوع (عميت(1) عينٌ لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا) وهاتان الفقرتان فضلاً عن بقية فقرات الدعاء تزوّدنا بقواعد في السلوك المعنوي إلى الله تبارك وتعالى، وتدلّنا على الجناحين اللذين نطير بهما في سماء الكمال ومعرفة الله تعالى وبلوغ رضوانه وهما المراقبة والحب، مراقبة الله تعالى في كل الأفعال والأقوال والمواقف، واحتواء القلب على محبة الله تعالى حتى يكون هذا الحب هو البوصلة الموجّهة لكل الحركات والسكنات، وبالحب والمراقبة تتحقق التقوى التي هي خير الزاد ليوم المعاد {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} (البقرة:197).

فالشخص الذي يفعل ما يحلو له من دون إحساس وجداني بأن الله تعالى



---

1- العبارة تحتمل أن تكون إخباراً عن العين والصفقة بأنّهما تعمى وتخسر وقد تكون إنشاءاً بمعنى الطلب من الله تعالى أن يعمي العين ويخسر الصفقة وكلاهما وارد.

مطّلع عليه وأنه بمحضـر رب العزة والجلاـل دائمـاً {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر:19) {إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء} (آل عمران:5) {وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء} (إبراهيم:38) مثل هذا الشخص لا يبصر الحقيقـة وهو أعمى البصـيرة وإن كانت له عينان تبصـران: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف:179) {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً} (الإسـراء:97). {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (طه:124-126).

## عقوبة الإعراض عن ذكر الله تعالى:

فمن يعرض عن ذكر الله تعالى ويهمل وظائف العبودية لربه تحصل له عقوبتان:

الأولى:المعيشة الضيقة النكدة المليئة بالقلق والخوف وعذاب الضمير ويزداد هذا الضيق قسوة عليه عند الموت وما بعده في القبر والبرزخ.

الثانية:يُحشر يوم القيامة أعمى لا يرى طريق السعادة والنجاة ورضوان الله

تعالى وإن كان يرى العذاب والألم والأهوال أي أنّ عماهُ ليس مطلقاً وإنّما عن خصوص ما ينجيه ويوصله إلى السعادة والفلاح أمّا العذاب والألم والمصير المشؤوم فإنّه يراه {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} (ق:22) {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ} (الفرقان:22) {وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ} (يونس:54) (سبأ:33) {وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ} (الشورى:44) {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ} (البقرة:166) لأنه كان هكذا في دار الدنيا، كان معرضاً عن الهداية والرشد ولا يرى طريق السعادة لكنّه كان يبصر الشهوات والهوى والدنيا فتجلّت حقيقته في الآخرة كما اختار هو في الدنيا {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} (الإسراء:72) وبهذا نردّ على إشكال بعض متحذلقة الكلام بوجود تناقض في القرآن الكريم بين آيات الإبصار والرؤية وآيات العمى. ولأنّ هذا الشخص نسي ذكر ربه وأعرض عن آياته وأهملها فكان جزاؤه يوم القيامة أن يُنسى بمعنى يهمل ولا يلتفت إلى استغاثته وندائه واستصراخه كما يقول أحدنا لمن أهمله ولم يلتفت إليه إنك نسيتني، فقد جوزي إذن بنفس فعله {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} (الشورى:40) روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)(1) والثاني أشد من الأول روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله (فقد البصر أهون من فقدان



---

1- كنز العمال: 1220.

البصيرة)(1).

## هل أنت من أهل البصيرة؟

وتـدلّنا الروايـات على بعض علامـات أهـل البصـيرة، كـالمروي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (أبصـر الناس من أبصـر عيوبه وأقلع عن ذنوبه)(2) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفُه)(3).

ومن موجبات النور في الدنيا والآخرة بحسب ما أفادت الروايات الشريفة:

1-تقوى الله تعـالى {يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الحديد:28).

2-الصلاة، عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (الصلاة نور)(4).

3-تلاوة القرآن، عنه (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء) وعن الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (إن هذا القرآن فيه مصابيح النور).

4-صلاة الليل، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ما تركتُ صلاة الليل منذ سمعت قول النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):صلاة الليل نور).



---

1- غرر الحكم: 6536.

2- غرر الحكم: 3061.

3- نهج البلاغة: الخطبة 105.

4- مصادر الروايات المذكورة في هذه النقاط في ميزان الحكمة: 9/ 177 وما بعدها.

5-ترك فضول الكلام وهو مادة أكثر أحاديث الناس في مجالسهم، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(أكثر صمتك يتوفر فكرك، ويستنر قلبك ويسلم من يديك).

6-تجنب ظلم الآخرين، والآخرون المقصودون بالظلم يمكن أن يكونوا الوالدين أو الزوجة أو الأولاد أو الجيران لتضييع حقوقهم أو عموم الناس عند عدم مراعاة الحق والعدل والإنصاف معهم، روي أن رجلاً قال لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):أحبُّ أن أحشرَ يوم القيامة في النور، قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(لا تظلم أحداً تُحشر يوم القيامة في النور).

7-أن تشهد بالحق للآخرين وتنصفهم، على أي مستوى من المستويات كما لو أريد منك الشهادة لأحد بالصلاح وحسن السيرة لتزويجه أو بحق مالي له أو أي حق اعتباري آخر عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (من شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئٍ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نورٌ مدَّ البصر يعرفه الخلائق باسمه ونسبه).

8-الدعاء، عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفه:لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي قلبي نوراً، اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدور وتشتت الأمور).

## موجبات العمى:

أما ما يوجب العمى يوم القيامة هو كل إعراض وصدود عن شرع الله وحكمه وعدم العمل بكتاب الله وسنة رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في كل شؤون الحياة مما أصبح مألوفاً اليوم في الأسواق ومعاملاتنا التجارية وفي السنائن العشائرية وفي العلاقات الاجتماعية وفي السياسة والحكم وإدارة مؤسسات الدولة وغيرها كثير.

ولكل شريحة في المجتمع امتحانها وابتلاؤها بآيات الله التي يلزم العمل بها فلرجل الدين والطبيب والمدرّس والمهندس والكاسب والزوجة والابن والوالدين وغيرها من العناوين له الآيات والأحاديث التي تخاطبه وتنطبق عليه قوله تعالى {كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا} (طه:126) حيث بلغه تكليفه والمطلوب منه، عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: {رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً}(1).

وقد علّمنا هذا الحديث وكلمة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) السابقة المدى الواسع لمن يمكن أن تشملهم الآية وأنّه لا أحد -حتى الملتزمين بأداء العبادات الدينية- بمنأى عن حشرهم عمياً إذا لم يكونوا مراقبين لله تعالى متّقين عاملين بشكل تفصيلي بآيات الله تعالى.

وهذا يفسّر لنا لماذا يطلب الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) منّا أن نشعر بأنّنا مشمولون بكل آية فيها تخويف وإنذار وتهديد وأنّها ليست مقتصرة على الكافرين والمشركين والمنافقين، ففي وصف سيرة الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنّه كان ((يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوّذَ من



---

1- ثواب الأعمال: 337 ح1.

النار))(1) وروي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله في صفة الذين يتلون حقّ تلاوته (ويرجون وعده ويخشون عذابه)(2) ونعود الآن إلى ذكر بعض الروايات التي شخّصت بعض موارد هذا الإهمال للأوامر الإلهية الموجب للعمى ومنها:1-عدم التمسّك بولاية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في قول الله عز وجل {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي} (طه:124) قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):يعني ولاية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وعن قوله تعالى {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(طه:124) قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(يعني أعمى البصر في القيامة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، وهو متحيّر يوم القيامة يقول {رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا} (طه:125-126) قال:الآيات الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) {فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (طه:126) يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم)(3).

2-ترك الحج وهو مستطيع عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من مات وهو صحيح موسر ولم يحج فهو ممن قال الله عز وجل {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:124)، قال أبو بصير:قلت:سبحان الله:أعمى قال:نعم إن الله عز وجل أعماه عن طريق الحق)(4).



---

1- عيون أخبار الرضا: 2/ 182 ح5.

2- تنبيه الخواطر: 2/ 236.

3- الكافي: 1/ 361 ح92.

4- الكافي: 4/ 269 ح6.

## القبس /98: سورة الأنبياء :90

### اشارة

{إِنَّهُم كَانُواْ يُسَرِعُونَ فِي ٱلخَيرَتِ}

### موضوع القبس:المسارعة الى الخير

### واجعل الحياة زيادة لي في كل خير:

الأدعيـة الشـريفة مدرسة ننهل منها المعارف الحقيقية والدروس التي تنظم حياتنا وتصـلح نفوسـنا، وليست هي فقط نصوصاً مباركة نقرأها لطلب الثواب الجزيل المرصود لها وإن كان هذا بحد ذاته غرضاً نبيلاً يستحق التعب.

وقد اسـتمعنا الآن بعد صـلاة الظهرين دعاء الإمام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الخاص بهذا اليوم الثلاثاء، وكل فقرة منه هي مدرسة كقوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (واجعـل الحياة زيادة لي في كل خير) (1) ولكي يسـتجاب هـذا الـدعاء لابد من عمل الفرد وقبول واسـتجابة من الله تعالى، ولا يكفي مجرد تحريك اللسان بالكلمات، كمن يدعو بالرزق مثلاً من دون سـعي لطلبه، أو يطلب الولد الصالح وهو لا يسعى لاختيار الزوجة الصالحة وهكذا، وإن كان الله تعالى يُنعم على العباد تفضّلاً وابتداءاً من غير استحقاق.

### من استوى يوماه:

فيعلمنا الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في الدعاء أن نجعل بتوفيق الله تعالى وكرمه ورحمته



---

1- مفاتيح الجنان: 52

حياتنا كلها خيراً وعطاءاً ونفعاً للنفس وللأهل وللآخرين، وفي زيادة مستمرة من التزود والخير من دون توقف الذي يعني هدر رأس المال الذي منحنا إياه وهو العمر وسائر النعم الإلهية من دون استثمار، فضلاً عن الرجوع إلى الوراء والخسارة باجتراح السيئات والعياذ بالله، ويبيّن الحديث الشريف هذه الحالات الثلاث (عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان. ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)(1). وهذا الطلب أدب قرآني أدّب الله تعالى به نبيه الكريم (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال تعالى {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طه:114) والعلم المراد هو العلم النافع الذي يقترن مع العمل الصالح وفعل الخير وإلاّ فإنه لا قيمة له.

## معنى الخير:

والخير الذي يدعو بالزيادة منه هو كل عمل صالح فلا يقتصر على العبادات المعروفة كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وزيارة المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وإن كانت هذه من أصول الخير، بل له معنى واسع فالبرّ بالوالدين والإحسان إليهم من أعظم الخير، ومساعدة الآخرين كذلك، والجلوس مع العائلة والتلطّف معهم والتودّد إليهم ومتابعة شؤونهم من الخير، وكسب الرزق الحلال من الخير ففيه التوسعة على الأهل والتصدق في سبيل الله وإغناء النفس عما في أيدي الناس وإخراج الخمس من الفائض عن المؤونة في نهاية السنة وهذا كله من الخير، والزواج خير



---

1- معاني الاخبار: ص 342 باب معنى المغبون.

والإنجاب خير بل من أعظم الخير، ذهابك إلى المسجد والمشاركة في صلاة الجماعة والجمعة وحضورك في الشعائر والفعاليات خير، تفقّهك في الدين وتعلّمك مسائل الحلال والحرام لتصحيح سلوكك خير، اجتماعك هذا مع إخوانك وتبادلكم الأحاديث النافعة في دنياكم وآخرتكم خير يحبّه الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ويترحم على فاعله، روي أن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال للفضيل بن يسار (يا فضيل؛ أتجلسون وتتحدثون؟ قال:نعم جُعلت فداك، فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إني أحبّ تلك المجالس، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا)(1).

## كيف نحوّل الحياة كلها الى خير؟

وهكذا تستطيع أن تحوّل حياتك كلها إلى مصنع لإنتاج عمل الخير قال تعالى {يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (المؤمنون:61) وقال تعالى {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} (المائدة:48) حتى الأفعال الاعتيادية كتناول الطعام يكون خيراً لأن فيه حفظ الصحة والتقوّي على طاعة الله والقيام بأعمال الخير، والنوم المقتصد يكون خيراً لأن فيه راحة واستجماماً وتجديد النشاط للاستمرار في الاستزادة من الخير بل يكون النوم شكلاً من أشكال العبادة بحسب ما أفاد الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: (من تطهّر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده)(2)، قد يقول البعض إننا لا نستطيع أن نكون بهذه الفاعلية دائماً لأن غير المعصوم تعتريه الغفلة والنسيان والضعف فيحصل تراجع ولا يمكن أن يكون دائماً في حالة زيادة من الخير، وهذا التساؤل موجود، لكن الله تعالى عالج هذا



---

1- بحار الأنوار: 44/ 278، 282.

2- وسائل الشيعة: 1/ 265 باب9 ح1.

القصور الذاتي بأكثر من علاج:1-أن ينوي الإنسان فعل الخير ويعزم عليه كلما تيسّر له، فهذه النية بحد ذاتها خير، وان الله تعالى بكرمه يعطي لصاحب النية الصادقة والعزم الأكيد ما يعطي للعامل كما في الحديث النبوي الشريف (نية المؤمن خير من عمله)(1) وإيجاد هذه النية وهذه الإرادة ليس صعباً على الإنسان فيحصّل بها ما يفوته من الأعمال.

2-إن الله تعالى تكفّل للإنسان الذي يستيقظ من غفلته ويعود إلى العمل الصالح وفعل الخير عند تذكره والالتفات إليه، أن يمحو كل ذلك التقصير والقصور ويثبّت بدلاً عنه حصيلة هذا الالتفات، قال تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} (هود:114) وقال تعالى {فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} (الفرقان:70) أي ليس فقط يمحو السيئات بل يبدلها إلى حسنات في صحيفة الأعمال، ومن معاني هذا التبديل أن يجعل حياته ما قبل التغيير بمثل حياته بعد التغيير، فلو كان تاركاً لصلاة الليل أو لا يلتزم بأداء الصلاة في أوقاتها ثم قام بذلك فإنه يجعل حياته السابقة على هذه الصورة الجديدة، كالمدرّس الشفيق الرحيم الذي يقول لطلابه سأعيد لكم الامتحان فإذا جئتم بدرجات أفضل فإنني سأعتبر درجاتكم السيئة في الامتحان السابق على طبق هذه الدرجات الجيدة الجديدة، ولا شك أن الله أشفق على عباده وارحم به وهو أرحم الراحمين، وهو تعالى الذي جعل هذه الرحمة في قلوب عباده فكيف لا يكتبها على نفسه؟ فما على الإنسان إلا أن ينتبه من غفلته ويعود إلى منهج الزيادة من الخير.



---

1- الكافي: 2/ 84.

## القبس /99: سورة الأنبياء :94

### اشارة

{فَلَا كُفرَانَ لِسَعيِهِ}

### موضوع القبس:النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مكفور النعمة

قال الله تبارك وتعالى {فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَّ عْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} (الأنبياء:94) وتفسير الآية باختصار ان كل عمل يقوم به الانسان فيه رضا لله تعالى ونفع للخلق فإن الله تعالى يكتب ذلك العمل ويثبته لصاحبه بما لا نُحيط من أشكال الكتابة وأنواع الشهود لشكره عليه لأن الكفران هنا بمعنى الجحود والانكار وعدم الشكر، وأصل الكفر في اللغة سُتر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك شكرها، فكفران السعي تغطيته وإهماله وعدم المجازاة عليه، ويقابله شكر العمل لذا عبّر تعالى عن نفس هذه الحقيقة في آية اخرى بقوله تعالى {وَكَانَ سَّ عْيُكُم مَّشْكُوراً} (الإنسان:22)، وقد ورد الشكر - كفعل وسلوك - مقابل الكفر في آيات عديدة كقوله تعالى {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (إبراهيم:7) وقال تعالى {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النمل:40).

ومعنى شكر العمل إثابة صاحبه عليه بالجزاء المناسب {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف:30)، {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} (الزلزلة:7) لكن هذه الآية وغيرها كالآية 112 من سورة طه الآتية تفيد أن قبول الاعمال مشروط بالإيمان بالله تعالى وسائر العقائد الحقة.وقد أطلقت الآية {مِنَ الصَّالِحَاتِ} لكي لا يقللّ الانسان من شأن أي طاعة فكل عمل صالح مهما ظن الانسان أنه لا قيمة له فأن الله تعالى سوف لا يكفره أي لا يهمله قال تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (التوبة:120) فليس من الضروري القيام بأعمال كبيرة حتى يكون مرضياً عند الله تعالى.

وما دام العمل مسجلاً عند الله تعالى ويُشكر عليه فلا يهمه (أولاً) إن كان له تأثير في المجتمع أو لا يكون لأن هذا شيء بيد الله وقد يأتي تأثيره بعد زمن أو ينضّم الى عمل غيره فيصنع التأثير، ولا يهمه (ثانياً) إن أطلع عليه أحد وعرف انه الفاعل أو لم يطلع لأن المهم انه بعين الله تعالى ومكتوب عنده تبارك وتعالى.

فاستحضار هذه المعاني يدفع الانسان الى العمل ويرفع الهمّة ويزيد من النشاط ويطرد الكسل والشعور بالإحباط.

فهذا تفسير مختصر للآية ككل أما غرضي هنا فهو الوقوف عند هذه الفقرة {فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ} إذ المفروض ان إثابة المحسن على إحسانه وعدم اهمال العمل الصالح بلا مكافأة قضية فطرية ومن الضروريات {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا

الْإِحْسَانُ} (الرحمن:60) فلا تحتاج القضية الى بيان فلماذا يذكره الله تعالى؟والذي يزيد السؤال إلحاحاً ذكر هذه الحقيقة مراراً في القرآن الكريم بنفس التعبير - أي عدم الكفران - كقوله تعالى {وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ} (آل عمران:115) أو بتعبير أخر كقوله تعالى {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً} (طه:112) أو التعبير بما يقابله وهو الشكر كقوله تعالى {وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً} {الإنسان:22) وقوله تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً} (الإسراء:19) {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:62).

يمكن القول أن الغرض هو لبيان وتقرير بعض تفاصيل عقيدة الايمان بالمعاد واليوم الآخر والحساب ومجازاة الاحسان والإساءة وهذا ظاهر من كثير من الآيات، والذي أُريد أن أضيفه أن الغرض هو لتطمين المحسنين وعاملي الصالحات مما يرونه من الحالة المؤسفة الغالبة لدى البشر وهي التنكر للمنعم وكفران النعمة على عكس ما هو المطلوب منهم الى حد احتاج عدم كفران الاحسان والعمل الصالح الى بيان وتبديد مخاوف حيث أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفاً.

وأول مكفور النعمة هو الله تبارك وتعالى قال سبحانه {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} (الأعراف:17) وقال تعالى {فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً} (الإسراء:89) وقال تعالى {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سبأ:13) حتى اصبح

كفران النعمة صفة ملازمة لسلوك البشر إلا من عصم الله قال تعالى {فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ} (الشورى:48) والكفور هو المبالغ في كفران النعمة، وقد أكدّ الله تعالى هذه الحقيقة في آية أخرى باستعمال {إِنَّ} وإدخال اللام قال تعالى {إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ} (الزخرف:15) مما أوجب حالة التأسف والاستغراب قال تعالى {قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس:17) على خلاف الادب النبوي المبارك، روى السيد ابن طاووس في الاقبال كان النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول - إذا أكل بعض اللقمة قبل تمامها - (اللهمَّ لك الحمد أطعمت وأسقيت وروَّيت، فلك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنىً عنك)(1).ولرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أسوة بربه في كونه مكفور النعمة ومجحودها وهو أعظم النعم الإلهية على المخلوقات وقد قرن الله تعالى إنعامه بإنعام نبّيه تعظيماً له وتكريماً قال تعالى {إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ} (التوبة:74) وقال تعالى {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} (الأحزاب:37) ولأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) أسوة برسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، وكذلك اتباعهم من المؤمنين، روي عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله:(كان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مكفرا لا يشكر معروفه، ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي، ومن كان أعظم معروفا من رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا وكذلك خيار المؤمنين لا يشكر معروفهم)(2) وهي حقيقة مرة تكشف عن بعض صور



---

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس الحسني: 116 س 24، وروي في كتب العامة مثله.

2- بحار الانوار: 75 / 42 ح3 عن علل الشرائع: 560 باب 353 ح2.

الانحطاط في الاخلاق والسلوك البشري.ومظاهر كفر البشر نعمة النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عديدة:-

(فمنهم) من لم يؤمن برسالته أصلاً وهم أكثرُ الناس قال تعالى {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} (يوسف:103).

(ومنهم) من آمن ظاهراً بالرسالة إلا انه بعيد كل البعد عن مضمونها كالفاسقين والمنافقين ووصلت الجرأة بهم الى أن يقولوا له في وجهه الكريم وهو في اللحظات الأخيرة من حياته (ان الرجل ليهجر).

(ومنهم) من تنكر له في عترته ونصب لهم العداء حسداً وظلماً فأرتكبوا أعظم الكبائر حتى قتلوا أهل بيته وذريته وهم يشهدون ظاهراً لله تعالى بالتوحيد والى النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بالرسالة.

(ومنهم) ظاهره التدين والالتزام بالعبادات الفردية إلا انه يُقصي شريعة رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عن الحياة ويمنع من تطبيقها ويدعو الى تحكيم القوانين الوضعية بعنوان (الحكومة المدنية) وهل توجد مدنية وحضارة حقيقية بغير الإسلام والقرآن والسيرة النبوية المباركة.

(ومنهم) من يريد التخلي عن سنته الشريفة التي هي بيان كتاب الله تعالى تحت عنوان الحداثة والتجديد وإعادة قراءة النصوص الشرعية بما يناسب الثقافة المعاصرة وتمادى بعضهم فأسقط قدسية كلام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ونحو ذلك.

وبالأمس القريب حينما نجح بعض الإخوة في إقرار قانون بمنع تجارة الخمور وبيعها لم نجد مدافعاً عنه من الإسلاميين ومرجعياتهم إلا النادر فيبخلون على رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حتى بهذه النصرة الضئيلة، أليس هذا من كفر النعمة؟!

وهكذا تجد صدق ما وصف به أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) رسول الله (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من أنه مكفر لا ـ يُشكر معروفه حتى من المنتسبين اليه، فعلينا ان ننتبه لأنفسنا ونكون من الشاكرين لنعمة رسول الله (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأهل بيته الطاهرين (صلى الله عليهم اجمعين) بشكرهم والثناء عليهم والصلاة عليهم ونشر ذكرهم المبارك والدعوة اليهم وإتباع أقوالهم وأفعالهم.ان خطورة هذا السلوك - كفران النعمة - لا يقتصر على العقوبة الوخيمة لصاحبه وقد أشرنا الى جانب من هذا الحديث في تفسير قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ}(1) (إبراهيم:28-29) حتى ورد في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(أربعة أسرع شيء عقوبة رجل أحسنت اليه ويكافيك بالإحسان اليه إساءة)(2).

بل يكون له أثر اجتماعي وهو ما يعبر عنه بقطع سبيل المعروف، روي عن الامام الصادق قال:(لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل:وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال:الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره)(3).

وإن كان المفروض بالإنسان أن لا يمنعه عدم شكر إحسانه على تقديم



---

1- راجع: القبس/73, {الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً} (إبراهيم:28), من نور القرآن: 2/ 331

2- بحار الانوار: 75/ 42 عن الخصال 1/ 230 باب الأربعة ح 71.

3- وسائل الشيعة ج 16, باب 8 من أبواب فعل المعروف حديث 1.

المزيد من عمل الخير طلباً لرضا الله تعالى وقد طمأنته الأحاديث الشريفة على حسن جزائه عند الله تعالى، عن رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(أفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة المحسن يكفّر احسانه)(1) وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(يد الله فوق رؤوس المكفّرين ترفرف بالرحمة)(2) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لاَ يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، {وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}) (3).وقد فسّرت بعض الأحاديث معنى ان المؤمن مكفَّر النعمة، فقد روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(الْمُؤْمِنُ مُكَفَّرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْرُوفَهُ يَصْعَدُ إِلَى الله عز وجل فَلا يُنْشَرُ فِي النَّاسِ، وَالْكَافِرُ مَشْهور وذلك ان معروفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد الى السماء)(4) .

أقول: مُكَفَّر على وزن مُعظَّم وهو مجحود النعمة مع إحسانه، وذلك إما لأنه يصنعه لدى الفقراء والضعفاء المحتاجين وهؤلاء ليس لهم جاه اجتماعي وكلام مسموع حتى ينتشر ذكره بينما الكافر والمنافق يجعل معروفه في المشاهير والمتصدرين ووسائل الاعلام (والملأ) بحسب التعبير القرآني فيروجون لمن أحسن إليهم.

(أو) لأن المؤمن يصنع معروفه خفية من دون رياء أو شهرة فلا يُعرف،



---

1- بحار الانوار: 75/ 44 عن نوادر الراوندي:9.

2- علل الشرائع: 2/ 56 الباب 353 ح2.

3- نهج البلاغة: الحكمة 204.

4- بحار الانوار: 76/ 260 عن علل الشرائع: 2/ 560 باب 353 ح1.

والكافر يصنعه علانية لان غاية ما يطلب هو الرياء والسمعة بين الناس فتتحقق له.(أو) ان الله تعالى يريد حماية المؤمن من الرياء وحبط العمل فلا ينشره وتكفر نعمته ليزيد من ثوابه في الآخرة بينما المنافق والكافر لا خلاق لهما في الآخرة فيأخذون جزاءهم في الدنيا.

وذكر ابن الأثير معنى آخر لقوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (المؤمن مكفَّر) قال:(أي مرزأ في نفسه وماله لتكفر خطاياه)(1) وهو معنى صحيح في نفسه ودلت عليه روايات اخرى إلا انه لا يناسب أحاديث المقام وربما أورده ابن الأثير لأنه لم ينظر في بقية الحديث.



---

1- النهاية: 4/ 189.

## القبس /100: سورة الحج:5

### اشارة

{وَتَرَى ٱلأَرضَ هَامِدَة فَإِذَا أَنزَلنَا عَلَيهَا ٱلمَاءَ ٱهتَزَّت وَرَبَت}

### موضوع القبس:إنبعاث الحياة المعنوية

قال الله تبارك وتعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (الحج:5)

صورة طبيعية محسوسة للإنسان تكرّر ذكرها في القرآن الكريم، وهي واحدة من الآيات الإلهية الدالة على قدرة الله تعالى ككثير من الآيات الأـخرى التي لا تعـدّ ولا تحصـى، ولكن عامـة الناس يغفلون عنها ولا تمثّل لهم شـيئاً ملفتاً للنظر او ابـداعاً يحفزهم على التأمل والتفكير بسـبب طول الفتهم معها وتكرّرها عليهم في حياتهم، والشـيء اذا أصـبح مألوفاً فقد بريق اعجازه وابهاره لدى عامة الناس الا من اعطاه الله البصيرة والفهم.

وهـذه واحـدة من تلك الآيات حيث ترى الأرض قاحلـة جرداء لا حياة على ظاهرها فينزل الله تعالى عليها الماء فتتحرك فيها الحياة وتنبت انواعاً من الأشجار والنباتات المختلفة في الاشكال والاثمار والفوائد، فمن الذي وهبها الحياة وهيأها لهذا العطاء غير الله تعالى.

ومثلها قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْ-رِجُ

بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِ-رُونَ} (السجدة:27)

والجرز:الأرض التي لا نبات فيها من الأصل(1)، وغيرها من الآيات التي سنذكر بعضها وهي تركز على هذا المشهد لانه محسوس ومدرك بالوجدان ولا يصعب على المتلقي فهمه، وينتقل ذهنه بسهولة الى الغرض من التذكير بهذه الآية الإلهية لأخذ الدروس والعبر، كما تضرب الأمثال لتوضيح مقصود المتكلم، قال تعالى {وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (إبراهيم:25) وقال تعالى {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت:43) وقال تعالى {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:21).وسيق هذا المشهد الطبيعي مثالاً لإيصال اكثر من معنى ظاهري وباطني.

الأول:معنى ظاهري مصرّح به في الآيات القرآنية وهو جواب الكفار والملحدين والمنكرين للمعاد الذين يرفضون الايمان ببعث الانسان من قبره وتعرضه للحساب على اعماله ويعتبرون ذلك مستحيلاً، وقد حكى القران الكريم جملة من تشكيكاتهم، قال تعالى {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (يس:78-79) وقال تعالى {وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ، أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} (مريم:66-67)

ويصورون للعامة ان ما يذكره الأنبياء أوهام وخرافات فيحرضون الغوغاء ضدّهم قال تعالى حاكياً مقالتهم {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ، إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا



---

1- أنظر: تاج العروس- الزبيدي: 8/ 23

نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} (المؤمنون:35- 38) .بمثل هذا الصخب والتضليل واجهوا دعوات الأنبياء (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فيأتي الله تعالى بهذا المثال لتقريب الجواب والقاء الحجة عليهم ضمن عدة حجج لاثبات المعاد ولم تقتصر على هذه في حوار عقائدي طويل استغرق آيات كثيرة خصوصاً في القرآن المكي، قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (فصلت:39).

وقال تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} (فاطر:9)

وقال تعالى {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الروم:50)

وقال تعالى {فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الأعراف:57)

وفحوى هذه الحجة:انه اذا جاز احياء الأرض الميته بإخراج النبات منها بعد سقيها الماء، جاز احياء الأجساد الميتة بقدرة الله تعالى، لان حكم الامثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد فكما الأرض الميتة توضع فيها النواة او البذرة التي فيها حقيقة النبات وشفرته الحياتية، وتسقى بماء انزله الله تعالى من السماء، كذلك الابدان الميتة المتأكلة يرسل اليها حقيقة الحياة المتمثلة بالروح ويسقيها بماء

الرحمـة واللطف والعدالـة ليعيـد اليهـا الحياة.وفي كلتا الحالتين فان البـدن مادة مضافـة لأصل الحقيقـة ومهما بليت وتلا شت فأنه يمكن تجميعهـا وإعادة تشـكيلها، كما لو بردت قطعـة من الحديـد وتحولّت الى ذرات متناثرة فانه من السـهل تجميعها من جديـد بواسـطة قطعة مغناطيس فلماذا يسـتكثرون ذلك على الخالق العظيم، لهذا كان الرد في بعض الآيات بسـيطاً وواضـحاً ومخجلاً للمنكر كقوله تعالى فيما نقلنـاه من سورة يس آنفـا (وَنَسِـيَ خَلْقَهُ) فهو لم يكن الاـ كروموسومات في حيمن وبيضـة الوالـدين واكتسب مادة من غيره ليصـبح هـذا المخلوق العظيم.

ويلاحـظ أن نسـبة الحيـاة الى الأرض مجازاً والا فانها تنسب الى النبات حقيقـة كقولنا جرى الميزاب ونعني الماء النازل منه بعلاقـة الحالّ والمحل.

على ان احياء الأموات وبعثهم من القبور اقوى ملاكاً واشـد حاجـة لإقامـة العدل ومكافأة المحسن ومعاقبة المسـيء وإنصاف المظلوم من الظالم وإعادة الحقوق الى أهلها، اما تزيين الأرض بأنواع النباتات فانه فضل وكرم وإحسان من الله تعالى.

الثاني:معنى خفي يلتفت اليه أهل المعرفة وهو ضرب المثال للنفس الامارة بالسوء التي غلبت عليها الذنوب، وللقلب الذي أماتته الشهوات وران عليه صدأ الغفلة والمعاصـي {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين:14) فانها كالإرض الميتة القاحلة الجرداء ومن كلام لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ومن قلّ

ورعه مات قلبه)(1) وفي دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وأمات قلبي عظيم جنايتي)(2) ، فاذا سقاها الله تعالى بنور المعرفة والبصيرة وامطر عليها ماء الرحمة واللطف انبعثت فيها حياة الايمان وانجذبت الى عالم المعنى واستيقظت من غفلتها {اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} فتدفقت منها الآثار الصالحة على الجوارح وشملت بركاتها الآخرين.ورمزية الأرض للنفس والماء للمعرفة تشبيه معروف لدى أهل المعنى، ولذا حملنا في بعض خطاباتنا(3) مضمون الخبر الشريف عن عصر الظهور بأن (الأرض تخرج كنوزها وانها ليست من الذهب أو الفضة)(4) على هذا المعنى أي ان النفوس تطهر وتزكو حتى تبرز معادنها العلوية الأصيلة.

وهذه الرمزية لها شواهدها في القران الكريم كقوله تعالى {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} (عبس:24) حيث فسّرتها الروايات بالعلم والمعرفة ممن



---

1- نهج البلاغة: من قصار الكلمات، رقم 349.

2- مناجاة التائبين, مفاتيح الجنان: 166

3- خطاب المرحلة: 7/ 290 بعنوان (كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

4- بحار الانوار ج52/ح 83/ ص 344 (قال الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور ، وأمنت به السبل ، وأخرجت الارض بركاتها ، ورد كل حق إلى أهله ، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام ، ويعترفوا بالايمان ، أما سمعت الله سبحانه يقول : {أَفَغَيرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبغُونَ وَلَهُۥ أَسلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلأَرضِ طَوعا وَكَرها وَإِلَيهِ يُرجَعُون} (آل عمران:83) وحكم بين الناس بحكم داود ، وحكم محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فحينئذ تظهر الارض كنوزها وتبدي بركاتها ، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعا لصدقته ولا لبره ، لشمول الغنى جميع المؤمنين).

يأخذها(1) وهكذا بقية الآيات.وهذا المعنى واضح الانطباق على المثل المذكور فعندما تقرأ قصة توبة بشر الحافي على يد الامام موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تستحضر هذه الصورة القرآنية بوضوح حيث تجد قلب بشر ونفسه كأرض قاحلة خالية من الحياة المعنوية لانها مهملة متروكة فعبثت بها العاديات فانغمس صاحبها في المعاصي والملاهي والفجور، ولكن الغارس الماهر عرف انها أرض صالحة للزراعة وانبعاث الحياة فيها، فلما وضع البذرة الطيبة فيها بقوله(لو كان سيدكِ عبداً لاستحيا من مولاه) وسقاها بألطافه المعنوية دبّت الحياة في تلك الأرض الهامدة وانقلب بشر اللاهي العابث العاكف على المعاصي المغترّ بالدنيا الميّت معنوياً الى بشر ((العارف الزاهد))(2) في هذه الدنيا الزائفة.

وعلى العكس من هذا فان قلب البعض يكون {كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (البقرة:74) فلا ينبت فيها زرع، بحيث ان نفس الآيات المباركات تنزل على الأول فيزداد ايماناً وتسليماً وتنزل على الثاني فيزداد عتّواً واستكباراً {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} (الإسراء:82).

وضرب الله تعالى لهذين بنفس مثال الارض فوصف الاول {كَمَثَلِ جَنَّةٍ



---

1- راجع الروايات في تفسير البرهان: 10/ 107.

2- الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي:2/ 166 ونقل عن روضات الجنان سبب توفيقه للتوبة وعن العلامة (قده) في منهاج الكرامة قصة توبته على يد الامام موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:265) اما الثاني {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (البقرة:264) والصفوان:الحجر الاملس، والوابل:المطر عظيم القطر، والطل:المطر صغير القطر، والجنة:البستان، والربوة:المكان المرتفع يكون شجره انضر وثمره اكثر. هذه الانبعاثة للحياة المعنوية هي وظيفتنا في عصر الانتظار والترقب بأن نجعل أنفسنا ارضاً صالحة للحياة عندما تتلقى النبتة الطيبة وينزل الله تعالى عليها ماء الرحمة، فاذا تحققت فانها الفرج الحقيقي وانفتاح القلب والنفس على الامام المهدي الموعود صلوات الله وسلامه عليه، فكما ان الأرض لها ربيع تهتز فيه وتربو كذلك القلوب، من كلام لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وتعلموا القرآن فأنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فأنه ربيع القلوب)(1) ومن كلام له (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وانما ذلك -- أي الموت والحياة -- بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء)(2).

وبين أيدينا شهر رمضان وهو من أعظم المناسبات لإحياء القلوب وإزالة ما ران عليها بسبب الغفلة والمعاصي وهو الربيع الذي تزدهر فيه الحياة لكل الاعمال الصالحة، وقد منَّ الله تعالى به على عباده ليتعرضوا فيه الى موجبات رحمته ونفحاته القدسية.



---

1- نهج البلاغة، خطبة 110

2- نهج البلاغة، خطبة 133

وللكلام تفصيل في أسباب موت القلوب وحياتها نسأل الله تعالى التوفيق لبيانها.

ص: 172

## القبس /101: سورة الحج:11

### اشارة

{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعبُدُ ٱللَّهَ عَلَى حَرف ۖ}

### موضوع القبس:عدم الثبات على الحق

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الحج:11).

تصف الآية صنفاً من الناس موجودا في كل زمان ، ظاهره متديّن يتكلّم بالدين ويمارس المظاهر الدينية لقوله تعالى في وصف هذا الصنف انه {يَعْبُدُ اللَّهَ} لكن تدينه قلق غير مستند إلى قاعدة متينة وانما هو كالواقف على حافة الهاوية ويمكن ان يسقط فيها في أي لحظة لأنه ينظر الى الدين من زاوية واحدة ويتعامل معه بمقياس واحد هو مقياس مصالحه والفوائد التي يجنيها من هذا الدين، {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاه} {الجاثية:23) وإن لم ينتفع منه تركه وتخلى عنه الى غيره حيث يظن وجود المصلحة والمنفعة.

{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ} فإن حصل على نفع دنيوي من مال أو جاه أو منصب أو أي امتيازات يسعى اليها الناس في الدنيا رضي بهذا الدين واستمر عليه وهو في الحقيقة اطمئنان ورضا بمصالحه، {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ} أي تعرض لصعوبات

الابتلاء والامتحان {انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} بأن يرجع الى حرفه الذي يعبد الله تعالى عليه والوجه الذي كان ينظر من خلاله الى طاعة الله تعالى ويترك هذا الدين وينبذه ويرفضه، ولم يقل تعالى (وإن أصابه شر) لأن ما أصابه قد يكون خيراً إما في العاجل أو الآجل من الدنيا أو الآخرة، ولكنه لنظرته الضيقة الى الامور ولأنانيته وعدم امتلاكه البصيرة والرؤية الصحيحة للامور اعتبر ما حصل شراً فانقلب على وجهه، وكأنه هو الذي يعرِّض الدين للاختبار، فإن جلب له المنفعة كان صدقاً وحقاً والا فلا. مثلاً انضم الى جماعة المتدينين للحصول على منصب أو مال أو وجاهة اجتماعية فلمّا لم يحصل عليها رفض الدين ، ولعل حرمانه من هذه الامور خير له، لانه لا ينجح في امتحانها، لكن مدى تفكيره محدود فكانت نتيجته {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، لأنه حُرِمَ من الدنيا التي كان يسعى للحصول عليها فتنة من الله تعالى له وبقلقه واضطرابه وانفعاله وعدم استقرار حاله، وخسر الآخرة بتركه لسبب السعادة والفلاح وهو الدين.

وهذا الوصف لحاله في الدنيا سيتجسد على أرض الواقع والحقيقة في الاخرة حيث تبلى السرائر وتنكشف البواطن على حقيقتها وأشارت الروايات الى ذلك حين وصفت الصراط(1) بأنه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وإن من الناس من يعبره الى الجنة كالبرق الخاطف وآخر ركضاً وآخر زحفاً بحسب استحقاقاتهم وآخر يتمايل عليه ولا يستقر ثم يهوي منه في نار جهنم لان الصراط



---

1- أنظر: ميزان الحكمة- الريشهري: 2/ 1610

ممدود عليها، فهذا الصنف الاخير هو من كان في الدنيا قلقاً في تدينه غير مستقر.وينقلب عن الدين إذا اصيب بابتلاء وهذا معنى سقوطه في جهنم.

روى في الدر المنثور عن أبي سعيد قال (أسلم رجل من اليهود فذهب ببصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فأتى النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال:أقلني. فقال:إن الإسلام لا يقال، فقال:لم اصب في ديني هذا خيرا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يا يهودي الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة، ونزلت الآية)(1).

وقد وردت عدة روايات معتبرة في تفسير الآية في الكافي وغيره منها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(سألته عن قول الله عز وجل {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} قال:هم قوم وحدّوا الله وخلعوا عبادة من يُعْبَدْ من دون الله فخرجوا من الشرك، ولم يعرفوا أن محمداً (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) رسول الله فهم يعبدون الله على شكٍّ في محمدٍ (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وما جاء به(2)، فأتوا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقالوا:ننظر فإن



---

1- الدر المنثور: 4/ 346.

2- وكان بعض هؤلاء من الصحابة المعدودين قريبين للنبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لكنهم كانوا يشككون في تصرفاته ويعترضون ويتمردون كما تنقل كتب الفريقين وفي آخر حياته قالوا (إن الرجل ليهجر) وهؤلاء كانوا مستعدين للانقلاب عن الدين والرجوع الى جاهليتهم كما أخبر عنهم الله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} (آل عمران : 144) فرأى امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ان الصبر على المظالم التي لحقت به أحجى وقد سجل ذلك كله في خطبه المأثورة. أنظر: صحيح البخاري: 6/ 9/ح4432, ط.

كثرت أموالنـا وعوفينـا في أنفسـنا وأولادنا علمنا أنه صادق وأنه رسول الله، وإن كان غير ذلك نظرنا، قال الله عز وجل {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ} يعني عافية في الدنيا {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ} يعني بلاءً في نفسه وماله {انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} انقلب على شكّهِ الى الشرك {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ،يـدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَـا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ} قال:ينقلب مشـركاً، يـدعو غير الله ويعبـد غيره، فمنهم من يعرف ويـدخل الإيمـان قلبـه فيـؤمن ويصـدّق، ويزول عـن منزلتـه مـن الشـك الى الإيمـان، ومنهـم من يثبت على شـكّه ومنهم من ينقلب الى الشرك)(1).فهؤلاء يقفون على الحافة – والحرف هو حد الشـيء وحافته ومنتهاه دون أصله وحقيقته كما يقال حرف الجبل أي منتهاه وليس كل حـد وجانب حرفاً حتى تكون له قابلية ربط الشـيء بغيره كالحرف الهجائي فانه الحد الذي تنتهي اليه الكلمة ولا معنى له في نفسه لكنه يربط بين ما له معنى، ومنه التحريف أي الخروج عن المعنى الوسط المعتدل المعروف الى حافته المشتبهة - متزلزلين غير ثابتين لم يتمكن الدين من قلوبهم ونفوسهم، يسقطون في أول اختبار وامتحان فينقلبون على وجوههم.

وقد شخص الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الظاهرة في حياة المجتمع



---

1- تفسير البرهان: 6/ 310 عن الكافي: 2/ 303 ح 1 ، 2.

فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(النّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتهم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعائِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ). وهذه الظاهرة الاجتماعية في حياة الناس لا تختص بالكافرين أو المنافقين كما ربما يتصور، بل تشمل الذين يتظاهرون بالشكليات الدينية لكنهم في أخلاقهم وتعاملاتهم وسلوكهم وصفاتهم النفسية أبعد ما يكونون عن الدين، لقوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ} فهم يمارسون الطقوس الدينية لكنهم لا يعملون بحقيقتها، ولا أُريد أن استغرق ببيان النماذج لوضوحها لدى الناس خصوصاً من السياسيين الذين يتسترون بالعناوين الدينية، لكن همهم الاول والاخير دنياهم واهوائهم ومصالحهم وتراهم يُداهنون ويتنازلون عن المبادئ الدينية الثابتة إذا أضرت بمصالحهم، ومن أمثلة هؤلاء من يقلد مرجعاً دينياً والمفروض أنه قلده بحجة شرعية، فاذا اصطدم هذا التقليد مع مصلحة له أو وجد منفعة دنيوية أفضل عند غيره عدل اليه ولا يسال عن الحجة الشرعية في ذلك.

هذا سلوك غريب لأن المفروض أن تكون العقيدة هي الأصل وهي المسطرة الثابتة التي تقاس صحة الامور وبطلانها على أساسها فما وافقها – وإن اقترن بالمصاعب والبلاءات– فهو حق والا فهو باطل وإن جلب بعض المنافع الدنيوية، وليس العكس كما عليه هؤلاء من الاضطراب والتشتت، فهذا خلل كبير في الايمان الذي يدعيه هؤلاء وانحطاط في فهم الدين ولوازمه، لأن المؤمن الحقيقي لا يأخذ على إيمانه جزاءً دنيويا لأن دينه ليس سلعة قابلة للبيع والشراء وجلب المنافع، وإنما يبتغي بإيمانه والتزامه رضى الله تبارك وتعالى، ويعتبر التزامه بالدين توفيقاً من الله تعالى ولطفاً منه تبارك وتعالى ونعمة لا تجازى ويعجز عن

شكرها وبالدقة يرى الملتزم بالدين حقاً ان نفس استمراره وثباته على الدين وما يترشح عنه من اطمئنان وسعادة وسمو هو أفضل جزاء يعطيه الله تعالى له على التزامه بالدين.والأغرب من ذلك في سلوك هذا الصنف من الناس أنه حينما يتخلى عن

المبادئ الدينية والمنهج الالهي الذي لا يوجد أفضل منه فما هو البديل الذي يلتزم به {يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} (الحج:12-13) هذا هو الضلال المبين أن يتخذ من المخلوقات التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً سواء كانت أصناماً حجريةً أو بشريةً أو أهواء نفسية أو مصالح أو أعراف وتقاليد يتخذ منها المولى والعشير والقائد الذي يتبعه {ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ} الغارق في الضلال والبعيد عن العودة الى الطريق الصحيح.

ويروي التاريخ شواهد كثيرة لمثل هؤلاء كعبيد الله بن الحر الجعفي(1) الذي كان مواليا لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ولما طلب الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) منه النصرة وهو في طريقه الى الكوفة امتنع وأهدى له سيفه وفرسه فرفضهما الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ثم ندم على خذلانه وصار قائداً في جيش المختار الثقفي ثم انشق عنه والتحق بمصعب بن الزبير وقاتل معه المختارَ حتى انتصروا ثم تمرد عليه بجمع من الجيش وغادر الكوفة.

ومثل شبث بن ربعي الذي كان في جيش أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في صفين



---

1- الإرشاد- الشيخ المفيد: 2/ 81

ثم سـقط في فتنة الخوارج، وبعدها كان ممن كاتب الإمام الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) طالباً منه المجيء الى الكوفة لكنه انخدع بمناصب الولاة والتحق بجيش بن زياد لقتال الإمام الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وكان قائـداً للمقاتلين المشاة (الرجّالـة) يوم عاشوراء وقـد ذكره الإمام الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) باسـمه في احتجاجه على الجيش المعادي حين نادى:(يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أن أينعت الثمار واخضـرّ الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجندة)(1). ومما جرى من الحوارات يوم عاشوراء لمـا خطب الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) واحتـج عليهم بالكثير مما قاله رسول الله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ورواه أصـحابه قاطعه الشـمر قائلا عن نفسه:هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر:والله اني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك(2).

ولما كانت الامور تعرف بأضـدادها، فمن ضـد هـذا الوصف وهـذه الصورة نتعرف على ما يجب أن تكون عليه قيمة الدين في حياة الانسان فهو مستقر في قلبه ووجدانه، سعيد به ثابت عليه، يلجأ اليه في كل اموره، ويجعله قائداً له في حياته يستهدي به ويزن به الامور، فيفرّق به بين حقها وباطلها، وهذا الثبات والاسـتقرار في العقيدة تجسّد في أصحاب الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وأهل بيته بحيث يفرحون ويستبشرون حينما يُعْلِمَهُمْ الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بالقتل.



---

1- الارشاد- المفيد: فصل: خروج مسلم ابن عقيل (رحمه الله) بالكوفة يوم الثلاثاء.

2- مقتل الحسين- السيد المقرم: 279.

## القبس /102: سورة الحج:29

### اشارة

{ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُم}

### موضوع القبس:الولاية ثمرة الحج

قال أهل اللغة(1):إن التَفَث هو الدرن والأوساخ وقضاء التفث هو إزالتها من البدن في إشارة إلى حال الحجاج بسبب حركتهم الطويلة في المشاعر المقدسة والقيود التي فرضها الإحرام فاذا انتهوا من أداء مناسكهم أحلوا من احرامهم وازالوا ما علق بأبدانهم وقصّوا أظفارهم وازالوا شعورهم ونحو ذلك، ولعلهم أخذوا هذا المعنى من الروايات مع أنها قد تكون بصدد بيان بعض التطبيقات أو أي نحو آخر.

وقيل:أنها ليست كلمة عربية وأن أصلها عبراني بمعنى الإمساك والقبض وحينئذ يكون المراد بالتفث القيود التي تفرض على المحرم وهي التي نسميها (تروك الاحرام) وقضاؤها هو إتمامها على وجهها وإكمالها إلى حين الخروج منها، قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ} (البقرة:200) أي أتممتموها, وكذا في قوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ}(الجمعة:10) وقوله: {وَقُضِيَ الأَمْرُ} (البقرة:210) {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ} (القصص:29) وغير ذلك.



---

1- مفردات غريب القرآن- الأصفهاني: 73,- لسان العرب- ابن منظور: 2/ 120

ويمكن قبول كلا الاتجاهين من التفسير بأن يقال:ان في الآية كناية لأنها ذكرت اللازم -- وهو إزالة الاظفار والشعر والادهان والتعطر -- وهي تريد الملزوم وهو اكمال المناسك المطلوبة للإحلال من الاحرام وإباحة هذه الأفعال لهم، بأن يتمّوا ما ابتدأوا به من مناسك الحج ويحلوا من إحرامهم الذي التزموا به واوجبوه على أنفسهم ابتداءاً من الاحرام قبل الخروج إلى عرفة وما يتضمنه من تروك كثيرة تلبية لقوله تعالى {الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ} (البقرة:197) فالتَفَث يراد به الفعل المصدري أي إتمام الالتزام بما يقتضيه الاحرام وإنهاؤه على النحو المطلوب أو اسم المصدر بمعنى التحلل من الاحرام وإزالة ما عَلُق بهم بسببه خلال مدة المناسك. وقد اشارت الروايات إلى كلا المعنيين ، ففي صحيحة البزنطي في قرب الاسناد والكافي قال (سألت الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن الآية قال:تقليم الأظفار وطرح الوسخ عنك والخروج من الاحرام)(1) ومثلها عدة روايات، وبين التعبير عن عقد الاحرام بترك الرفث وعن الاحلال منه بقضاء التفث انسجام جميل وبلاغة رائعة.

فاذا أدى الحاج مناسك منى يوم العاشر من ذي الحجة فرمى جمرة العقبة الكبرى وذبح وحلق فقد أحلّ من احرامه وابيحت له سائر تروك الاحرام الا الطيب والنساء ويحلّ الأول بأداء طواف الحج والثاني بطواف النساء لذا عطفت الآية على قضاء التفث {وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} (الحج:29) أي ليؤدوا ما ألتزموا به من



---

1- الكافي : 4/ 503/ح12.

تروك الاحكام ومناسك الحـج {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج:29) وهما طوافا الحـج والنساء.هذا هو المعنى الظاهري الذي خُوطِب به جميع الناس ، وهناك معنى باطني للخواص من أهل المعرفة، ففي صحيحة ذريح المحاربي عن أبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في هذه الآية قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (التفث لقـاء الامام)(1) وفي معـاني الأخبـار روى عبـد الله بن سـنان عن ذريـح المحـاربي قال (قلت لأبي عبـدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إن الله أمرني في كتابه فأحب أن اعمله، قال:وما ذاك؟ قلت:قول الله تعالى {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} (الحـج:29) قال: {لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} لقاء الامام و {لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} تلك المناسك) قال عبـدالله بن سـنان فأتيت أبا عبـدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقلت جعلت فداك قول الله عزوجل {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):أخذ الشارب وقص الأظافر، وما أشبه ذلك، قال:قلت:جُعِلت فداك فان ذَريحاً المحاربي حـدثني عنك، أنك قلت {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} تلك المناسك؟ فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):صـدق ذريـح، وصـدقتَ إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح)(2).

وهذا التفسـير منطبق تماماً مع علل الحج والمنافع المطلوبة منه والتي اشارت اليه الآية السابقة {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} (الحج:28) والمنافع المعنوية أولى من المادية وهي التي تتحقق بلقاء امام الأمة وقائد حركتها المباركة والاستفادة منه في تلك الأجواء الروحية النقية البعيدة عن عواصم السلطة والسياسة الماكرة



---

1- من لا يحضره الفقيه: 2/ 290/ح1432.

2- معاني الأخبار: 340/ح10.

الخبيثة لينقوا أنفسهم من الادران والأمراض المعنوية ويستعدون لحياة جديدة نقية من رواسب الماضي كما وعدت به الأحاديث الشريفة.وفي رواية عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يبيّن فيها فوائد الحج والحكمة من تشريعه وجعل منها هذا اللقاء بالإمام للتفقه في الدين ونقل تعاليمه إلى الناس في اقطار الأرض، قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (إنما أمروا بالحج لعلة الوفادة إلى الله عزوجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل) إلى ان قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (مع ما فيه من التفقه ونقل اخبار الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) إلى كل صقع وناحية كما قال الله عزوجل {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة:122))(1).

لذا يعبّر الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن ألمه من عدم التفات أكثر الناس إلى هذه الحقيقة فقد روى في الكافي بسنده عن أبي عبيدة الحذّاء قال (سمعت أبا جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ورأى الناس بمكة وما يعملون – قال فقال:فعال كفعال الجاهلية أما والله ما أمروا بهذا وما أمروا إلا أن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم)(2).

فالحج لا يكتمل معناه ويتحقق الغرض منه الا عندما يقترن بإظهار ولاية أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) واستحضار معانيها والقيام بتكاليفنا تجاه المعصومين كالدعاء



---

1- وسائل الشيعة: 11/ 12.

2- الكافي: 1/ 323/ح2.

لهم ونشـر مناقبهم وفضائلهم واهـداء الأعمال لهم والدعوة إلى اتباعهم وغير ذلك، روي عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) انه قال (تمام الحج لقاء الامام)(1).وينبغي للحاج أن يستحضـر ولايته للمعصومين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في جميع مناسك الحـج فيتذكر بالإحرام التجرد عن كل ما يعيق طاعة الامام والتواصل معه والعمل بأوامره، وبالوقوف الامتثال بين يدي الامام وبالسـعي الحركة نحو الامام وبالذبح التضحية في سبيل نصـرة الامام وإنجاح مشروعه الإلهي وبالرمي رفض كل الطواغيت والسلطات التي تنصب نفسها أئمة وقادة للناس بغير حق، فالإمامة نظام ومحور الطاعات الأخرى.

روى في الكافي بعدة طرق عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (بني الإسـلام على خمس:على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادِ بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية-)(2).

وفي صـحيحة زرارة أضاف (قلت:وأي شـيء من ذلك أفضل؟ فقال:الولايـة أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن) وقال فيه (ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته) فالاسرار المعنوية للحج وسائر العبادات لا تدرك الا في ظل ولايـة المعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) كمـا ان تحرير الانسـان ونيـل كرامته وحفظ اسـتقامته لا تكون الا على يـد الامام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وبقيادته المباركة ومن بعده نوابّه بالحق.



---

1- وسائل الشيعة: 10/ 255/ أبواب المزار - باب2/ح12.

2- الكافي: 2/ 18- باب دعائم الإسلام/ح1-3-5.

إن قيمة الحج التي يكتسبها الانسان لا تتحقق كاملة بالحركة البدنية بين المشاعر المقدسة وإنما هي منوطة بمقدار معرفته للإمام وإتباعه له فقد تزيد وقد تنقص إلى حد الصفر، وعن مثل هؤلاء المفلسين يقول الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (أترى هؤلاء الذين يلبّون، والله لأصواتهم أبغض إلى الله من أصوات الحمير)(1).ويعلل الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ذلك في صحيحة(2) الفضيل حينما نظر الى الناس يطوفون حول الكعبة قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا ألينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم) ثم قرأ هذه الآية {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} (إبراهيم:37) وفي تفسير العياشي عند هذه الآية عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت ويعظموه لتعظيم الله إياه وأن يلقونا حيث كنّا نحن الادلاء على الله)(3).

وهذا الحج الشكلي الخالي من الغرض الحقيقي هو ما حصدوه من ابتعادهم عن الامام الحق، عن الفضيل عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم)(4).

وان مكة تشرفت باحتضانها للمعصوم لذا أقسم بها مقيدة بوجوده {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} (البلد:1-2) ومن لطف الله تعالى بعباده حضور المعصوم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بنفسه في موسم الحج كل عام لتبقى الشعائر



---

1- وسائل الشيعة: 9 /57.

2- الكافي: 1/ 322/ح1.

3- تفسير العياشي: 2/ 333/ح39.

4- بحار الأنوار: ج23/ 89.

محتفظة بقيمتها المعنوية وليحظى الحجاج ببركات وجوده روي عن عبيد بن زرارة قال:سمعت أبا عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يقول:(يفقد الناس إمـامهم فيشـهدو الموسم فيراهم ولا يرونه)(1) وفي كتاب اكمال الـدين بسـنده عن السـفير الثاني محمـد بن عثمان العمري قال (سـمعته يقول:والله إن صاحب هـذا الأمر يحضـر الموسم كل سـنة فيرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه)(2).ولهذا يقف الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) امام الطاغية يزيد ويعلنها صريحة واضحة (أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا)(3).

أيّ انا صاحب هذه المشاهد المشرفة والوريث الحقيق لها والمولود الطبيعي للقائمين عليها من لدن إبراهيم الخليل إلى النبي الأكرم محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأنا أولى بولاية أمور الأمة وسياسة شؤون العباد والبلاد.



---

1- كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق: 1/ 379/ح49

2- وسائل الشيعة: 11/ 135- أبواب وجوب الحج وشرائطه، باب46/ح8-9.

3- بحار الأنوار: 45/ 138.

## القبس /103: سورة الحج:32

### اشارة

{ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّم شَعَٰئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقوَى ٱلقُلُوبِ}

### موضوع القبس:احياء الشعائر الدينية

نحاول فهم الآية ودلالتها وما نستفيده من دروس من خلال نقاط:

1- (شعائر) جمع (شعيرة) وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة(1):يُقال للواحدة (شَعارة) وهو أحسن من (شعيرة) وهي العلامة الدالة التي تُدرك ولكن بلطف ودقة، فشعائر الله كل ما دلّ على الله تعالى وكان علماً لطاعته والاشعار:الاعلام من طريق الحس، و(المشاعر) المعالم جمع (مشعر) وهي المواضع التي اشعرت بعلامات.

وتتضمن معنى الدقة واللطافة لذا سمي (الشَعَر) لدقته(2)، والشعور دقة الادراك، والشاعر لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره.

فهذه المناسك والشعائر والمشاعر رموز تعبّر عن التوجه الى الله تعالى وطاعته وتوصل الى التقوى التي هي الغاية من الشعائر فهذه الشعائر وسائر الاعمال لها قوالب شكلية وإنما تكتسب أهميتها من تحصيل حقائقها، لذا جعل تعظيم



---

1- معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: 3/ 194

2- والشعار: هو الثوب الرقيق الذي يلي الجسد ويلامس الشعر ويقال في لغة العرب للقريب الملاصق للمودّة (أنت الشعار دون الدثار) أي اللباس الملاصق وليس الخارجي.

الشـعائر من حركة القلوب وتكاملها وليست مقتصـرة على حركات الجسد وأعضاء الجسم، فلينتبه الى هذه الحقيقة من يريد تعظيم الشعائر بصدق فالمنافقون والفاسـقون قد يؤدون الشعائر الشكلية كما كانوا في زمان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يحضرون الصلاة في المسجد ويخرجون في الغزوات لكنها لا قيمـة لها لأنها خاليـة من التقوى.وقد أمرنا الله تعالى باحترامها وتقديسـها وحفظ حدودها، قال تعالى {يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَـعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ} (المائـدة:2) أي لاـ تنتقصوهـا ولاـ تنتهكوا حرمتها ولا تضـيعوها، وما دام تعظيم الشعائر من تقوى القلوب، فأن من لم يعظم شعائر الله فانه من اهل القلوب القاسية التي لم تذق حلاوة التقوى.

2-وقـد ورد تعظيم الشـعائر مطلقاً في الآيـة ولم يُحـدَّد بشـكل معين فتشـمل التعظيم بالمشاركـة فيها والدعوة اليها والتعريف بحقيقتها أو المساهمة بالمال او التشجيع والدفاع عنها ضد من يشوهها ويخذَل الناس عن المشاركة فيها وينتقصها ونحو ذلك.

والتعظيم ليس له صيغة خاصة وانما هو لكل شعيرة بحسبها فقد يكون بالاهتمام بها واعطائها الأولوية في حياة الانسان، {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

(التوبة:24)، وقد يكون بانتقاء افضل افرادها كما في قوله تعالى {لن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} (آل عمران:92).3-ولأن الشعيرة ما يدرك بدقة ولطافة فأن حقائق هذه الشعائر ومعانيها تخفى على غير الفطن الواعي الذي يهديه الله بلطفه فالحج الذي كله شعائر ومشاعر قال تعالى {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ} (الحج:36) وقال تعالى {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللّهِ} (البقرة:185) والآية محل البحث وردت في سياق مناسك الحج وقال تعالى {فإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} (البقرة:198).

تعرّض للتشكيك والاستهزاء والسخرية وكان بعض الزنادقة الملحدين يحضر موسم الحج(1) ويقول:الى متى تطوفون بهذه الأحجار لأنهم لم يـدركوا المعاني الروحية فيها وحقائق هذه الأفعال التي تدعو الى التوحيد الخالص ونبذ الشـركاء، وأنى لأحد أن يدركها إلا ان يكون من أصحاب القلوب التقية العارفة بحقائق هذه الأفعال، وهكذا الشعائر الحسينية تتعرض للتشكيك والانتقاص والازدراء لنفس السبب وغيره.

4-الضـمير في قوله تعالى (فأنها) يمكن أن يعود الى الشـعائر نفسها فأنها من التقوى، ويمكن أن يعود الى التعظيم وقد جمع ليكون مناسباً للشعائر

أي فأن هذه التعظيمات من تقوى القلوب.

5-ومن أهم الشعائر التي أمرنا بتعظيمها الاحكام الشرعية والقوانين الإلهية



---

1- أنظر: أصول الكافي- الشيخ الكليني: 1/ 74/ح2

في كل شؤون الحياة ومفاصل المجتمع فان الالتزام بهـذه القوانين واقامتها بين الناس ودعوتهم اليها والدفاع عنها هو من تعظيم شـعائر الله الـذي هو من تقوى القلوب، وان من يقف في طريق إقرار هـذه القوانين وأخـذ الـدين دوره في حياة الانسان والمجتمع تحت خديعة (الدولة المدنية) وامثالها هو ناقص الورع والتقوى.6-وتعظيم الشعائر الإلهية واجب على الجميع بالمقدار الذي يتحقق فيه المطلوب، الى درجة انه إذا تقاعس الجميع وجب على ولي الامر إجبارهم عليه ففي روايـة صـحيحة عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (لو أن الناس تركوا الحج لكـان على الوالي ان يجبرهم على ذلـك وعلى المقام عنـده، ولو تركوا زيارة النبي (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لكان على الوالي ان يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لـم يكن لهـم أموال انفق عليهم من بيت مال المسلمين)(1).

ومن زيـارة النبي (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نتوسع الى زيـارة الائمـة المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَـمُ) وتعظيم مشاهـدهم المشـرّفة لانهـا سـبب لتحصيل الألطاف

الإلهيّة مما لا يمكن تحصيله في أي موضع آخر.

وانقل لكم هـذه الروايـة التي تـدل على مـدى اهتمام الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بالشـعائر والمشاعر الإلهية، وموضوع الرواية الحرم الحسـيني المطهر ففي كتاب الكافي لثقـة الإسـلام الشـيخ الكليني عن أبي هاشم الجعفري - وهو من أصـحاب الائمـة المخلصـين ومن ذرية جعفر الطيار - قال:بعث أليَّ أبو الحسن الامام الهادي



---

1- وسائل الشيعة، كتاب الحج، أبواب وجوبه وشرائطه، باب 5ح2.

(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في مرضه فما زال يقول ابعثوا الى الحير- أي الحائر الحسيني - فقلت له:جعلت فداك أنا اذهب الى الحير فقال:أنظروا في ذاك - أي تـدبروا الأمر جيداً واختاروا رجلاً مناسـباً لأن المتوكل العباسـي كان ينزل أشد العقوبات بزائري قبر الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- ، قال أبو هاشم فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال:ما كان يصـنع في الحير وهو الحير - أي ان الامام الهادي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هو الامام المعصوم الحجة من الله تعالى فما حاجته الى التوسل بقبر جده الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) - ، فقدمت العسكر- أي سامراء والامام فيها - فدخلت عليه فقال لي أجلس حين أردت القيام فلما رأيته أنس بي ذكرت له قول علي بن بلال فقال لي ألا قلت له - ان رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كان يطوف بـالبيت ويقبّل الحجر، وحرمـة النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والمؤمن أعظم من حرمـة البيت وأمرهُ الله عز وجل أن يقف بعرفـة، وإنما هي مواطن يحب الله أن يـذكر (وفي رواية: يتعبد) فيها فأنا أحبُ أن يُدعى لي حيث يحب الله أن يُدعى فيها)(1).ومن هذا الوجوب نستنتج انه علينا ان نراقب واقعنا بدقـة فإذا وجدنا فريضة وشـعيرة الهية معّطلة او تقاعس المجتمع في أدائها كصـلاة الجمعة او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، او إقامـة القوانين الإلهيـة فعلينا المبادرة لإحيائها، وكـذا اذا وجدنا احد المشاعر المقدسة مهجوراً فعلينا اعماره بالزيارة والدعاء والـذكر كالتقصـير الذي حصل في زيارة الامامين العسـكريين بعد التفجير الاجرامي والفتنة الطائفية عام 2006 او الشـعائر الفاطمية التي نهضتم لإحيائها منذ عام 2006-1427 وكذا الشعائر الزينبية التي وفقتم للمشاركة فيها.



---

1- بحار الانوار: 50/ 225 عن الكافي: 4/ 567-568 ح3.

7-ورد في الرواية أعلاه أن (حرمة المؤمن أعظم من حرمة البيت) فأذن من تعظيم الشعائر احترام المؤمنين وإكرامهم والتواضع لهم وقضاء حوائجهم خصوصاً إذا كانت له مزيـة اضافية ككونه احد الوالدين او من الارحام او الجيران او من وأهل العلم والفضل ونحو ذلك فلا تغفلوا عن هذا المعنى، ولا تخسروا هذه الفضيلة وتتنازعون بينكم من اجل المال او كلمة قيلت او أي سبب آخر للنزاع والتباغض والتباعد.

8-ان الشـعائر أضـيفت الى الله تعـالى (شـعائر الله)، فالشـعائر والمشاعر لا تكون مقدسـة وموصـلة الى تقوى القلوب الا اذا كانت بحجة شرعية من الله تعالى وتقع ضـمن الاطار الإلهي العام الذي رسـمه المعصومون (سلام الله عليهم)، اما بعض الطقوس المبتدعة فقد تكون جائزة اذا لم تحرم بعنوان ثانوي كالأضرار بالبدن او تشويه سمعة المذهب، لكنها ليست مقدسة ولا راجحة لانها ليست من الله تعالى.

وكذا ظاهرة انتشار الكثير من القبور المنسوبة الى أولاد وبنات الائمة الطاهرين من دون وجود دليل يثبت صـحة هذه النسـبة فهي وهمية لا مسـتند لها وقـد توضع اساطير وقصـص خرافيـة او تحكى منامات لبعض العجائز كدليل على قدسـية هذه القبور، وهي في الحقيقة ليسـت مشاعر مقدسة ولا يجوز زيارتها لأنها ليست من شعائر الله تعالى.

## ملحق:إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية

يشكّك البعض بجدوى حضور الملايين في الزيارات، كعاشوراء والأربعينية ويناقش في صرف الأموال الطائلة لخدمة الزوار وتوفير احتياجاتهم، وينطلق بعض هؤلاء من التأثر بالأجندات الغربية التي لا تفقه الآثار المعنوية لهذه الحركة المباركة على الفرد والمجتمع.

فيجب أن نكون نحن على ثقة عالية بشريعتنا وشعائرنا التي باركها الشارع المقدّس، فنجيب على هؤلاء بمستويين من الجواب، يُسمى الأول في مصطلح الحوزة العلمية بالجواب النقضي، أي الرد على الإشكال بإشكال مثله من واقعهم وممارساتهم، ويُسمّى الثاني الجواب الحلّي بتقديم الدليل على جدوى هذه الشعائر وبيان الآثار المباركة التي تثمرها.

والجواب على المستوى الأول هو بما يصدر منهم هذه الأيام بمناسبة الاحتفالات برأس السنة، حيث تسود العالم الغربي وغيره احتفالات صاخبة ومهرجانات والعاب نارية وسفرات من غرب الأرض إلى شرقها وشراء هدايا (عمانوئيل) وأمثالها(1) من الممارسات التي تصرف فيها مليارات الدولارات بلا معنى عقلائي يمكن الاقتناع به إلا تسويلات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء من



---

1- من تلك المراسيم في فرنسا احراق السيارات حيث أحرقت 1193 سيارة ليلة 1/ 1/ 2013 بحسب وزير الداخلية الفرنسي مانويل فالز وقال: إن العدد قريب من عدد السيارات التي أحرقت في سنوات سابقة حيث تحوّل إحراق السيارات ليلة رأس السنة إلى عادة لدى الفرنسيين منذ بضع سنوات وأحرقت ليلة 1/ 1/ 2010 (1147) سيارة ولم تُعلن إحصائيات 2011، 2012 حيث تحفظ وزراء اليمين في حينها عن إعلان الأرقام.

المتع واللذات الوقتية الكاذبة، وكان الأجدر بهم صـرف هذه المليارات على جياع أفريقيا وتنمية اقتصاديات الدول الفقيرة وإنشاء المشاريع المفيـدة في الـدول التي يتبـاكون على فقرها وابتلائها بالأمراض الفتاكـة والحروب والمشاكل الاجتماعية.هـذا غير ما يصـرف من مليارات أخرى على غيرها من الفعاليات غير العقلائيـة كالدورات الأولمبية وبطولات كأس العالم مما يثقل ميزانيات الدول بمبالغ طائلة، وبين أيدينا اليونان التي اشترطت عليها الولايات المتحدة أموراً عند تنظيمها الدورة الأولمبية عام 2004 ولم تستطع واردات السياحة سدّها فغرقت في ديون باهضة شارفت بسببها على الإفلاس.

فالأولى بهؤلاء المنتقـدين أن يعترضوا على هـذه الممارسات والفعاليات التي لا فائـدة فيها إلا متعة ولذة -كما يزعمون- وهي وقتية بمقدار لحظتها ووهمية ويبقى الفرد يعاني بعدها من مشاكل نفسـية واقتصادية أيضاً لأن أغلب أفرادهم يقترض ليقوم بتلك السفرات أو شراء الهدايا ونحوها. فهؤلاء المعترضون ينطبق عليهم المثل المعروف بأنه يرى القذّة في عين الغير ولا يرى الجمل في عينه.

أما على صعيد المستوى الثاني من الجواب فقد تضمّنت خطاباتنا السابقة ذكر العديد من تلك الآثار المباركة، نشير إليها باختصار، وتُراجَع التفاصيل في مواضعها.(1)

1-إن التوجّه سـيراً على الأقـدام من مسافات بعيـدة مع ما يرافقه من العناء والمشـقّة فيه تعبير عن عميق المودّة والولاء للإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) التزاماً بقوله تعالى {قُل



---

1- راجع خطاب المرحلة: 4/ 14، 227- 238 وفي مواضع أخرى من الكتاب.

لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى:23).2-إنّ فيه إظهاراً لعظمة الإمام المقصود بما عظّمه الله تعالى، كما سار الإمامان الحسن والحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ماشيين إلى مكة المكرمة تعظيماً لبيت الله الحرام.

3-إنّ فيها إدخالاً للسرور على قلب النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأهل بيته المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ومواساة لهم على عظيم مصابهم، وفيه إحياء لأمرهم والتزام بما وجهوا إليها (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا) (1).

4-الثواب العظيم الذي رصد لمن يقصد زيارة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ماشياً وقد وردت في ذلك روايات عديدة منها عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من أتى قبر الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة).(2)

5-إنها وسيلة هداية للآخرين، فقد اهتدى بشعائر الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلى الحق كثيرون وعادوا إلى الصلاح والرشد في حين عجزت كل الوسائل عن إصلاحهم، وهذه من بركات الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فإنه (مصباح هدى وسفينة نجاة)(3).

6-إنها توحّد الأمة بكل طوائفها وقومياتها وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية



---

1- عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- الشيخ الصدوق: 2/ 275/ح69,- الكافي- الشيخ الكليني: 8/ 80/ح37
2- راجع الروايات في وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب المزار وما يناسبه، باب 41.
3- عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- الشيخ الصدوق: 2/ 62/ح29

ومختلف انتماءاتها الجغرافية والعشائرية، وهذا واضح حيث يذوب الجميع في حب الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وبعضهم لبعض مما يستحيل تحقيقه في غير هذا الهدف قال تعالى {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} (الأنفال:63).7-إنّ المسيرات السلمية وسيلة حضارية تتبعها كل الأمم المتحضرة لإلفات النظر إلى قضاياها والمطالبة بحقوقها ودفع الآخرين للسؤال والفحص عن المشروع المحرِّك لها، وهذا ما تحقق إذ صار العالم كله يتساءل اليوم عن الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) والشيعة، والسؤال مفتاح الوصول إلى الحقيقة.

8-إنها تحبط محاولات الأعداء المتنوعين التي تستهدف الشعب العراقي الأبي وهذا البلد الكريم، لإفساده وإخضاعه وإرعابه وتدجينه وسلخه من هويته الإسلامية الأصيلة، فقد حاول الإرهابيون بكل وسائل القتل والتدمير والجريمة إخافته، وحاول الاحتلال تدجينه وتحويله إلى جزء من مشروع الشرق الأوسط الكبير بل رأس الحربة فيه، وحاولت تقنيات الإغراء والغواية والتضليل إفساده وإبعاده عن إسلامه الأصيل ففشل الجميع، ببركة هذه المسيرات المليونية.

9-إنها ممارسة تعبوية تحافظ على جاهزية الأمة وحضورها في الميدان على الدوام وبدونها يصاب الشعب بالخمول والكسل والاسترخاء فيكون مكشوفاً وهدفاً سهلاً لكل استهداف.

10-إنها تقوّي الإرادة والتحمل وتوطين النفس على الصعاب مما يعجز عن

تحقيقه أي ممارسة أخرى وتشكّل بذلك فقرة مهمة من عملية الاستعداد لنصرة الإمام الموعود (عجل الله تعالى فرجه) والمشاركة الفاعلة في التمهيد لدولته المباركة ونصرته.11-إن أجواء الزيارة والمشاعر الروحية فيها تعطي للنفس زاداً معنوياً وحصانة وغذاءاً روحياً يبقى تأثيره ولذته إلى أمد بحسب استحقاق كل شخص واستعداده، وكما يقال بحسب سعة إنائه ووعائه فإنه يغترف من هذه الألطاف الإلهية {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} (الرعد:17).

12-بهذه الحركة المليونية يبرز الشعب العراقي انتماءه للإسلام ولمذهب أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ويبرز هويته في عملية إحصاء سكّاني صادق ودقيق لا يقبل الخطأ والتزوير وليردّ بذلك على بعض الجهات التي تحاول القفز على الواقع وتدّعي خلافه.

وقد وردت الإشارة إلى جملة من هذه الآثار المباركة في دعاء الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لزوار أبي عبد الله الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في الرواية المعتبرة عن معاوية بن وهب البجلي وفيها (اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبيَ الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم واشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا ورجاءاً لما عندك في وصلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافئهم عنّا بالرضوان)(1) إلى آخر الدعاء.



---

1- مفاتيح الجنان: 484 فضل زيارة الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

## القبس /104: سورة الحج:40

### اشارة

{وَلَولَا دَفعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعضَهُم بِبَعض}

### موضوع القبس:سنة التدافع

### من السنن الإلهية:

قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:251).

وقال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج:40).

تكشف هاتان الآيتان عن سنة إلهية عظيمة وفريضة واجبة على المسلمين وهي سنة التدافع أي دفع الكفر بالإيمان، والشر بالخير، والفساد بالصلاح، والباطل بالحق، والمنكر بالمعروف، وتظهر عظمة هذه السنّة من اندراج فريضتين عظيمتين تحت عنوانها وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مضافاً الى الطاعات الاخرى كالدعوة الى الخير والنصيحة والارشاد والموعظة.

ص: 198

## من وحي القرآن:

وهنا نلتفت إلى عدة أمور نستوحيها من الآيتين الكريمتين:

1-جعل هـذه السـنة الإلهيـة من منن الله تعالى وأفضاله على العالمين في الآيـة الاولى، رغم أن هـذا التـدافع يقتضـي حصول تضـحيات بالأرواح والأموال ومفارقـة الأهل والأوطان وبـذل الجهود الكبيرة لأنها حرب مسـتمرة ضارية، وتفسـير ذلك بوجوه يأتي احدها ونذكر هنا وجهاً ذكرت الآية حاصـله انه لولا هذا الدفع لامتلأت الأرض بالشـر والفساد والظلم والكفر ولم تسـتقم فيها حياة إنسانية كريمة، ولأزيلت كل مظاهر الخير والصلاح التي أشير إليها في الآية الثانية بأسماء دور العبادة والذكر في الديانات التوحيدية.

2-مادام هذا التدافع سـنة إلهية فهي ثابتة وحتمية {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً} (الأحزاب:62) {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} {فاطر:43) ولا يمكن التخلص من هـذه المواجهـة بالهروب من الواقع أو الانزواء أو غض الطرف ودفن الرأس في التراب، لأن النتيجـة حينئذ ما ذكرته الآية الشريفة.

وإن هـذه المواجهة مسـتمرة ولا تقتصـر على زمان ومكان محدودين، لأنّها مرتبطة بوجود الناس على هذه الأرض وانقسامهم إلى فريق في الجنة وفريق في السعير.

3-يظهر من الآـيتين أن الغرض من التـدافع ومنه الجهـاد بل العمل الإسـلامي عموماً هو تثبيت كلمـة التوحيـد وحفظ شـعائره ومشاعره، وإخراج النـاس من عبادة العبيـد وتحريرهم ليكونوا عباداً لله تبارك وتعالى ولم يُشـرّع القتال والتـدافع بأي نحو كان -ومنه التـدافع والتنافس السياسي- طلبا لدنيًا أو مال

أو توسيع سلطة ونفوذ أو أي مغانم أخرى غير رضا الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمته خلافاً لأهداف غير الربانيين فإنها لتلك الأهداف الدنيوية وهذا يجيب عن الإشكالات عن تشريع الجهاد في شريعة الإسلام.ما قلناه آنفاً يدعونا إلى تصحيح مقاييس النصر والربح والنجاح في ثقافتنا:

ظنّوا بأن قتلَ الحسينَ يزيدُهم كذبوا فقد قتلَ الحسينُ يزيدا(1)

وان نرتب أولوياتنا بشكل صحيح ونعرف بماذا نضحي ومن اجل ماذا نضحي بعد معرفة الأهم والمهم، إذ يظهر من الآية أنّ الهدف الأسمى هو إعلاء ذكر الله تعالى وإقامة شريعته ويهون دون ذلك القتل والقتال والتدافع بكل أشكاله وبذل كل شيء، وليس العكس بأنّ يُجعل الدين وسيلة لكسب الدنيا.

4-وان الدفع يعني عدم إمكانية اجتماع الطرفين المتدافعين معاً كالمعروف والمنكر أو الحق والباطل بل إن كلاً منهما يسعى لإزالة الآخر واجتثاثه، فلا مجال للمداهنة ولا لأنصاف الحلول لتصادم الأحكام والتشريعات الإلهية مع القوانين الوضعية التي تخضع للأهواء والنزوات، لأنّهم لا يرضون إلاّ بمحو الدين وإلغاء هوية أهله التي عبّرت عنها الآيتان بالهدم، وقال تعالى عنهم {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} (البقرة:120)

5-إن الله تعالى قادر على إعزاز دينه ونصرهِ بقدرته اللامحدودة



---

1- ديوان الوائلي للشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله): 111

فيقول للشيء كن فيكون ويقطع دابر الفساد والكفر والشر، إلا انه تعالى أبى الا ان تسير الأمور وفق أسبابها الطبيعية {وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} (محمد:4)، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} (المائدة:48)، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} (الأنفال:42)، فجعل تعالى دفع الأشرار بعمل الأخيار وحركتهم المباركة مع تأييد الله تعالى وإمداده {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال:62)، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} (الحج:38) {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} (الحج:40)، فلابد إذن وفق هذه السنة الإلهية من عمل دؤوب متواصل.وحذّرت الآيتان من التقاعس عن العمل والمرابطة في مواجهة قوى الشر والانحراف والفساد لان النتيجة تسلّط الطواغيت والفسقة وخلوّ الساحة لهم وهو ينطبق على الحديث النبوي الشريف (لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)(1) ويقوم هؤلاء الأشرار باستعباد الناس ومحو كل شعائر الدين ومشاعره وشعاراته، ورمزها ومجمعها الذي اشارت اليه الآية الشريفة المساجد فيعملون على هدمها وتخريبها.

6-إن هدم المساجد لا يقتصر على المعنى المادي أي إزالتها من وجه الأرض إذ قد يكون التخريب معنوياً - وهذا هو الأخطر- وذلك بحرمان الناس من بركاتها وتعطيل دورها الذي ذكرته الآية الشريفة بأنّه يُذكر فيها الله كثيراً وتُتلى فيها آياته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والمساجد



---

1- وسائل الشيعة: 16/ 118 ح11.

هي مراكز تجمع المسلمين وتعارفهم وتحشيد قواهم ونشر الوعي بينهم وتهذيب أخلاقهم وتعليمهم الدين. وهذا التخريب المعنوي هو ما يلجأ إليه الطواغيت والمنافقون المتستّرون بالـدين فهم يعمّرون المساجد مادياً إلاّ أنّهم يفرغونها من محتواها وتأثيرها في حياة الأمة كالذي شهدناه ايام الرئيس المقبور صدام وامثاله.

وقد يكون تأثير مساجد المنافقين معادياً للدين القويم {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}(التوبة:107) وهذا شاهد على ما قلناه من كون التخريب المعنوي اخطر.

7-وبناءاً على ما قلناه من ان التخريب المعنوي هو الاخطر وانه قد يكون من المتسترين بالدين من نفس المسـلمين فان سـنة التدافع تجري داخل المجتمع المسـلم ايضاً وليس فقط مع الاعـداء الخارجيين وتكون حينئذٍ مع من يحرّف الدين ويداهن فيه ويعرقل مسـيرته ويحارب المصـلحين ويقف حجر عثرة في طريق الإصلاح مكتفياً بشكليات الدين ومظاهره الخارجية، كالذين واجههم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وكانوا من العناوين الكبيرة في المجتمع المسلم، خصوصاً بعد الالتفات إلى الوصف الذي أعطته الآية للمساجد، والذي لاينطبق على اولئك المتسترين بالدين .

8-لا بدّ ان يلاحظ في آليات التدافع مناسـبتها لما يستعمله العدو، لأنّه إذا لم يكن مناسباً ومكافئاً للعدو فلا يعتبر دفعاً ولا تدافعاً، فإذا كان عمل

العدو وهدمه فكرياً فلابد من دحضه بفكر مثله وان كان إفساده أخلاقياً فلابد من مواجهته بحملة مثلها، وهكذا إن كان سياسياً أو إعلامياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو عسكرياً ونحو ذلك فانه يقابل بمثله.9-إن الله تبارك وتعالى لطيف بعباده ولا يتركهم سدى فريسةً بأيدي شياطين الانس والجن بل يقيّض من عباده من ينهض بهذا الحمل الثقيل لذا نسب تعالى الدفع إليه فهو الذي يدفع الناس بالناس، وهذا المعنى من قبيل ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال:(يحمل هذا الدين في كل قرن عُدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين)(1) واذا تقاعس قوم عن اداء واجباتهم فان الله تعالى يوفّق غيرهم لهذه الطاعة قال تعالى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (محمد:38).

10-الوعد الإلهي لعباده العاملين المخلصين بالنصر وتأكيد ذلك بعدة مؤكدات في الآية، كاللام ونون التوكيد في قوله تعالى {وَلَيَنْصُرَنَّ}، نعم قد يتأخر النصر لحكمة إلهية كحماية المؤمنين من العجب او لتعريضهم لمزيد من البلاء لإنضاجهم وتأهيلهم، أو لكي يستشعروا أهمية وقيمة النصر، وقد يحقق الله تعالى النصر للمؤمنين لكن على نحو لا يفهمه الناس لاختلال القيم والمقاييس عندهم، وعلى اي حال فان هذا النصر مشروط بإخلاصهم لله تعالى وصدقهم في



---

1- رجال الكشي: 2، وروى البرقي في المحاسن مثله وفيه (فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (بحار الأنوار: 2/ 92 عن بصائر الدرجات 30/ 1 :، باب 6، ح 7.

ما عاهدوا الله عليه، فقد وضحت الآية التالية للآية الثانية التي فيها الوعد بالنصر من ينصرهم الله تعالى بقوله سبحانه {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}(الحج:41).11-ورد في الروايات معنى آخر للدفع يناسب قوله تعالى {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:251) لأنّ فيه منّة من الله تعالى، ففي رواية عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قَالَ:(إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يصوم منهم عمن لا يصوم من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصيام لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم، ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله تعالى{وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ})(1).

12-إنّ الدفع وإن كان في المصطلح يعني مقاومة الشيء بعد وقوعه، إلا أن معناه هنا أوسع فيشمل ما يعرف بالرفع أي منع وقوع الفساد والظلم والانحراف أصلاً، بل أن العمل على النحو الثاني هو الذي يجب أن نفكر فيه ونضع خططنا له على طريقة الحكمة القائلة (الوقاية خير من العلاج) فتهيئة أسباب الصلاح والبيئة المساعدة لانتشاره وإقناع الناس به مقدَّم على انتظار وقوع المنكر



---

1- البرهان : 2/ 145 نقلا عن تفسير العيّاشي1. 446/ 135.

ثم التفكير في كيفيـة إزالته ومعالجته.وهـذا مبدأ مهم سار عليه قادة الإسـلام العظيم فمن قصار كلمات امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ازجر المسيء بثواب المحسن)(1) وروي عن الامام الحسن المجتبى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله (السـداد دفع المنكر بالمعروف)(2) فالأولى أن تكافئ المحسن وتشجّع العامل الصالح لتحفّز غيره على الإحسان وإتقان العمل ولا يبقى مجال ليفكّر بالعمل السيء وتعريض نفسه للعقوبة.

13-ولابد ان نلتفت الى ساحة اخرى للتدافع وهو الذي سـماه النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الجهاد الاكبر وهي ساحة النفس التي يتصارع فيها جنود الرحمن مع جنود الشـيطان لتحسم المعركة بانتصار ارادة الخير او ارادة الشـر، والاولى مؤيدة بالألطاف الالهية والبصيرة والعقل والمعرفة والعزم والحكمة، والثانية مزودة بالشهوات و الاهواء والميول النفسية.

روي في الكافي انه كان عنـد الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال الامام:(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (اعرفوا العقل وجنـده والجهل وجنـده تهتـدوا) قال الراوي جعلت فداك لا نعرف الا ما عرفتنا، فذكر الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ان الله تعالى اعطى لكل منهما خمسة وسـبعين جنداً وقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر)(3) الى اخر الحديث.



---

1- نهج البلاغة، ح4، قصار الكلمات رقم 177 عن روض الاخيار/ 41.

2- مستدرك الوسائل: 12:438: ح:14562حلية الاولياء لابي نعيم: حديث 1462.

3- اصول الكافي : كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ج1/ح14.

## الدعوة النبوية وسنّة التدافع الخارجي:

لقد جسد النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في رسالته الإسلامية هذه السنّة -أي سنّة التدافع- بأوضح مصاديقها وبأشكال متنوّعة فكانت دعوته (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من أول أمره تستند إلى عقيدتين متلازمتين هما إثبات الإلوهية لله تعالى ونفيها عمّا سواه، وكان شعار دعوته المباركة (قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا)(1) فلم يقتصر على القضية الأولى -أي إثبات الإلوهية لله تعالى- ما لم تنضم إليها الثانية وهي رفض الوهية غيره لتكتمل عقيدة التوحيد، وإلاّ فإنّ المشركين كانوا يقولون بوجود الله تعالى وخالقيته ورازقيته {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (العنكبوت:61) {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (العنكبوت:63) وغيرها. فالمشركون لم يعترضوا على هذا المقدار وكان بين ظهرانيهم أحناف موحّدون وأتباع الديانات السماوية لكنّهم أعلنوا العداء بضراوة والحرب على النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأنّه دفع عقيدتهم وألغاها.

وقد بدأ النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) التدافع بالجهر برفض تلك العقيدة الباطلة وقداستها المزيّفة التي صنعها المنتفعون بها وتلاه الإجراء الآخر وهو مباينة أهلها {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} (الكافرون:1-3)، ثمّ بالاستدلال على بطلانها وردّ دعاؤهم والإجابة على إشكالاتهم.



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 18/ 202

وهكـذا تـدرّجت وتنوّعت آليات التـدافع والمواجهة حتّى أذن له (صَـلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بالقتال بعد أن مكّنه الله تعالى من زمام الأمور في المدينة المنّورة {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (الحج:39) حتى فتح الله تعالى عليه الفتوح المبينة وعمّت رسالته المباركة شرقها وغربها.

## التدافع الداخلي:

هذا على صعيد التدافع الخارجي أما على مستوى التدافع الداخلي فإجراءاته مع المنافقين معلومة وهدمه وإحراقه لمسجدهم الذي اتّخذوه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين في الرواية الموجودة في سبب نزول الآية المذكورة.

وسار على نهجه سـبطه الشـهيد الإمام الحسـين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فأقام بخروجه المبارك هـذه السـنة الإلهيـة إذ انه لم يتقاعس ولم يـذعن ولم يستسلم لبطش بني أمية وطغيانهم، ونهض بمسؤوليته وقام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ليدفع المنكر والباطل، ولولا قيامه المبارك لنقض بنو أمية الإسلام عروة عروة ولتحقق المحذور الذي اشارت اليه آيتا التدافع حتى لا يبقى من الإسـلام إلا اسمه ومن القران إلا رسمه، وقد قطعوا شوطاً واسعاً في هذا المجال لولا ان الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قلب الأمور عليهم وأعاد للإسلام وجوده ومضمونه ونقاءه وحيويته:

إن كان دين محمدٍ لم يستقم *** إلا بقتليَ يا سيوفُ خذيني(1)

وقد حقق الله له (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وعده بالنصـر فها هو ذكره المبارك يملأ الخافقين ويهدي الناس إلى الحق ويحفظ دين الإسلام عزيزاً كريماً والمسلمين مرفوعي



---

1- بيت من قصيدة للشاعرالكبير الشيخ محسن أبو الحب <ت1305ه->

الرأس، وأصبحت قضية الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من أعظم الحوادث التاريخية على الإطلاق وأعظمها انتشاراً، وها هي المسيرة المليونية في زيارة الأربعين شاهد على الكرامة والعزة والحرية والرفعة.ايها الاحبة:

إنّ من أفضل أشكال التأسي برسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وبالإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إحياء هذا القانون الإلهي العظيم في كل ساحاته سواء داخل كيان المجتمع المسلم أو خارجه وبالآليات المناسبة لكل مواجهة، ولا يسعنا القعود عن هذه الوظيفة المباركة وإلاّ ضاع الدين واضمحل كيان الإسلام كما نبّأت به الآية الشريفة، ومن تخلف عن هذه المواجهة لم يبلغ الفتح، كما قال الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في رسالته(1)، قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (محمد:38).



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 44/ 330

## القبس /105: سورة المؤمنون:96

{ٱدفَع بِٱلَّتِي هِيَ أَحسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ}

من أخلاق الإسلام التي حثّت عليها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة العفو والصفح عمّن اساء اليك وظلمك وجرح مشاعرك وأن تقابل هذه السيئة بالحسنة، وقد بلغت الآيات بالعشرات والأحاديث بالمئات، ومنها قوله تعالى {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (فصلت:34-35) وقال تعالى {وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} (الرعد:22) وقال تعالى {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} {المؤمنون:96).

وتصرح الآية الأولى أن من ثمرات هذا الخلق الكريم راحة النفس وصفاء البال وانتشار المودة والمحبة بين الناس بحيث نستطيع تحويل العدو إلى صديق حميم بهذه الاخلاق.

وقد جعلته الآية الثانية علامة مميزة لأولي الالباب الذين لهم مقام محمود عند الله تعالى.

ولما ابتعد المجتمع الإسلامي عن هذه الاخلاق رجع امره الى التشتت والتنازع والفرقة والاختلاف إلى حد الاقتتال وازهاق الأرواح، فان هذه النزاعات

كـان يمكن نزع فتيلها والقضاء عليها من أول الأمر بالعفو عن الإساءة ومقابلـة السـيئة بالحسـنة.إن هـذه الاخلاق الإسـلامية هي أساس ما يعرف اليوم بعلم التنمية البشرية وعلم الانثروبولوجي وفن العلاقات الإنسانية.

وفي الحقيقة فأن عنوان مقابلة السـيئة بالحسـنة له مظاهر عديدة في العلاقات الاجتماعية، ويتحلل إلى اشـكال عديدة من السلوك الإنساني، ففي كتاب الكافي بسـند صحيح عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في خطبته الا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من اساء اليك وإعطاء من حرمك)(1).

فهذه الأنماط الأربعة من السـلوك كلها داخلة تحت هذا العنوان، وفي الكافي أيضاً بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قـال (سـمعته يقول اذا كـان يوم القيامـة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صـعيد واحـد ثم ينادي منادٍ أين أهل الفضـل قـال فيقوم عنق -- أي جماعـة -- من النـاس فتلقاهم الملائكـة فيقولون وما كان فضـلكم فيقولون كنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال:فيقال لهم:صدقتم ادخلوا الجنة)(2).

تصوروا أي منزلة رفيعة يحظى بها أهل هذا الخلق الكريم حيث ينادون من بين مليارات البشـر من الأولين والآخرين ثم يكرّمون امام الملأ العام الواسع بما يسرّهم وفي ذلك اعلان عن أهمية هذا الخُلق.



---

1- أصول الكافي: 2/ 107 باب العفو ح 1

2- أصول الكافي: 2/ 107 باب العفو ح 2

قـد تقول ان الآـخر لاـ يفهم هـذه الاخلاـق ولاـ يتجاوب معها مما يـدفعني إلى مقاطعته، لكن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يحمِّل المظلوم مسؤوليـة القطيعة كما يحمّلها الظالم في تأكيد عجيب على هذه الاخلاق، روي عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث -- أي ثلاثـة أيام -- الا وبرئت منهما في الثالثـة فيقل له:يا بن رسول الله، هـذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقالّ:ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول:انا الظالم حتى يصطلحا)(1).إن حمل النفس على هذه الاخلاق يتطلب شجاعة ومجاهدة للنفس عظيمة وهذا مما لاـ ريب فيه لـذا سّـمي (الجهـاد الأـكبر) ولكنه مع العزم والتوكـل على الله تعـالى والوعي بعواقب الأـمور ييسّـر الأـمر، ومن الأمور التي تستحضـرها لتقوّي عزيمتـك مـا رواه الامـام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن آبائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن رسول الله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (قال عيسى بن مريم ليحيى بن زكريا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) اذا قيل فيك ما فيك فاعلم أنه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه وإن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم انه حسنة كتبت لك لم تتعب فيها)(2). لأن الأمر لا يخلو من أحدى الحالتين وفي كلتيهما يكون الخير لك.

وان كان المفروض بنا كمسلمين أن نسلِّم لما يريده الله تعالى فوراً بلا كلام وعدم الاحتياج إلى مزيد من الكلام لتحصيل القناعة بما يريده الله تعالى.

ويتأكـد هـذا الخُلق بين الاقرباء والارحام، عن عبدالله بن سـنان قال (قلت لأبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):إن لي ابن عم أصـله فيقطعني، حتى هممت لقطيعته إياي أن



---

1- بحار الأنوار:75/ 188 ح 10.

2- أمالي الصدوق:414، المجلسي 77 ح 8 .

اقطعه قال:إنك اذا وصلته وقطعك وصلكما الله جميعاً و إن قطعته وقطعك قطعكما الله جميعاً)(1).وعن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وقد جاءه رجل يشكو اقاربه فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (اكظم غيضك وافعل، فقال:انهم يفعلون ويفعلون، فقال:أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله اليك)(2).

وتبيّن الرواية التالية النكال والعقوبة القاسية التي تحلّ بمن يقابل الحسنة بالسيئة من ذوي الارحام فقد روى الكشي(3) في رجاله بسنده عن علي بن جعفر بن محمد أن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) شاء ان يستأذن عمه ابا الحسن موسى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في الخروج إلى العراق قال:فأذن له، فقام محمد بن إسماعيل فقال:يا عم أحب أن توصيني، فقال:اوصيك أن تتقي الله في دمي -- أي لا تنقل إلى هارون العباسي كلاماً عني يؤدي إلى قتلي -- فقال:لعن الله من يسعى في دمك، ثم قال:يا عم أوصني، فقال:اوصيك أن تتقي الله في دمي، قال:ثم ناوله أبو الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) صرة فيها مائة وخمسون دينارا، فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده; فقلت له في ذلك:ولاستكثرته، فقال:هذا ليكون أوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته، ثم ذكر انه سعى بعمه الى الرشيد وانه يدعي الخلافة ويجيء له الخراج، فامر له بمئة



---

1- الوسائل: 15 / 247 عن أصول الكافي.

2- الوسائل 8/ 393 عن أصول الكافي/469 .

3- اختيار معرفة الرجال- الشيخ الطوسي: 2/ 540

الف درهم ومـات في تلـك الليلـة.فاذا أردنا صـفاء البال وراحـة النفس والسـعادة وبناء المجتمع المتماسك المتحـد المتحابب في الـدنيا وضمان الفوز بالدرجات الرفيعة في الاخرة فلنلتزم بهذه الاخلاق الكريمة.

ص: 213

## القبس /106: سورة النور:22

### اشارة

{وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ}

### موضوع القبس:درس من حياة الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)

في هذه الليلة الأخيرة من شهر رمضان المبارك نأخذ درساً من فعالية كان يقيمها الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في مثل هذه الليلة, وفيها تطبيق وتجسيد لآية في القران الكريم, والأئمة المعصومون (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) كجدهم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كان خلقهم القرآن، والآية قوله تعالى {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور:22).

### لنتعلم تحصيل المغفرة:

فالآية تعلمنا اسلوباً لتحصيل المغفرة الالهية والعفو والصفح، وإن كان الله تعالى متصفاً في ذاته بأنه غفور رحيم ويبتدئ عباده بمغفرته ورحمته وإن لم يكن منهم استحقاق، لكنه تعالى يزيدهم من فضله فيعلمهم أنهم إن أحبوا أن يغفر الله لهم وكل إنسان يحب ذلك إذ ما من عاقل مستعد لملاقاة الله تعالى بعمله من دون فضل الله تعالى وكرمه فعليهم أن يتعاملوا بينهم بالعفو والصفح ويتجاوز بعضهم عن بعض ليحتجوا بذلك على الله تعالى احتجاج انس ومودة وشفقة واستعطاف.

وهذه المعاني عبر عنها الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في دعاء ابي حمزة (اللّهُمَّ إِنَّكَ

أَنْزَلْتَ فِي كِتابِكَ أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنا وَقَدْ ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فَاعْفُ عَنّا فَإِنَّكَ أَوْلى بِذلِكَ مِنّا وَأَمَرْتَنا أَنْ لانَرُدَّ سائِلاً عَنْ أَبْوابِنا وَقَدْ جِئْتُكَ سائِلاً فَلا تَرُدَّنِي إِلاّ بِقَضاء حاجَتِي)(1).

## في العفو والصفح:

وقد جسّد الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هذه الآية في فعالية كان يجريها في آخر ليلة من كل شهر رمضان، فقد روى السيد أبن طاووس في كتاب الاقبال بإسناده الى الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مضمونها باختصار ان الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كان يشتري العبيد والاماء خلال السنة ويؤدبهم ويفقهّم وكان لا يضرب عبداً ولا امة وإذا أذنب احد منهم كتب ذنبه في صحيفة وتاريخها ولم يعاقبه. حتى إذا كانت آخر ليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال:يا فلان فعلتَ كذا وكذا ولم أودبّك اتذكر ذلك؟ فيقول:بلى يا ابن رسول الله، حتى ياتي على آخرهم ويقرّرهم جميعاً.

ثم يقوم وسطهم ويقول لهم:أرفعوا أصواتكم وقولوا:يا علي بن الحسين إن ربَّك قد آحصى عليك كل ما عملت، كما آحصيت علينا ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا احصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فأعفُ وأصفح كما ترجو من المليك أن يعفو عنك، فأعفُ عنا تجده عفّوا، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطّق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما



---

1- مفاتيح الجنان :349 من دعاء ابي حمزة الثمالي.

اتيناها إلا أحصاها.وهوّ ينادي بذلك على نفسه ويلقنّهم، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويدعو بمضـمون ما نقلناه من دعاء ابي حمزة، ثم يقبل عليهم ويقول:قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني اليكم، فيقولون:قد عفونا عنك يا سيدنا وما اسأت.

فيقول لهم:قولوا اللهم أعفُ عن علي بن الحسين كما عفا عنا فأعتقهُ من النار كما أعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك، فيقول اللهم آمين رب العالمين اذهبوا فقد عفوتُ عنكم وأعتقت رقابكم رجاءه للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم.

فإذا كان يوم الفطر منحهم جوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً الى أقل أو أكثر)(1).

## دروس من العفو والصفح:

أقول في الرواية دروس عديدة:

(منهـا) تواضع ائمـة أهـل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وسـمو اخلاقهم وترّفعهم عن الانتقام والرد على الاساءة مضافاً الى اننا تعرفنا من خلالها على احـدى الوسائل التي نشـر الامام السـجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) علوم اهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) ومناقبهم وأخلاقهم ومظلوميتهم لأن هؤلاء العبيد كانوا ينتشرون في الامصار وينقلون ما شاهدوه من سيرة الامام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) .



---

1- المراقبات للملكي التبريزي :199-200.

هـذه كلها اشارات مختصـرة، والمهم هنا تطبيق الآيـة الكريمة على هذا الفعل، فقد كان الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يسـتطيع أن يقوم بهذا العمل سراً بينه وبين ربه فيعفوا عمن أساء اليه ويطلب من الله تعالى العفو إلا ان الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كان يجري العمل علناً ليوصل هـذا الـدرس الى الآخرين ولُينقل عبر الاجيال مضافاً الى أن (العمل بالقلب كما انه عبادة له فإجراء ما فيه على الجوارح ايضاً عبادة للجوارح فعند الاتيان بالجوارح تتحقق العبادة بها ايضاً، وانها تؤثر في القلب تأثيراً خاصاً ورقة لا يؤثره مجرد الامر القلبي ويصير سبباً لعمل آخر مؤثر ايضاً فيمتد الفيض الـدائم، لاـن للجوارح ايضـاً حظاً من نور العمل فيؤثر عملها في القلب نوراً زائـدا على نور عمله)(1).هـذا الادب هو ما يريده الله تعالى ورسوله والائمة الاطهار (صـلوات الله عليهم اجمعين) منّا، اذ لا شـيء يسـتحق التباغض والتقاطع بين المؤمنين وخصوصا اذا كانوا ذوي رحم، وليس من المعقول اننـا نرجو رضـا الله تبارك وتعالى ومجاورة اولياءه في الجنان ونحن نقطع الرحم وآصـرة الايمان لأجل كلمة سيئة قالها او تقصير صدر منه او تجاوز على بعض حقوقه، او تنازع بينهم على مال.

## سياق الآية الكريمة:

والملفت للنظر ان الآية التي ورد فيها الامر بالعفو والصـفح جاءت في سياق جريمة كبرى ارتكبها البعض في حق رسول (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) اذ اتهموا زوجته مارية



---

1- المراقبات للملكي التبريزي:202.

القبطيـة بالفاحشة وانها ولدت ابراهيم من خدين(1) لها لا من زوجها رسول الله (صَـلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهي الحادثـة المعروفـة بحـديث الافك، فرغم عظم الجريمة وعظم من وقعت عليه وهو اكرم خلق الله وخاتم الأنبياء، ورئيس الدولة، وقد اشارة الآيات الى ذلك {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النور:19) وقال تعالى عنها {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (النور:23) ومع ذلك فقد جاء معها الامر بالعفو والصفح في الآية محل البحث، فكيف لا نعفو ولا نصفح نحن عن توافه الامور التي نتعرض لها في حياتنا.



---

1- أنظر: بحار الأنوار- المجلسي: 22/ 155/ح12

## القبس /107: سورة النور: 31

### اشارة

{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

دعوة موجّهة إلى جميع المؤمنين ليتوبوا إلى الله تعالى، وهي موجّهة إلى غيرهم من باب أولى، فالجميع مطالبون بالتوبة أي الرجوع إلى الله سبحانه لأن التوبة تعني الرجوع عن الذنب والعودة إلى الصراط الذي أمر الله تعالى به.

والاستجابة المطلوبة لهذه الدعوة لها مستويات متعددة بحسب مستويات الأشخاص أنفسهم وشكل الذنوب التي تصدر منهم فيتوب الله تعالى على العبد فيرجع على عبده بالتوفيق والجذب والدعوة للطريق الصحيح فان استجاب العبد وتاب بمستوى معين، تاب الله عليه ورجع عليه برحمة أخص ونقله الى مستوى أعلى وهكذا تكون العلاقة التكاملية درجة بدرجة وخطوة بخطوة حتى يتحقق الفلاح قال تعالى {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (التوبة:118).

وتذكر آية أخرى هذه العلاقة العاطفية بين الله تعالى وعباده وتبيّن ان هذا الحرص من الله تعالى على عودة العباد اليه ناشئ من المودّة والرحمة قال تعالى {وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (هود:90).

وقد تكررت هذه الدعوة للمؤمنين في اكثر من آية من القرآن الكريم كقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التحريم:8). وقد حثّ النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) اتباعه على الاستجابة للدعوة مبادراً اليها بنفسه الشريفة تطبيقها على نفسه الشريفة، فقد روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)(1) وروي في كل يوم مئة مرة(2) وفي الدر المنثور عن البخاري ومسلم والبيهقي عن ابي رافع قال (سمعت رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول:أيها الناس توبوا إلى الله جميعاً فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة)(3) .



---

1- جامع أحاديث الشيعة: 15/ 497 عن لب اللباب للراوندي: 1/ 397 ودرر اللئالي لابن ابي جمهور

2- شرحنا في خطاب سابق معنى استغفار رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والمعصومين (عَلَيْهِم السَّلامُ) (راجع موسوعة خطاب المرحلة: ج7/ص233)

3- الدر المنثور:5/ 44

والتوبة ليست فقط من ذنوب حاصلة في أي مستوى كانت بل تحسن التوبة مما يمكن أن يحصل لولا لطف الله وعنايته وصرفه عن العبد {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء} (يوسف:24).وهذا المعنى ليس غريباً فإن تقديم سبب التوبة والاستغفار على الذنب نفسه وارد في الروايات كجزاء لبعض الاعمال الصالحة(1) فكما ان الاعمال الصالحة تكفّر الذنوب اللاحقة كذلك التوبة والاستغفار من الذنوب اللاحقة والمحتملة .

وترقى درجات التوبة لتصل الى مستوى التوبة للحفاظ على درجة العصمة وتكاملها والبقاء في القمة وهو أحد وجوه استغفار المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) التي ذكرناها في خطاب سابق.

وتتحقق التوبة الصادقة عندما تكون صادرة عن الشعور بقبح الفعل لما فيه من الجرأة على الله تعالى الخالق المنعم ومقترنة بالعزم على عدم العود إلى مثلها وتدارك ما فات مما يمكن تداركه كقضاء الصلاة والصيام الفائتين وإرجاع حقوق الناس التي غصبها وهكذا، وقد وصفت التوبة الصادقة في الآية المتقدمة بالنصوح للدلالة على المبالغة في النصح لنفسه أي صدق التائب مع نفسه وهذه التوبة النصوح كفيلة بمحو السيئات والنجاة من العذاب ودخول الجنة برحمة الله تعالى.



---

1- ورد عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال من زار قبر الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ليلة في ثلاث ليالي غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليلة الفطر وليلة الاضحى وليلة النصف من شعبان) (وسائل الشيعة: 14/ 475، ابواب المزار، باب54 ح1.

والله تعالى يعلم أن العبد مهما صدق في توبته فأنه معرّض للوقوع مرة أخرى في الذنب بأحد مستوياته لذا دعاه إلى التوبة النصوح مرة أخرى.روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن ابي بصير قال:قلت لأبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا}؟ قال:هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً) فقلت:وأيُّنا لم يعد، فقال:يا ابا محمد إن الله يحب من عباده المفَّتن التواب)(1).

ومثلها رواية محمد بن الفضيل في نفس الباب.

ومقام التوبة من المقامات المحمودة عند الله تعالى قال عزّ من قائل {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة:222) وأضاف الله تعالى وصف التوابين إلى ذوي الدرجات الرفيعة عنده تبارك وتعالى {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (التوبة:112) وللمعصومين(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وهم سادة الخلق ادعية طويلة في طلب التوبة.

فالمؤمنون جميعاً مدعوون للتوبة كغيرهم لأن عندهم ذنوباً أيضاً وإن كانت لا تشابه ذنوب الكفار والفسقة وفي هذا تحذير للمؤمنين وموعظة حتى لا يغترّ مؤمن بعمله أو يعجب به أو يجعل لنفسه منزلة أفضل من الآخرين وقد تتطلب إعادة العبد الى ربه شيئاً من الابتلاء والأذى رحمة بالعبد وشفقة عليه ليضطرّ إلى اليقظة والعودة إلى الله تعالى، قال سبحانه {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ



---

1- الكافي: 2/ 314، ح 4

الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (السجدة:21) وقد ورد في ادعية ليالي شهر رمضان (إلهي لا تُؤَدِّبْني بِعُقُوبَتِكَ)(1) أي لا تجعلني بحال احتاج الى عقوبة وابتلاء لكي اعود الى الطريق الصحيح بل اعود بلطفك وعنايتك.وتوجد مضافاً إلى ذلك ذنوب لا يلتفت إليها عادةً أشرنا إليها في خطاب مفصَّل منشور تضمّن شاهداً على ذلك(2) من وحي دعاء للإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم، بحضرتي فلم انصره، ومن معروف اسدي اليَّ فلم اشكره، ومن مسيء اعتذر اليَّ فلم أعذره)(3).

هذا اذا نظرنا بلحاظ المسؤولية الشخصية، اما اذا نظرنا بلحاظ المسؤولية الاجتماعية فسنجد ذنوباً جديدة نتحملها بسبب عدم بذلنا الوسع في إصلاح المجتمع وتخليصه من المعاصي المنتشرة فيه جهلاً أو تهاوناً أو تمرداً أو لأي سبب آخر وهذا كله تقصير في اداء أعظم وظيفة في الاسلام وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(4).

ولعل هذا أحد وجوه ورود هذه الدعوة في نهاية الآيات الآمرة بالحجاب والناهية عن التبرج من سورة النور مع أنه ليس جميع نساء المؤمنين متبرجات لكنهم جميعاً مسؤولون عن وجود هذه المعصية في المجتمع إن لم يكونوا مبتلين



---

1- مفاتيح الجنان: 240

2- خطاب المرحلة: ج 7 / ص102

3- الصحيفة السجادية (ابطحي): 187

4- راجع كتابنا عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فقه الخلاف الجزء الثامن.

فعلاً بدرجة من درجات هذه المعاصـي الاجتماعية فانتشار الخلاعة والمجون يصـيبهم بالنظرة المحرمة والإثارة غير المشروعة ونحو ذلك والعياذ بالله.ونحن بين يدي شهر رمضان الذي هو من أعظم أسباب التوبة والاستغفار فإنه شهر المغفرة والعتق من النار ومما ورد في خطبة النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) التي اسـتقبل بها شـهر رمضان في آخر جمعة من شـعبان قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَنفُسَكُم مَرهُونَةٌ بِأَعمَالِكُم، فَفُكُّوهَا بِاستِغفَارِكُم، وَظُهُورَكُم ثَقِيلَةٌ مِن أَوزَارِكُم، فَخَفِّفُوا عَنهَا بِطُولِ سُجُودِكُم)(1).



---

1- مفاتيح الجنان /ص172.

## ملحق:تحريك الدوافع نحو التوبة والرجوع الى الله تبارك وتعالى

ملحق:تحريك الدوافع نحو التوبة والرجوع الى الله تبارك وتعالى(1)

في مجتمعنا (المسلم) مشاهد عديدة تستوقفنا وتجعلنا نطيل التأمل فرجل مسلم اشتعل رأسه شيباً يسمع المؤذن ينادي (حي على الصلاة) وهو يجلس في المقهى ويلعب الدومينو ويخوض في أحاديث الباطل وكأن النداء ليس موجهاً إليه.

وآخر اذا جنّ عليه الليل عاد الى داره ثملاً قد سلبت الخمر عقله.

أو امرأة مسلمة تمشي بين الرجال سافرة قد كشفت عن شعرها وبعض اجزاء جسدها.

أو شابٌ مسلمٌ تارك للصلاة غارق في اللهو واللعب يتخذ من فنّان فاسق قدوة له يقلّده في أفعاله وأقواله ويحمل على ملابسه علامات الكفار وصور الفساق أو تراه مفطراً في نهار شهر رمضان.

أو ناس مؤمنون يخوضون في الغيبة وانتقاص الناس وتسقيطهم والافتراء عليهم والايقاع بهم.

وآخر يغض النظر عن معاملاته ويحاول ان يجد الف طريقه لتبرير الربح غير المشروع.



---

1- سلسلة محاضرات أخلاقية توعوية كتبت لالقاءها بمناسبة حلول شهر رمضان/ 1422 ولم يتسنَّ ذلك، لكن سماحة الشيخ القى مختصرها في خطبة صلاة الظهرين يوم عيد الأضحى المبارك /1422 الموافق 23/ 2/ 2002 في جامع الخاقاني في حي الغدير بالنجف الاشرف وكان ازلام النظام الصدامي البائد يراقبون حركة سماحة الشيخ ويحسبون عليه أنفاسه حتى منعوه من صلاة الجماعة والقاء الخطب.

أو طالب وطالبة جامعية وهما ينشأن علاقه (حب) خارج الصيغ الشرعية ويجلسان معاً بعيداً عن أعين النظار في اجتماع غير شريف يكون ثالثهما الشيطان. أو ثريّ ينفق المبالغ الضخمة لأمور تافهة لمجرد الجري على الاتيكيت الرائج بين اقرانه أو للرياء والمباهاة واذا طلبت منه اخراج حق الله سبحانه المتعلق بماله أو مساعدة شاب فقير يريد ان يحصّن نفسه بالزواج أو ارامل وايتام لا معيل لهم اعرض وناء بجانبه وربما نهر السائل واهانه.

وقد تجد عشيرتين تتقاتلان من اجل امور تافهة فتذهب الضحايا وتتلف الأموال.

أو دولتين مسلمتين تتصارعان فتزهق الأرواح ويهلك الحرث والنسل من اجل ما يسمونه بالمصالح أو غيرها من الدعاوي الوهمية وهم يعلمون ان الارض لم تنفد خيراتها بل هي تكفى لهم ولأضعافهم وانهم ليحرقون الحبوب واللحوم من اجل الحفاظ على سعر السوق.

أو تجمعات قد اغواها الشيطان فجمعها على الحرام في مسرح أو ملهى أو غيرها من مراتع الشيطان.

أو الآفاً وملايين من الناس قد اضاعت أموالها وأوقاتها وقد حبست انفاسها وفقدت وعيها من اجل كرة جلديه تافهة تدخل في هذا المرمى أو ذاك وتقوم الدنيا ولا تقعد اذا تغلب احدهما على الآخر ولا اعرف ماذا قدموا بذلك من خير للبشرية.

## المعاصي القلبية:-

هذا على المستوى الظاهري واما على المستوى (المعنوي) فان المعاصي أيضاً لها مصاديق واسعة لان من كانت طاعته ظاهرية اي كان مستواه ظاهرياً ورضى ان يحاسب حساباً ظاهرياً فمعاصيه كذلك اي يؤاخذ على المعاصي بالمعنى الشرعي فقط روى الشيخ الكليني في الكافي عن زرارة عن الإمامين الباقر أو الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال: (إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له بها عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه (سيئة) ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة)(1) .

ومن كانت طاعاته قلبية باعتباره ممن التفت إلى تطهير القلب وتصفية الباطن فمعاصيه قلبية فيحاسب على الخواطر والنوازل القلبية ويستغفر لذنوب لا يحاسب عليها أهل الظاهر، مثلاً ورد في الحديث النبوي الشريف:(ثلاث لم يسلم منها أحد:الطيرة والحسد والظن، قيل وما نصنع، قال:اذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ، واذا ظننت فلا تحقق)(2) .

فاذا مرّت هذه الخواطر على القلب والتزم بما ذكره (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فلا شيء عليه على المستوى الظاهري لكن المشتغل بتنقية القلب يعتبر نفسه في معصية قلبية



---

1- الكافي: ج2/ص428

2- تحف العقول: 50، الطبعة الثانية 1404 تعليق علي أكبر الغفاري وفي المتن ذكر الجزء الثاني من الحديث فقط، وفي كنز العمال: (ثلاثة لازمات لأمتي: سوء الظن والحسد والطيرة، فاذا ظننت فلا تحقق، واذا حسدت فاستغفر الله، واذا تطيرت فامض) (ج16 ص20 رقم الحديث 43788)

لمجرد وجود هـذه الخواطر في قلبه اذ يفهم ان قلبه لم يطهر تماماً أو قل انه ليس من أصـحاب (القلب السـليم) بـدليل عـدم خلّوه من هذه الخواطر، هـذا القلب الـذي لا ينجو غـداً الا أهله قال تعالى {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَّلِيمٍ}(الشـعراء:88-89) ويمـدح خليلـه ابراهيـم (عَلَيْـهِ السَّلاَـمُ) بـانه مـن اهـل هـذا القلـب، قـال تعـالى {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَّلِيمٍ} (الصافات:83-84).وتصفيةُ القلب من هذه الاغلال قد لا يكون الا في يوم القيامة ويكون من نعم الله سبحانه على عباده الفائزين {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} (الأعراف:43) {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} (الحجر:45-48) ومن هـذه الاغلال ان يمتعضّ قلبك عند مدّح أحد تحسده أو تفرح عندما ينتقص رغم عدم مشاركتك في الكلام.

وانما أصـبح زواله اي الغل نعمة لأنه ينكد الحياة ويمنع من افراغ القلب لله سـبحانه (لم يسـعني سـمائي ولا أرضـي ووسعني قلب عبدي المؤمن)(1) والسعادة الحقيقية لا تتحقق الا في هذه المرتبة.

عنـدما أرى أو أسـمع أو أقع – الا ان تتداركني رحمة ربي – في هذه المظاهر وغيرها من اشـكال السـلوك المنحرف في هذه البشـرية التائهة الضالّة أتأمل طويلاً



---

1- بحار الأنوار: ج55، ص39

ويملأ التفكير أعماقي وأتساءل:الا يعلم هؤلاء ان هذه افعال محرمة لا يرضاها الله سبحانه؟ أو انها مبعدة عنه تبارك وتعالى وموجبة لتقليل الدرجات يوم القيامة؟ فان علموا ذلك فما الذي يجرئهم على معصية الله سبحانه؟ الا يعلم هؤلاء أن امامنا عقبة كؤودا هي الموت وما بعد الموت أعظم وأدهى! وعلى تعبير الامام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عندما وقف على جنازة تلحد في قبرها قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بزفره وكلّه تحقير لهذه الدنيا (ان شيئاً هذا آخره – وهي الدنيا – لحقيق ان يزهد في أوله، وان شيئاً هذا أوله – وهي الآخرة – لحقيق ان يخاف من آخره)(1) .وأتساءل اليس هؤلاء مسلمين ويؤمنون بالله – ولو نظرياً – ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب؟ فلماذا لا ينعكس هذا الايمان على تصرفاتهم؟ فأين الخلل؟

ان كل هذا يكشف عن ان المشكلة ليست على مستوى النظرية اي اقامة الدليل على كل ذلك فان الكتب حافله بما يقنع من له ادنى مسكة عقل، ولم يقصّر علماءنا ومفكرونا في حشد كل ما يمكن ان يقرّب الايمان ويقنع به وانما المشكلة على مستوى التطبيق.

وعلمت عندئذٍ اننا لم نعد – كما كنّا في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي – بحاجه الى اثبات وجود الله سبحانه فهذه حقيقة لم يبق من يشكك فيها أو قل ان أولياء الشيطان لم يعودوا يفتنون المؤمنين من هذه الجهة(2)



---

1- ميزان الحكمة، ج2، ص1171

2- لاحظ ان تاريخ البحث قبل سقوط صدام المقبور عام 2003 حيث لم تكن دعوات علنية للإلحاد وإنما حصلت بعد السقوط عندما دخلت المنظمات والمؤسسات الدولية المختلفة، وتيسّرت للناس وسائل التواصل الاجتماعي.

وما عادت مهمتنا اثبات هذه الحقيقة بل ان اعداء الله جاءوا بخطه جديدة تقتضي المحافظة على الشكل الظاهري والقالب الخارجي للدين ونخره من الـداخل وتمييع العقيـدة في النفوس وافراغها من محتواها وإماتة الوازع الديني بحيث لا يبقى له ادنى تأثير في سـلوك المسـلم؟؟ فنحن بحاجـة إذن إلى زرع وإيقـاظ الاحسـاس بوجوده تبـارك وتعـالى والتعامل معه على انه موجود فعلاً وليس ايماناً نظرياً فقط وتـذكرت الحديث عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(ما خلق الله عز وجل يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)(1) فانه يقين مئة بالمئة على مستوى النظرية لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً بمعنى انه يستعد له الاستعداد الكامل وكأنه كتب على غيره.

فترى الانسان اذا عزم على سفر قد لا يطول شهراً يُعدُّ كل ما يحتاجه أو يحتمل انه يحتاج اليه ويهيئ جميع أموره حتى الحقير منها فلماذا لا يسـتعد بنفس الاسـتعداد لسـفر الآخرة ويحضرّ زاد هذا السفر الذي بيّنه القرآن الكريم {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (البقرة:197) وقال الامـام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) (وحصّـل زادك قبـل حلول أجلك) خصوصاً وإنا نعلم ان الحكم - وهو الله تبارك وتعالى - بصـير لا تخفى عليه خـافيه في السـماوات والأـرض وهو أقرب الينـا من حبل الوريـد وشـهوده كُثر ومنهم هـذه اعضائنا التي نعصـيه بها {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس:65).



---

1- الفقيه: 1 / 194 / 596

أعود الى التساؤل اذن كيف نحمل الناس على الالتزام بالشـريعة الإلهيـة وكيف نـدفعهم الى التطبيق؟ ولا يُفهم من كلمه (نحمل) و(ندفع) القصر والإجبار والإكراه فهذا اسلوب مرفوض ولا ثمرة فيه وقد قال تعالى {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة:256) فهذا من خيانة التعبير فأننا نريد ان نتعرف على الاسلوب الذي يحبّب الايمان والاسلام الى الانسان ويزيّنه له بحيث ينجذب اليه، تلقائياً ويجده الطريق الوحيد الذي يكفل له سعادته في الدنيا والآخرة ويكرّه اليه الفسوق والعصيان بالضبط عكس ما يفعله الشيطان اللعين {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الحجرات:7-8).فوجدت ان ذلك يمكن تحقيقه على ثلاثة مستويات تمثّل عوالم الانسان الثلاثة:

## المستوى الاول:النفس

فقـد يجـد الانسان في الإسـلام والإيمان تحقيق نزعاته النفسـية وارضاء للقوى والشـهوات الغريزية الكامنة فيه فيؤمن لأن الايمان يحقّق له المال أو الجاه أو اي شـيء آخر ولا يُفهم من هـذا أنه يشـمل التوسل بالأمور المحرمة كما لو اردنا ردعه عن الزنا فنجوّز له اللمس او النظرة للأجنبيـة فان الغايـة لا تبرر الوسـيلة في نظر الإسـلام مهما كانت الغايـة ساميـة لكن مثلاً نريـد أن نحث رئيس عشـيرة على تطبيق شـريعة الإسـلام في السنينة العشائرية فلا حاجة إلى الغاء رئاسته ونظام عشيرته بل نبقيه في موقعه ونعطيه الصلاحيات التأديبية التي يحتاجها باعتبار ان الإسلام قد

وضع تعزيرات على التصـرفات المحرمة وترك تحديدها بيد الحاكم الشرعي أو من ينيبه فيحصل رئيس العشيرة على السند الشرعي بتخويل الفقيه الجـامع للشـرائط.أو نريـد ترغيب شاب في الحضور في المساجـد واداء الصـلاة جماعـة في أوقاتها فنقول له:ان هـذا يعطيك فرصـة للتعرف على وجوه المجتمع فاذا عرفوك وثقوا بك فيمكن ان يوجدوا لك عملاً تجارياً معهم أو يتكفلون زواجك إن كان لا يستطيع ذلك .

وهـذا الاتجاه وان كان بعيداً عن ذوق الإسـلام في التكامل الا انه امضاه وارتضاه لأنه يعلم ان الخطوة الأولى وان لم تكن لله تبارك وتعالى لكن المهم ان يلتفت إلى الإسـلام ويعيش في احضانه ويستنشق عبيره وشذاه فان ذلك كافٍ لان يتخلّى عن اهدافه الدنيوية تلك ويصلحها إلى اهداف ربّانية مخلصه وهكذا كانت هداية رجال اصـبحوا من عظماء الإسـلام فقد روي ان حمزه بن عبد المطلب سـيد الشـهداء أسـلم حينمـا أدركته العصبيـة لعشـيرته وهـو يرى قريش تؤذي ابن أخيه وتصبّ جـام غضـبها عليه وليس له ناصـر الاـ الله سـبحانه فـادركه العرق الهاشمي وانتصر لابن أخيه وأعلن إسلامه ارغاماً لقريش فكانت تلك فاتحه الخير له وللإسلام(1) .



---

1- روي عن الامام زين العابـدين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال (لم يـدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبدالمطلب وذلك حين أسـلم غضـباً للنبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في حديث السِلّا الذي ألقي على النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (بحار الأنوار:18/ 211، 73/ 285). والسلا هو ما يرافق جنين الحيوان حين ولادته كالجلد الرقيق الذي يحيط به وان ابا جهل وضع سـلا جزور على رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو يصلي.

ويندرج في هذا المستوى تخصيص جزء من الزكاة للمؤلفة وهم الذين لم يستقر الايمان في قلوبهم فيأتلفهم بالمال ليحسن اسلامهم وهكذا فعل رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حينما وزّع غنائم حنين على مشركي قريش بالأمس وطلقائه اليوم بعد فتح مكة ولم يعطِ الانصار شيئاً فظنّوا ان ذلك لموجدة في قلبه عليهم فجمعهم (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقال:ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار. وأبناء أبناء الأنصار. قال:فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا:رضينا برسول الله قسماً وحظا. ثم انصرف رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وتفرقوا)(1) .وورد هذا الاتجاه في طلب العلم فقد روى عنهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنهم قالوا (تعلموا العلم ولو لغير الله فإنه سيصير لله)(2) اذ بعد ان يمس العلم شغاف القلب ويتنور بالمعرفة فانه سيعود الى الله تبارك وتعالى والمهم هي البداية.

بل ان هذا الاتجاه مقبول ومشروع على مستوى الآخرة فترى القرآن الكريم يطمع المؤمنين بحور عين وولدان مخلدين ولحم طير مما يشتهون وانهار من عسل مصفى وخمر لذة للشاربين في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها



---

1- صحيح البخاري: ج3 /ص69،70،71

2- شرح نهج البلاغة ج20 -- ابن أبي الحديد، ص267/ ح98

وفوق ذلك ما تشتهيه الأنفس وتلذ العيون بل ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وهي عبادة التجار على تقسيم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وهي دون عبادة الأحرار(1).وقد نقل لي بعض المتقدمين(2) في درجات السلوك الصالح انه سأل استاذه اننا كيف نجاهد أنفسنا ونمنعها من لذاتها من اجل أنفسنا ولذاتها في الآخرة طبعاً فقال:هكذا أدبنا المعصومون (عَلَيْهِم السَّلاَمُ).

وتوجد أجوبه أخرى (منها) ان هذه زائله وتلك باقية – وفيه – انه لا يغير من الاشكال شيء (ومنها) ان جنة هؤلاء ليست من قبيل هذه النعم وانما لذات معنوية.

ومما ينبغي ملاحظته هنا انه لا ضير من ان يكون لحم الطير وحور العين حتى لأصحاب اللذات المعنوية والمقامات العالية كما انهم في هذه الدنيا في جنتهم الحقيقية ومع ذلك فهم يأكلون ويشربون وينكحون غاية الأمر ان أفعالهم هذه ليست مطلوبة في نفسها ولا للتلذذ بها وإنما لقضاء حاجة الجسم فتكون الاستفادة منها موظفة لخدمة الهدف وتكون جزءاً من التكامل لا عائقاً عنه وإنما الذي نجلّهم عنه ان يكون هدفهم هذه الجنة وسد الحاجات ودفع ألم الحاجة كما يقولون جزء من السعادة وأحد مقوماتها.



---

1- أنظر: بحار الأنوار- المجلسي: 41/ 14

2- هو السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في بعض رسائله الاخلاقية الى سماحة الشيخ ولم يذكر الاسم مراعاة للظروف آنذاك وقد نشرت الرسائل لاحقاً في كتاب قناديل العارفين.

## المستوى الثاني:

العقلبأن نقيم الأدلـة والبراهين والحجج المقنعة على صـحة المعتقدات وطريقة الشـرع ووجوب الالتزام بالشـريعة الإلهية فاذا كان الإنسان منصـفاً فلاـ يجـد محيصـاً عن الإيمان بنتائـج تلك البراهين، اما المجادل والمكابر ومن اتبع هواه فلا ينفع معه دليل ولا برهان {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَـةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ} (البقرة:145) اي هـدفك وغايتـك {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ، لَقَالُواْ إِنَّمَا سُـكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}(الحجر14-15) ولقـد أُلّفت كتب كثيرة بهـذا الاتجاه بحيث لم تترك عـذراً {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنعام:149) وفتح علم خاص لهذا المجال وهو علم الكلام أو العقائد.

وقد وردت أحاديث(1) كثيرة في فضل العلماء الذين يتصدون لنفي الشـبهات عن العقائد الحق وحماية الناس من الضلال والانحراف وان أفضل المجاهدين والمرابطين في سبيل الله هم العلماء المرابطون على ثغور ابليس يردّون عن عباد الله اباطيله وضـلالاته وان أشد من يتيم الأـبوين يتيم انقطع عن أبيه المعنوي وهو إمامه الـذي يتكفل برعايته وتربيته في حياته المعنويـة فهو أولى بالرعايـة والعطف والحنان وأعظم اجراً عند الله تبارك وتعالى.



---

1- راجعها في بحار الأنوار: 2/ 1-15

وان من مسؤوليات العالم المخلص ان يظهر علمه عند الفتن وانتشار الشبهات حتى يظهر الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ليوهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

## المستوى الثالث:القلب

واعني به تلك اللوحة الربانية البيضاء الناصعة التي ان صفت ونقت مما يكدّرها وتعب صاحبها على جلائها كانت مرآة صافية تعكس الحقائق عن اللوح المحفوظ من دون كسب وتحصيل فيجد صاحبها كله حاضراً عنده ومنقوشاً في باطنه، والقلب هو ساحة الصراع بين جند الشيطان وقوى النفس الامّارة بالسوء وشهواتها واهوائها ودواعي السوء فيها وبين جند العقل وأدلته وبراهينه ومعارفه {وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} (يوسف:24) فان تغلّب العقل كان منيراً بنور معرفة الله سبحانه وتعالى وبألطافه طافية وفي فيوضاته، ففي الحديث القدسي (لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)(1) .

وتجلّت فيه صفات الكمال وغُلَّت النفس الأمّارة بالسوء وكانت ميولها وشهواتها مهذبة ومؤدبة بأدب الله تبارك وتعالى لا تحيد عنه وزمامها بيد الشرع الحنيف.

وإن غلب جند الشيطان – والعياذ بالله – كان مظلماً ومأوى للشياطين ويُغلُّ العقل ويُسخّر لخدمة الشهوات كما تراه في أولياء الشيطان واتباعه الذين ما فتئت عقولهم تتفتق عن المزيد من الحيل الشيطانية لتحقيق شهواتهم ومطامعهم.



---

1- بحار الأنوار: ج55، ص39.

وعنـدما تأمّلت في تجارب المصـلحين وسبرت اغوار التأريـخ لأجد اي هذه المسؤوليات أعمق تأثيراً وأعظم انتاجاً، ودققت النظر أكثر في أعظم نقلة عاشتها البشرية وهي التي حصلت في صدر الإسلام على يد رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حيث سمت البشرية من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام الرفيعة وفي فترة قياسية هي قصيرة جداً في عمر الزمان.ولمعرفه عظمه هذه النقلة تستطيع ان تقارن بين حال الأمة قبل الإسـلام وحالها بعده فكانوا قبل الإسلام يرتكبون جريمة وأد البنات – اي يدفنونهن في التراب وهن احياء خوف العار – ويغير بعضهم على بعض فيقتل ويسـلب وينتهك الأعراض، والقوي يأكل الضـعيف قد تفشّت فيهم الفواحش من الزنا وشـرب الخمر وهم عاكفون على عبـادة حجـارة لا تضـر ولا تنفع، فكيف أصـبحوا بفضل الله ورحمته؟ اصـبحوا متآخين متحابّين يؤثرون غيرهم على أنفسـهم ولو كان بهم خصاصـة حتى لو كان لأحـدهم رغيف من الخبز أعطى نصـفه لأخيه واكتفى بالنصف الآخر، واذكر مثالاً واحـداً كشاهـد على عظمة تلك النقلة فقد روى العدوي انه سـمع جريحاً في معركة القادسـية يطلب الماء فجاءه ليسقيه فسمع آخر يطلب الماء فقال الجريح اسق أخي أولاً فلما اتاه سـمع ثالثاً يطلب الماء فقال اسق أخي فلما أتاه وجـده قـد مات فرجع إلى الثاني فوجـده قـد مات وكذا الأول، مثل هذا المسـتوى الرفيع خلقه الإسـلام في تلك الأمـة، ولا أريـد ان أدخل في تفاصـيل هـذه التجربة العظيمة فأنها تسـتحق أفراد كتاب(1) مسـتقل لها لبيان الدروس المستفادة من رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في هذا المجال تطبيقاً للآية الشريفة {لَقَدْ كَانَ



---

1- أنجز هذا الكتاب لاحقاً وطبع بعنوان (الأسوة الحسنة) .

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:21) عسى الله ان يوفقنا لإنجازه، والذي اريد ان أقوله هنا ما قيل من ان اواخر هذه الأمة لا تصلح الا بما صلح به اوائلها، وقد صلحت اوائل هذه الأمة بهذا العلاج الشافي:القرآن الكريم(1) كما وصف نفسه انه هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور وببركة المعالج وهو رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وجهوده الجبارة وصبره المضني ومهمتنا في إصلاح المجتمع اسهل بالتأكيد لأننا نتعامل مع ناس مسلمين أولاً مهما كان درجه ابتعادهم عن الله سبحانه ومتحضرين ومثقفين ثانياً ونأتي على خلفيه تربية طويلة قام بها الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) من بعد رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ومن بعدهم العلماء الأبرار المخلصون عبر هذه القرون الطويلة وعندما نريد ان نستفيد من تجربة القرآن نجد أنه قد كرّس نفسه طيلة مدة النبوة في مكة (وهي ثلاث عشرة سنة أي الجزء الأكبر من زمان النبوة) لإحياء القلوب والعقول وتطهير النفوس ولم يبلّغ الاحكام الشرعية الا بعد ان وصلت الأمة إلى درجة من السمو الروحي والنضج العقلي والايمان الراسخ وحينئذٍ حمّلهم الاحكام فاستجابوا لها وامتثلوها بلا أدنى تردد فكان ذلك المجتمع المثالي الذي لم تشهد له البشرية مثيلاً فلا انحراف ولا جناية ولا مشكلة الا ما ندر جداً مما لا يكاد يذكر فنحن -- كحوزة شريفة -- محتاجون إلى هذا الاحياء اكثر من حاجتنا الى تبليغ الأحكام، وان إيصال الأحكام الفقهية -- مهما كان مهماً -- الا أنه وحده لا يكفي بل لابد معه



---

1- تناول سماحته هذه النقلة العظيمة في حياة الأمة في كتابه (شكوى القرآن) وفي (الأسوة الحسنة).

من احياء القلب والضـمير والعقل والا فأن الأحكام الفقهيـة المثبتـة في الرسائل العمليـة لا تكون فاعلة ومؤثرة ومحركة الا اذا امتزجت بما يحيي القلب ويوقظ العقل ويحرّك الضـمير.وأنت اذا سبرت آيات القرآن الكريم فسـتجد انه حرّك المسارات الثلاثة المتقدمة واسـتفاد منها ووظّفها في عملية الهداية والإصلاح.

فعلى الصـعيد الأـول وهو المسـتوى النفسـي تجـده يربط بين الايمان وتوافر النعم {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ} (الأعراف:96) {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} (الجن:16) {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} (نوح:10-12) ويربط بالمقابل بين العصيان ونزول النقم {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (الشورى:30) {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} (يونس:98) {وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (الأعراف:96) هذا في الدنيا واما في الآخرة فمن الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان لكثرته وتواتره ما أعدّ الله تعالى للمطيعين من النعم ما لا عين رأت, ولا اذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر)(1) وما اعدّ للكافرين من



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 8/ 92

الوان العـذاب ومن يتصـفح القرآن خصوصاً في قسـمه المكي يطّلع على الصور المشـرقة السـعيدة لحياة المؤمنين والحياة النكدة المعذبة الشـقيّة للكافرين.وعلى المسـتوى الثاني فقـد ضمّ القرآن اسـتدلالات وبراهين واحتجاجات كثيرة على مختلف العقائـد والمعارف الإلـهية كقوله تعالى في اثبات التوحيـد {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء:22) وقوله {هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} (لقمان:11) وأكّـد على ضـرورة الحوار {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} (آل عمران:64) وإقامة البرهان وعدم جواز التقليـد من غير دليل {قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة:111)، {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَـةٍ مِّن رَّبِّي} (هود:88)، {قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} (يونس:59) .

وامـا على المسـتوى الثـالث وهو الأـهم والأعمق تأثيراً والأشـد رسوخاً لأن الإيمان اذا كان عن دليل عقلي محض فيمكن ان تزيله مغالطة عقلية لا يفهم الشـخص وجه الشـبهة فيها اما اذا كان عن طريق القلب واسـتقر فيه فلا يزيله شـيء، من هنا قال ابراهيم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) {رَبِّ أَرِنِي كَيْـفَ تُحْيِي الْمَـوْتَى قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَـالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْـبِي} (البقرة:260)، من هنا كان أفضل مـدخل لصـنع شـخص مليء بالإيمـان من رأسه إلى أخمص قـدميه هو قلبه فترى القرآن تـارة يثير في القلب مشـاعر الحب لله سـبحانه بما يبين من أوصاف الكمال فهو الرحيم بعبـاده أكـثر من الأـم الحنون بولـدها وهو السـاتر عليهم والحليم عنهم والرازق لهم وهو الهـادي والمنعم والكريم والعليم والقوي والقادر وغيرها من الاسماء الحسنى واذا

احبّ الانسان شيئاً اندفع إلى طاعته وتلبية رغباته من دون ان ينتظر مكافئة او أجر فالأب يسعى بكل ما عنده لإدخال السرور على أولاده واسعادهم وكذا الأم وقد يضحيان بحياتهما من اجلهم لا لمطمع عندهم ولا للخوف منهم سوى الحب لهم. وتارة أخرى يثير مشاعر الرهبة والخوف بما يصف من مشاهد يوم القيامة ويحكي من أحوال ما بعد الموت.

## محفزات للتشجيع على التوبة:-

فكيف نستفيد من هذه التجربة القرآنية، وكيف نستثمر هذه الاتجاهات الثلاثة لهداية الناس وجذبهم الى طاعه الله سبحانه وكيف ننزع من عقول الناس وقلوبهم بان الالتزام بالشريعة تقييد للحريات وانها تكليف وعبئ ثقيل نبدله الى سعادة وسرور بهذا التشريف الإلهي العظيم، نحاول هنا - بإذن الله تعالى- اثارة عدة محفّزات تندرج ضمن هذه الاتجاهات الثلاثة وهو ما اتبعه الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) فإنما كانوا يعظون الناس ويهدونهم بطرق شتى فواحد من جهة النفس كذاك الناصبي الذي اغدق عليه الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) العطاء فتحوّل الى موالي وهو يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته)(1) وآخر من جهة الدليل والبرهان ككثير من اليهود والزنادقة(2) وآخر من جهة القلب بإثارة العلاقة الوجدانية مع الله تعالى والتذكير بالموت وحساب الآخرة كأسلوب الامام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مع بشر الحافي في القصة المعروفة(3).



---

1- أنظر: مقاتل الطالبيين- الأصفهاني: 332

2- أنظر: الاحتجاج- الطبرسي: 1/ 312

3- تقدمت ص163

ومن ذلك ما روي ان رجلاً قال للامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(يابن رسول الله دلني على الله ما هو فقد كثر عليَّ المجادلون وحيروني، فقال له:ياعبد الله هل ركبت سفينة قط، قال:نعم، قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال:نعم، قال:فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال:نعم، قال الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث(1). وهو ما يسمى بالوجدان وهذا ناشئ من اختلاف المؤثرات على الناس فمن الضروري ان تتعدد الأساليب والمصلح الذكي المسدّد هو الذي يعرف أفضل باب يدخل منها وعندئذ سيجدون أكثر من مبرر للحرص على طاعة الله سبحانه والتعلّق بها والتضحية من اجلها والشعور بالسرور والسعادة لدى الالتزام بالشريعة.

الاول:

ان التكاليف الشرعية ليست طوقاً في عنق الإنسان ثقيلاً يريد ان يتحرر منه بل هو تشريف له، واضرب لك مثالاً معاشاً فلو ان الملك أراد أمراً معيناً كافتتاح مشروع فأناب إنساناً بدلاً عنه كم سيكون هذا الإنسان محظوظاً ان ينال شرف النيابة عن الملك ويتحدث باسمه فكذلك الانسان اختاره الله سبحان ليكون خليفته في هذه الأرض {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:30) والله ملك الملوك وربهم وخالقهم فكم تكون عظمة النعمة ان يستخلف أحداً ويسخر له كل ما في الارض {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا} (البقرة:29) وينقل عن



---

1- بحار الأنوار: ج 3 / ص 41.

شخص عارف انه احتفل يوم بلوغه سن التكليف الشرعي لأنه يوم تشريفه بأعظم النعم.الثاني:

ان الشـريعة الإلهية إنما وضـعها الله سبحانه لتنظيم حياة البشر وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم لأنه خالقهم وهو العارف بما يصلحه فان اي جهاز يعطل نرجع الى الشـركة المصـنّعة للجهاز تعرف عيبه وطريقـة إصـلاحه والله هو خالق الإنسان وصانعه فهو العارف بمناشـئ انحرافه وطرق علاجها ومن القبيـح والمسـتهجن ان نرجع إلى نفس الإنسان التائه الضال ليرسم لنا طريق الصـلاح وقـد جرّبت البشـرية كل النظم الوضـعية فزادتهـا سوءاً على سوء وظلمـاً على ظلم ومـازالت تتجرع ويلات تلك النظم البشـرية، والنتيجـة ان الالتزام بالتعاليم الإلهيـة هو الطريق الوحيد الذي يضـمن للبشـرية سـعادتها واستقرارها وطمأنينتها وانت ترى بعينك وتحس سعادة المؤمن واستقراره الروحي حتى وان مرّت به الوان المصائب وانواع المصاعب في مقابل الكافر الفاسق وصـراعه النفسي وانحرافاته نتيجة الخواء الروحي الذي يعيشه فتجد حياته نكدة معذبة وهو في ذروة الرخاء المادي وربما آل به الأمر إلى الإنتحار مما لا تجده في المجتمعات المؤمنة {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} (طه:124). وهؤلاء الذين يريدون اسـقاط الدين والغائه من الحياة باسم الحرية الذي هو مصـطلح شفاف وتهفو له النفوس، اسألهم ماذا تعنون بالحريـة هل الانفلات واللانظام وعـدم الخضوع لأية ضوابط وكل واحد يفعل ما يشاء ويحلو له؟ سـيقولون لا طبعاً لان هذا معناه الهمجية والفوضى ولا يقوم اي تجمع بشري الا على نظام وقانون ينظم حياة البشر ويقنّن العلاقات

بينهم ويحدد الحقوق والواجبات ويرصد المخالفات ويجعل لها العقوبات وبدونه لا تستقيم حياة البشر قلنا:عندئذٍ فأي قانون أفضل يضعه الله سبحانه خالق البشر والعارف بما يصلحهم والمطّلع على سرائرهم ذو القدرات اللامتناهية والكمالات غير المحدودة من العلم والقدرة والرحمة والحكمة والعدل والغنى وغيرها ام يضع القانون بشر قاصر يقول اليوم شيئاً ويتراجع عنه غداً ويلغي اليوم ما قرره بالأمس وهو بين هذا وذاك لا يعرف نفسه فضلاً عن ان يعرف غيره. الثالث:

ان من شأن كل عاقل ان يرد الجميل بالجميل ويجازي الاحسان بمثله {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} (الرحمن:66) {وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (القصص:77)، ونعم الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد ابداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقة واتقان وابسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان) تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونعم لا تعد ولا تحصى {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (النحل:18) وجزاء هذا الإحسان إحسان مثله ولما كان الله غنياً عن عباده ولا ـ يمكن ان يصل إليه نفع من أحد فردُّ الإحسان بالنسبة إليه طاعته ومن اشكال شكر النعم ان تطيع المنعم بها اما عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرتضيه عاقل.

الرابع:ان كـل واحـدٍ منا يحب ان تزيـد النعم عليه وهي بيـد الله سـبحانه المنعم الحقيقي وقـد وعـدنا سـبحانه {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيـدَنَّكُمْ} (إبراهيم:7) وفي الحـديث (بالشـكر تـدوم النعم) فعلى من يرجو إفاضـة النعم وزيادتهـا وكـل إنسان مجبول على حب الاستزادة من المال والبنين والجاه والصحة وغيرها من نعم الله سبحانه فعليه أن يطيع الله سبحانه ويشكره ليزيده الله سبحانه من النعم {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ} (الأعراف:96).

الخامس:

أنه اذا أخبرنا إنسان ثقـة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة فأننا سـنهرب بالاتجاه المعاكس ونحذر منه ونتخذ الاجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فاذا أكـد هـذا الخبر ثقـة آخر ازدادت اسـتعداداتنا لذلك وكنّا أكثر حزماً، وقد أخبرنا مئة وعشـرون الف نبي انه سـيكون يوم القيامة ويثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على معصيته بنارٍ وقودها الناس والحجارة افلا يوجب هذا الحذر والابتعاد عن كل ما يورطنا في هذه النار المتأججة وقد وضـعها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة وأخبرنا أن معصـية الله سـبحانه توقعنا فيها وان طاعته تورثنا جنة عرضـها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(1) {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم} (السجدة:17).



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 8/ 92

السادس:علينا ان نتذكر ان وراءنا عقبة كؤوداً وشدائد وأهوال أوّلها وأيسـرها الموت الذي وُصف بأن نشراً بالمناشير وقرضاً بالمقاريض أهون من سكرة من سكرات الموت هذه الأهوال التي يستغيث منها رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أكمل الخلق فيقول في نزعه الأخير (حبيبي جبرئيل عند الشدائد لا تخذلني)(1) ويقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاـمُ) نفس رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في تلـك الحال (وعليكم السـلام يـا رسـل ربي)، وقال:{لِمِثْلِ هـذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} (سورة الصافات:61)(2) ويبكي الامـام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاـمُ) في لحظـاته الأخيرة فيُسأل عن سبب بكائه فيقول:(أبكي لفراق الأحبة وهول المطّلع)(3) هكذا يعرف الموت من كشف له الواقع اما نحن ففي غفلة عنه حتى نراه {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}(ق:19) ولكن ليس من شأن المؤمن الواعي ان لا يلتفت إلى الشر والخطر حتى يقع فيه وقد نبّهنا إليه الراسخون في العلم:محمد وآل محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ووصفوه بأبلغ وصف (خصوصاً في نهج البلاغة) لا يقدر عليه حتى من عاشه ورآه ودخل فيه، هذا ما ينتظرنا فماذا أعددنا له؟! معصـية الخالق تبارك وتعالى والاعراض عنه والتمرد على شريعته التي هو غني عنها وانما هي لخيرنا وسعادتنا.



---

1- بحار الأنوار: ج 22 / ص510

2- وفاة الإمام أمير المؤمنين.

3- أمالي الصدوق ص133 ، العيون ص168.

وعلى الانسان البعيـد عن الله سـبحانه ان يعي حقيقة ان الموت لا يعرف صـغيراً ولا كبيراً .فكم من صـحيح عاش من غير علة *** وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

وكم من فتى يمسي ويصبح غافلاً *** وقد تُسجت اكفانه وهو لا يدري(1)

إن حالنا في هذه الدنيا يمكن تصويره بشـخص مدلّى في حبل داخل بئر عميق وفي قعر البئر تنين عظيم فاتح فاه ينتظر سقوط هذا الشخص ليلتهمه وتوجـد فأرتان تقرضان بالحبل من أعلاه ولا يـدري هـذا الشـخص متى يتم قرض الحبل فيقع فريسـة لهذا التنين وهو في هذا الجو المرعب بـدلاً من ان يعـدّ العـدة لتدارك هذا الخطر والاسـتعداد لمواجهته {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} (البقرة:197) أقبـل على عسل مخلوط بالتراب على جـدران البئر يلعق به ويزاحم الحشـرات والديدان المتهالكة عليه، هذا هو حالنا فالتنين هو الموت والحبل هو العمر والفأرتان هما الليل والنهار اللذان يُبليان كل جديد والعسل هذه الملذات الدنيوية المليئة بالمنغصات وهي لذة ساعة لكنها تورث حسرة دائمة.

السابع:

اننا خلقنا لهدف واحد وهو إعمار الحياة بما يرضـي الله سـبحانه والتكامل في طريق الوصول وقد اعطينا رأس المال الذي نتجر به ونكسـب ونجني منه ثمار هذا الطريق ونحن في معاملاتنا الدنيوية عندما نتجر برأس مال فأننا نستقصي التجارة



---

1- ديوان الامام علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): 78

التي تدر أكثر ارباحاً ولا نفرّط في شيء من رأس مالنا وتأخذنا الحسرة والندامة لو فرّطنا في فرصة كان يمكننا ان نحصل على ربح أكثر وهذه الصورة نفسها نعيشها نحن بوجودنا في الحياة الدنيا فرأس مالنا هو العمر والهدف من التجارة نيل رضا الله سبحانه وقد منَّ الله سبحانه علينا بنعم كثيرة فكلما استثمرناها في تحقيق الهدف كانت تجارتنا أكثر ربحاً وكلّما قصّرنا فسنعضُّ على أصابع الندم {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ -- والظالم كل من فعل معصية -- عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا } (الفرقان:27-29) نندم على كل لحظة مرّت علينا لم نوظّفها فيما يرضي الله سبحانه فضلاً عن هدرها في معصيته -- والعياذ بالله -- ومن اسماء يوم القيامة أنه يوم التغابن راجع سورة التغابن وفيها قوله تعالى {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} (التغابن:9) وقد ورد ان الجميع يشعرون بالغبن حتى المؤمنون لأنهم ينظرون إلى المراتب الأعلى منهم وكانوا يستطيعون الحصول عليها لو استغلّوا وقتهم بالشكل الصحيح فيتأسفون على إضاعة الفرصة ومن هنا جاء في وصية رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأبي ذر (ره) (يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس..) (1) وفي الأخبار ان عمر الانسان بكل لحظاته يعرض عليه على شكل خزائن تفتح له الواحدة تلو الأخرى فما كان منها مستثمراً في طاعة الله سبحانه وجد في تلك الخزينة روحاً وريحان وان كانت معصية والعياذ بها هبّت عليه منها نار محرقة وان لم تكن لا من هذه ولا هذه بأن قضاها في المباحات الخالية من نية



---

1- بحار الأنوار- المجلسي: 74/ 75

القربـة كالنوم والطعام والنكاح فسـيراها فارغـة فينـدم على ما أضاع من عمره ويجب ان نلتفت إلى ان هـذه المباحات أيضاً يمكن أن تكون طاعات يتقرب بها إلى الله سـبحانه فيما لو صـبّت في الهـدف فينام ليريـح بـدنه ويجـدّد نشاطه لعمل جديـد ويأكل ليتقوى على طاعة الله سبحانه وينكـح النساء ليحصن نفسه وزوجته من الحرام وليزيـد عـدد النسـمات التي توحّد الله تبارك وتعالى على هذه الأرض ويفرّغ همه لطاعة الله سـبحانه وهكذا إلى ما شاء الله من النيّات الصالحة المقرّبة إلى الله سـبحانه وبهذا المضمون ورد حديث رواه الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في وجوه الصدقات الى أن قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (وفي بُضع أحدكم صدقة) قالوا يا رسول الله:أياتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟، قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(ارأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في الحلاـل كان له أجر) (1).خبر على رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه قـال (لأبي ذر – ضـمن وصـية جامعـة له –:ولك في جماعك زوجتـك أجرٌ.. قـال أبو ذر:كيف يكون لي أجرٌ في شـهوتي؟.. فقـال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):أرأيت لو كـان لك ولـد، فأدرك ورجوت خيره، فمـات، أكنت تحتسـبه؟ قلت:نعم، فقال:فأنت خلقته؟، قال:بل الله خلقه، قال:أفأنت هـديته؟، قال:بل الله هـداه، قال:فأنت ترزقه؟، قال:بل الله كان يرزقه، قال:كذلك فَضعَهُ في حلاله، وجنبه حرامه، فإن شاء الله احياه، وإن شاء أماته، ولك أجر) (2).



---

1- صحيح مسلم 330 كتاب الزكاة، باب 16، ح(1006):.

2- شعب الإيمان- البيهقي: 7/ 514

أفبعد هذا كله يلهو الانسان ويلعب أو يضيع وقته في الأمور التافهة فضلاً عن ان يجرّ على نفسه الويلات بما يجترح من السيئات {رِجَالٌ لّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ} (النور:37).الثامن:

انه لابد للإنسان من اله يعبد فأن لم يكن الله سبحانه هو اله المعبود فسيقع في عبادة الإلهة الأخرى وكفى بذلك ضلالاً وخسراناً مبيناً {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} (الصافات:22-23) فما هي هذه الإلهة التي يطيعها الإنسان البعيد عن الله سبحانه لأن معنى العبادة هو الطاعة والانصياع لذا ورد في تحف العقول عن الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (من أصغى إلى ناطق فقد عبده)(1) فالذي يطيع نفسه الأمارة بالسوء ويلبي شهواتها فقد اطاعها وعبدها قال تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} {الجاثية:23) ومن الإلهة الأخرى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (يس:60) {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} (التوبة:31)، {مَا نَعْبُدُهُمْ - الأصنام - إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (الزمر:39)، {إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا



---

1- تحف العقول- ابن شعبة الحراني: 456

السَّبِيلا} (الأحزاب:33)، {إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ} (الأعراف:173) فأي عاقل يرضى بأن يخرج من حصن ولاية الله العظيم وطاعته إلى ولاية هذه التوافه التي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياءاً ولا نشورا وفي مقابلهم من أخلص الطاعة لله سبحانه {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ، قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ، لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ، وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ، أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ، لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} (الزمر:11-20) استمع الى الله سبحانه يحكي لك الحوار الذي سيدور بين العاصي لله سبحانه وآلهته التي اطاعها من دونه تبارك وتعالى والتي أهمها النفس الأمارة بالسوء التي وصفها أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في دعاء الصباح (فَبِئْسَ الْمَطِيَّةُ الَّتي امْتَطَتْ نَفْسي مِنْ هَواها فَواهاً لَها لِما سَوَّلَتْ لَها

ظُنُونُهـا وَمُناهـا، وَتَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلى سَـيِّدِها وَمَوْلاها) (1) وفي دعـاء آخر (وَتَجْعَلُنِي عِنْـدَكَ أَهْوَنَ هالِك) (2){وَأُزْلِفَـتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَـاوِينَ ، وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُـدُونَ ، مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُـرُونكُمْ أَوْ يَنتَصِـرُونَ ، فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ، قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ، تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ، فَمَا لَنَا مِن شَـافِعِينَ ، وَلا صَـدِيقٍ حَمِيمٍ ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ} {الشـعراء:90-103) وهم كاذبون في هذه الدعوى قال تعالى {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} (الأنعام:28).

هذا الاعتزاز والسمو بعبادة الله سبحانه ونبذ ما سواه هو ما عبّر عنه أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب)(3) .

والمفارقة الصارخة التي تجعل هؤلاء العصاة يدسّون رؤوسهم في التراب ان تكاليف عبادة ما سوى الله سبحانه هي أضعاف تكاليف عبادة الله سبحانه بغض



---

1- مفاتيح الجنان: 94

2- مفاتيح الجنان: 167

3- بحار الأنوار: ج 91/ص 94

النظر عن العاقبة(1) في الآـخرة فالمرأة المحجبـة لا تحتاج إلى أزيـد من غطاء لرأسـها وازار لجسـمها بينما السافرة تحتاج ان تشتري انواع البـدلات والثيـاب لأن (الاتيكيت) لا يرضـى لها ان تثبت على لباس واحـد وان تصـفف شـعرها على أحـدث الموديلات وان تضع انواع المساحيق والعطور وأدوات التجميل وغيرها من المسـتلزمات لهذا العرف الشيطاني من حقائب وأحذية والآت الزينة والغرب الكافر حينما جرّ مجتمعنا الإسـلامي إلى هـذا الوضع المنحدر لم ينظر إلى هزيمة ديننا واخلاقنا ونظامنا الاجتماعي المتماسك بل اسـتهدف أيضاً إلى الجانب الاقتصادي حيث أصـبحت بلادنا سوقاً رائجة لتصـريف منتجاته الشيطانية. هذا مثال على الصعيد الفردي ومثال آخر على الصعيد الاجتماعي مثل الأمـة قـد تحتاج إلى تقـديم عدد معين من الضـحايا والقرابين لنيل حريتها وكرامتها وشـرفها لكن تخضع وتسـتكين للذل وتقاعس عن اداء الواجب فتدفع أضـعاف ذلك العدد وهي على ما هي عليه من الهوان والضِعة فالإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عندما طلب من الأمـة ان تقول كلمـة الحق في وجه يزيد وتقف في وجه انحرافاته ولو كلّفها بعض التضـحيات ولمّا أخلدت إلى الأرض وتعلّقت بالدنيا وتشـبثت بها وبخلت على الله تعالى بالقرابين اذاقها الـذل والهوان عن محمـد بن عرفة قال سـمعت أبا الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يقول:لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)(2) ودفعوا في وقعة



---

1- لبيان تفصـيل هذه الفكرة راجع موسوعة خطاب المرحلة: 10/ 73, والقبس/48, {فَسَـ يُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} (الأنفال : 36), من نور القران: 2/ 91

2- تهذيب الأحكام- الشيخ الطوسي: 6/ 176/ح1

واحدة هي واقعة الحرة:عشرة الاف انسان. وهذه سنة الله سبحانه جارية في الأمم جميعاً. فهؤلاء البعيدون عن الله سبحانه انما يلهثون وراء سراب {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور:39).

التاسع:

نقول له:ماذا يخسر الانسان لو اطاع الله سبحانه؟! لا يخسر شيئاً بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الايمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (الأعراف:32) وفي آية أخرى {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} (النساء:104).

وقد اتبع هذا الاسلوب الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حين قال لابن ابي العوجاء:- وهو من زعماء الملحدين-:في موسم الحج وكان يسخر من الطواف حول الكعبة (إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني أهل الطواف فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم) (1). وهو اسلوب لا يستطيع ان يرفضه اي عاقل.



---

1- بحار الأنوار: ج 3 / 43 عن كتاب التوحيد للصدوق:125 باب 9 ح4.

العاشـر:أنه لو خُيّرتَ بأنك هل تريد أن تدخل في تجارة تعطي فيها ديناراً فيردّ عليك بسبعمائة دينار والله يضاعف لمن يشاء فتصلي خمس صلوات في اليوم وتصوم شهراً في السنة وتحج مرة في العمر إن استطعت وتجتنب الخمر والخنزير والزنا والسرقة لمدة سبعين سنة مقابل ان يدخلك الله جنة عرضـها السـماوات والأرض تجد فيها كل ما تشـتهي حاضراً عندك من دون عناء ولا منغصات خالداً فيها وان تلك الحياة الـدنيا لا تشـكّل الا جزءاً يسـيراً يوم من الحياة الخالـدة {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} (الحج:22) فأي عاقل لا يرضـى بهـذه المعاوضة فيعطي التراب ويأخذ الذهب؟ كلّنا عُرض علينا هذا الأمر فوافقنا عليه وأخذ الله سبحـانه منّـا العهود والمواثيق على الالـتزام بهـذا العهـد فلمـا خرجنا إلى الـدنيا نسـيناه {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} (الأعراف:172-173).

الحادي عشر:

ان حقيقة يجب أن نصدّق بها ونعيشـها في وجداننا وهي ان الله تعالى معنا أينما كنّا من حيث الزمان أو المكان وفي مختلف أحوالنا {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الحديد:4) وانه كما وصف تعالى {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} {ق:50) ويعلم كل شيئاً عنّا {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي

الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} (الأنعام:3)، {إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء} (آل عمران:5). وامام هذه الحقيقة الدامغة لا يسعنا الا ان نلتزم بآداب العبودية بين يدي الخالق العظيم في جميع أحوالنا، ومن وصايا النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) (أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فأنه يراك)(1) .

الثاني عشر:

إن كل ما عندنا من مال وجاه وبنين وصحة واستقرار وسائر النعم الأخرى التي لا تعد ولا تحصى {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا} {النحل:18) هي مما أفاضه الله تعالى على عبده {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} {النحل:53).

واي عاقل يرى أن من غير الانصاف أن تقابل هذه النعم بالمعاصي والتمرد بل بالشكر والعمل بطاعة الله تعالى، واذا أصرَّ العبد على المعاصي فليرجع هذه النعم إلى خالقه وليعص الله بأدوات من صنعه إن قدر على ذلك، لكنه سوف لا يملك شيئاً يعصي به الله تعالى لأن كل ما عنده من الله تعالى وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يعصيه إذن وبهذا المعنى ورد الحديث القدسي (من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليعبد رباً سوائي، وليخرج من أرضي وسمائي)(2) .



---

1- بحار الأنوار: ج 74/ص 74

2- شرح أصول الكافي: ج 1 /ص 219

## القبس /108: سورة النو ر: 33

### اشارة

{وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا}

### موضوع القبس:العفّة رأس كل خير

(العفّة) ملكة وصفة نفسية كسائر الملكات النفسية مثل الشجاعة والكرم والحلم والرحمة:تحصّن صاحبها من الإنقياد للشهوة وإتباع الهوى والوقوع في القبيح، من وصية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لمحمد ابن أبي بكر لما ولاه مصر (اعلم ان افضل العفّة الورع في دين الله والعمل بطاعته) وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(العفاف يصون النفس وينزهّها عن الدنايا)(1)، فالعفّة كالتقوى من هذه الناحية ويمكن ان يكون الفرق بينهما ان العفّة صفة ذات والتقوى صفة فعل والمتعفّف من تحلى بتلك الملكة عن طريق الترويض ومجاهدة النفس، والاستعفاف طلب العفّة.

واذا اطلق لفظ (العفّة) فان الذهن العرفي ينصرف الى حفظ النفس من السقوط في اتباع الشهوة الجنسية بغير ما أحلّ الله تعالى ومخالفة احكامه في هذا المجال سواء على مستوى المظهر الخارجي كسفور المرأة او ميوعتها او عدم غض النظر الى غير ما أحلّ الله تعالى او العلاقات الجنسية غير المشروعة او أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية وإثارتها ونحو ذلك فهذا كله ينافي العفاف،



---

1- الروايات المذكورة أوردها في ميزان الحكمة: 6/ 72 عن مصادرها

وقـد جاء الامر الإلهي صـريحاً بتنزيه النفس في هذا المجال قال تعالى {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} (النور:33) والخطاب موجّه الى كلا الجنسـين فأمروا بالتعفف وحفظ النفس من الحرام بالتزويـج إن كانوا قادرين عليه ومؤهلين له، وإن لـم تكن عندهم القدرة على التزويج فليتعففوا بالصبر والانشـغال بالطاعات والاعمال المفيدة المثمرة والابتعاد عن المثيرات الجنسية وبمساعدة التـذكر والالتفـات الى ان الإنسان في محضـر الله تبارك وتعالى وتحت نظره وفي رقابـة الملائكـة {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيـدٌ} (ق:18)، ومفتـاح هـذه الحصانـة عملياً يتحقق بغض البصـر {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} (النور:30-31).وهذا الامر الشـرعي لغض البصر ليس مختصاً بشـريعة الإسلام وإنما هو موجود في الشرائع السماوية الاخرى، ففي أنجيل (متى:5:27-29) (قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن، واما أنا أقول لكم إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك، لانه خير لك أن يهلك احد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم)(1)

وقـد بلغ التـأديب الشـرعي حـداً دقيقـاً في مجال العفاف لكلا الجنسـين كقوله تعالى {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ} (النور:31) ويكره



---

1- نقله عنه في تفسير الفرقان:20/ 238.

للرجل ان يقعد في مكان قامت عنه المرأة حتى تذهب حرارة بدنها عنه، عن أبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):إذا جلست المرأة مجلساً فقامت عنه، فلا يجلس في مجلسها رجل حتى يبرد)(1).فالآية الكريمة تدعو الرجال والنساء الذين لم يتيّسر لهم تلبية شهواتهم الجنسية بالزواج الى التعفف وحفظ النفس من الوقوع في الحرام الى ان يغنيهم الله من فضله ويهيئ لهم أسباب الزواج السعيد المبارك، وروى في صحيح البخاري عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله:(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء)(2).

هذا على صعيد تفسير الآية الكريمة والمعنى المتبادر من العفاف، لكننا ذكرنا في اول الحديث ان العفّة جارية في كل انحاء السلوك ولا تقتصر على ما يتعلق بالشهوة الجنسية والعلاقة مع الجنس الاخر، وقد ورد لفظ العفاف بهذا المعنى في القرآن الكريم وبغيره أيضاً، فعلى صعيد التعفف من أي انحراف في توظيف الحاجة الجنسية قال الله تبارك وتعالى {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} (النور:33) وقال تعالى {وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (النور:60) بحفظ نفوسهن عمّا تشتهي من التبرجّ والظهور للأجنبي وإبداء الزينة.

وعلى صعيد عفّة اليد من التجاوز على أموال الاخرين بغير حق قال تعالى



---

1- الوسائل ، ج 20 كتاب النكاح ، أبواب مقدمات النكاح ، ب 145 ح 1 .

2- صحيح البخاري: 3/7/ح 5066, ط. دار طوق النجاة

{وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ} (النساء:6) وعلى صعيد عفّة النفس واستغنائها عن الطلب من الناس قال تعالى {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً} (البقرة:273) وفي عفّة اللسان ورد قوله تعالى {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} (النساء:148) وفي عفّة البطن ورد قوله تعالى {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} (عبس:24) وقوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} (الأنعام:121) وجمعت آية أخرى كل معاني العفاف، قال تعالى {إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(الأعراف:82) أي يتعففون وينزهون أنفسهم عن فعل القبيح في كل شؤون حياتهم.وهكذا تنوعت الأحاديث الشريفة أيضاً فورد في عفّة البطن عن أكل الحرام بسبب حرمة نفس الطعام والشراب كالخمر ولحم الخنزير واللحوم غير المذبوحة بطريقة شرعية او الأطعمة المتنجسة او بسبب حرمة المكسب او حرمة المال، قول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(اذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه) (1) وعن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (ما عُبد الله بشيء أفضل من عفّة بطنّ وفرج).

و ورد في عفّة المعاملة مع الناس قولاً وفعلاً قول رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (من طالب حقاً فليطلبه في عفاف) أي بوسائل مشروعة ولأغراض صحيحة.

ويبلغ العفاف اسمى مراتبه في عفّة القلب وطهارته من كل الرذائل الخُلقية كالحقد والحسد والانانية والعصبية والرياء والعجب وغيرها ويتسامى اكثر فلا يسكن فيه غير محبة الله تبارك وتعالى {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ



---

1- الحديث وما بعده تجدها في ميزان الحكمة للريشهري: 3/ 2006-2007-2008, وغيرها

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (الشعراء:88 – 89) وسلامة القلب تعني طهارته وتعفّفه عن التعلق بما سوى الله تعالى، لما سُئِل الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عمّا يسمونه بالعشق بين الجنسين قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(قلوبٌ خلت من ذكر الله فاذاقها الله حب غيره)(1)وعلى هذا يكون من الطبيعي ما ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(العفّة رأس كل خير) لان حصول ملكة العفّة في النفس تجعل الإنسان صالحاً مؤهلاً لاستقبال الالطاف والتوفيقات الإلهية كما ورد في القرآن الكريم في حق مريم (س) {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:91) والفاء هنا للتفريع فعفتها واحصانها كان سبباً لنيل هذه الكرامة، وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (اذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه)(2).

## وتحصل ملكة العفاف بعلاجين: نظري وعملي:

اما النظري فمن خلال الالتفات الى أهمية العفّة في استقامة الانسان وعظيم بركاتها في الدنيا والآخرة، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (أفضل العبادة العفاف) وورد عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في فضل من له القدرة على ارتكاب ما ينافي العفاف سواء في العلاقة مع الجنس الاخر أو أكل الحرام أو الظلم أو النيل من الآخرين بلسانه ونحو ذلك لكنه يمنع نفسه عن ذلك تعففاً قال (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم اجراً ممن قدر فعفَّ، لكاد العفيف ان يكون ملكاً من الملائكة) وعنه



---

1- أمالي الصدوق: 765ح1029.

2- الحديث وما بعده تجدها في ميزان الحكمة للريشهري: 3/ 2006-2007-2008, وغيرها

(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من عفَّ خفَّ وزره وعظم عند الله قدره) وجعل (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حديث آخر من ثمراتها قلة الاحزان.ومن العلاج النظري:ان يلتفت الإنسان الى قدر نفسه وعظيم ثمنها

وحينئذ لا يرضى لها بغير العفاف والترفع عن اتباع الاهواء والشهوات والخوض في الأمور الدنية، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (ينبغي لمن عرف نفسه ان يلزم القناعة والعفَّة) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من عقل عفَّ).

اما العلاج العملي:فنعني به ترويض النفس ومجاهدتها وتدريبها على القناعة بالقليل من الحلال اذا وجد، او الصبر اذا لم يحصل على القليل، ولذا يوصي أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) من يريد التأسي به بقوله (الا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد) وفي حديث مروي عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (أصل العفاف القناعة) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(من قنعت نفسه اعانته على النزاهة والعفاف).

وهذا واضح من أصل اشتقاق الكلمة لغوياً فقد قيل انها من (العُفّة) وهي بقية اللبن في الضرع فكأن الضرع يعف بها عن الخروج ويحفظها فيه او ان هذه البقية من اللبن تعف عن ميل اللبن الى الخروج وتُسمى (العُفافة) ايضاً فيقال عففت فلاناً أي سقيته العُفافة وهو (الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العُفافة، والعُفّة:أي البقية من الشيء)(1).

والحياء و العفّة توأمان، فالحياء ينتج العفّة، عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (سبب العفّة الحياء)(2) وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (على قدر الحياء تكون العفّة) وفي رسالة



---

1- مفردات القرآن للراغب الاصفهاني، مادة (عف)

2- هذه الاحاديث عن الحياء نقلها عن مصادرها في ميزان الحكمة : 2/ 509

الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الى شيعته التي امرهم بمدارستها والنظر فيها يومياً (عليكم بالحياء، والتنزه عما تنّزه عنه الصالحون قبلكم).اننا اليوم احوج مـا يكون الى إشاعـة ثقافـة العفّـة في جميع المجالات حيث تعاني المجتمعات من الانحراف الأخلاقي والاجتماعي والفكري والفساد المالي والإداري والكل يتحـدث عن النزاهـة والمبادئ العليا والاخلاق الكريمـة وحقوق الانسان ولا نجدها على الواقع بينما يقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(النزاهة آية العفّة).

وتحقيق العفاف مسؤوليـة اجتماعيـة تضامنيـة يشترك فيها الجميع، فالشاب الـذي يريد ان يتعفف ويحصِّن نفسه بالزواج ولا يجد الى ذلك سبيلاً يتحمل مسؤوليـة تزويجه القادرون على ذلك، وعفّـة اليـد تتطلب مؤسـسات فاعلـة تثقف المجتمع بحرمـة التجاوز على المال العام وتكافح الفساد، وعفّة البطن تدعو الى مراقبة السوق وأنواع الكسب الموجودة لمنع الكسب الحرام وهكذا بقية المجالات.

وفي يوم العفاف الـذي اختير له ذكرى ميلاد سـيدة العفاف العقيلة زينب الكبرى (س) نقف إجلالاً ونقدّم اسـمى تحيات الاكبار والتعظيم للسـيدات العفيفات على مر التاريـخ وقـدواتهن المباركات السـيدة مريم ابنـة عمران وآمنة بنت وهب أم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وخديجـة بنت خويلـد أم المؤمنين التي كانت تُسّمى (الطاهرة) في الجاهلية التي عم فيها الفساد، وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) التي كانت عابـدة موّحـدة في الجاهليـة الوثنية وفاطمة الزهراء (س) سـيدة نساء العالمين وزينب بنت أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عقيلة آل رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) اللواتي يفتخر الامام المعصوم زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بالانتساب لهن ويقف

فى مجلس الطاغيـة يزيد ويقول (أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن عديمات العيوب)(1)، ومن سار على نهجهن من النساء المؤمنات.ونستذكر في هـذه المناسـبة المؤمنات العفيفات اللواتي مضـين الى ربهّن شـهيدات صابرات صامـدات في سـجون الانظمـة الطاغوتية الجائرة قديماً وحديثاً ولم يتنازلن عن شـرف المبادئ السامية رغم التعذيب الوحشي فطوبى لهن وحسن مآب، واشكر الاخوة الذين وفّقوا لإحياء ذكراهن واستعادة كلماتهن والتذكير بمواقفهن ضمن فعاليات هذا اليوم الشريف.



---

1- الاحتجاج- الطبرسي: 2/ 39, وبعض المصادر ترويها عن الإمام الحسن في مجلس معاويـة كما في (مناقب آل أبي طالب- ابن شـهر آشوب: 3/ 178

## القبس /109: سورة النو ر:36

### اشارة

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيهَا ٱسمُهُۥ}

### موضوع القبس:مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت(عَلَيْهِم السَّلاَمُ)

### التلازم بين القرآن واهل البيت(عَلَيْهِم السَّلاَمُ):

نشير اولاً باختصار إلى الاقتران والتلازم في المقامات بين القرآن الكريم وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ)، هذا التلازم الّذي أفاده حديث الثقلين الذي أجمع الفريقان(1) على صحّته وصدوره عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، ففي مسند أحمد بن حنبل(2) بسنده عن زيد بن ثابت قال:قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل مدود ما بين السماء والأرض- أو ما بين السماء إلى الأرض- وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض) ورووه عن جمع غفير من الصحابة.

### لا يرتاب مسلم في معنى أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ):

وقد بيّن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بالقول وبالفعل المقصود من أهل البيت في مواطنٍ كثيرة وهُم علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ففي مستدرك الصحيحين روى بسنده عن أمّ سلمة أنّها قالت:في بيتي نزلت هذه الآية



---

1- لمعرفة مصادره من كتب العامّة راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: 2/ 52).

2- مسند أحمد: 5/ 181/ح21068

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} (الأحزاب:33) قالت:فأرسل رسول الله (صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقال:(اللهمّ هؤلاء أهل بيتي) قالت أمّ سلمة:يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال:إنّك إلى خير. وهؤلاء أهل بيتي اللهمّ أهل بيتي أحق).(1)ولا حاجة بعد هذا للدخول في مناقشات لغوية في معنى أهل البيت ومن هو المشمول بها بعد أن حدّد النبي (صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بنفسه المراد بهذا العنوان.

## الزهراء (س) عِدل القرآن الكريم:

فالسيّدة فاطمة الزهراء من أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) الذين هم -بموجب حديث الثقلين- صنو القرآن وعدل القرآن ولا يفترقان حتّى يردا الحوض يوم القيامة، ومن هذا الاقتران والملازمة نستنتج خصائص كثيرة ومقامات رفيعة لأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وللصدّيقة الطاهرة (س) ولأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لتضاف إلى الأدلّة على إمامته وتقدّمه على الخلق أجمعين بعد رسول الله (صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) منها:

1-مقام العصمة، لأنّ القرآن {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت:42) وكذلك السيدة الزهراء (س) معصومة بغضّ النظر عن الأدلة الأخرى على عصمتها كآية التطهير وغيرها.

2-مقام العلم والإحاطة بكل شيء ممّا علمهم الله تبارك وتعالى فقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بقوله {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}



---

1- راجع مصادر الحديث في المصدر السابق: 1/ 269.

{النحل:89) وقال تعالى {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} (الأنعام:38) فالسيدة الزهراء (س) لها هذا المقام من العلم والإحاطة بمعرفة كلّ شيء وهو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، قال تعالى {وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء} (البقرة:255).3-والقرآن له مقام الإمامة والقيادة والحجة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (الحشر:7) وقال تعالى {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم:3-4) وللقرآن مقام الإمامة، قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً) (1) فكذلك السيّدة الزهراء (س) لها مقام الإمامة والقيادة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين، لذا روي عن الإمام العسكري قوله (نحن حجج الله على خلقه وجدّتنا فاطمة حجّة الله علينا).(2)

4-والقرآن هو الحق والحقّ معه {هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ} (الجاثية:29) {فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} (الذاريات:23) وهكذا السيّدة الزهراء (س) فإنّ الحقّ يدور معها حيث دارت.



---

1- كنز العمال- المتقي الهندي: 1/ 515

2- خطاب المرحلة: 7/ 52.

5-وللقرآن القيمومة(1) العليا المطلقة على الخلق قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لّهُ عِوَجَا، قَيِّماً} (الكهف:1-2) كما أنّ القيّم على الأسرة أو المجتمع له الولاية عليهم يقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويسعدهم، فكذلك الزهراء (س) لها القيمومة على الناس ومنهجها هو المنهج القيّم والمستعلي على المناهج كلّها، وقد علّلت الآية علّة القيمومة بأنّ لا عِوَجَ له.

6-والقرآن مبارك {وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} (الأنعام:92) {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} (ص:29) فهو كثير البركة والخير والعطاء ومبارك في آثاره على النفس والمجتمع لأنّه مصدر الهداية والإرشاد والسعادة والحياة المطمئنة للبشرية ومصدر العلوم كلّها، وهكذا الزهراء (س) كثيرة البركة وعطائها لا ينفد، حتّى أنّ الله تعالى سمّاها الكوثر الذي يعني الخير الكثير.

7-والقرآن عصمة للأمة من التفرّق والتشتّت والضياع {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (آل عمران:103) والقرآن وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) هم الحبل الممدود الذي يعصم الأمّة، وفي هذا قالت السيّدة الزهراء



---

1- شرحنا معاني هذه الصفات للقرآن في فصل (القرآن يصف نفسه) في ملحق القبس/109, {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان:30) , من نور القرآن, ص303 من هذا الجزء

(س) (وجعل إمامتنا نظاماً للملّة وأماناً من الفرقة)(1).8-والقرآن عزيز يصعب مناله في كتابٍ مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون، وعزيز لأنّه قاهرٌ غالب على من خاصمه، وهو عزيز يندر وجود مثله، وعزيز لأنّه يمتنع عن النيل بسوء، وعزيز لأنّه مطلوب وكلّ مفقودٍ مطلوب، وهكذا السيّدة الزهراء (س) عزيزة بكل هذه المعاني.

9-والقرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للعالمين كما وصف نفسه وهكذا السيّدة الزهراء (س).

10-وللقرآن مقام الشفاعة كما وصفه النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع).(2)

وللزهراء (س) الشفاعة يوم القيامة حتّى ورد في الرواية أنها (س) تلتقط مواليها ومحبّيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء(3).

11-والقرآن مخاصم لمن هجره وأعرض عنه ولم يعمل به وحجّته غالبة ومصدّقة من دون بيّنة أو دليل كما وصفه النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بأنّه (ما حل مصدّق) (4) أي مخاصِم مصدّق فيما يقول وهكذا السيّدة الزهراء (س) ستخاصم من ظلمها وأنكر حقّها وجحد ولايتها، وهي مصدّقة في دعواها.



---

1- الاحتجاج- الطبرسي: 1/ 134

2- ميزان الحكمة: 7/ 238 وكذا الأحاديث التالية في نفس المصدر.

3- بحار الأنوار- المجلسي: 8/ 52

4- الكافي- الشيخ الكليني: 2/ 598/ح2

12-والقرآن خالد محفوظ إلى يوم القيامة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:9) وهكذا الحجج من أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) باقون ببقاء القرآن وهذا دليل على وجود الإمام المنتظر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وذكر فاطمة وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) باقٍ إلى يوم القيامة ونورهم باقٍ مهما حاول الحاسدون والمنافقون والمبغضون إطفاءه والقضاء عليه وإزالته {يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (الصف:8).

13-وفي التمسّك بالقرآن النجاة من الفتن، عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(إنّها دار بلاء وابتلاء وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)، فالتمسك بهدى الزهراء (س) ينجي من الفتن ويقود إلى الهداية.

14-والقرآن يصف نفسه {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} (الطارق:13- 14) وهكذا كلمات فاطمة (س) كلّها فاصلة ليس فيها هزل لا محصّل من ورائه أو هزيلة خالية من المعاني، وكان يومها يوم الفرقان.

15-والقرآن أنيس، يقول الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي)(1) وهكذا ذكر السيّدة الزهراء وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) فإنّه أنيس للمحبّين والموالين وبلسم لنفوسهم المتعبة).

16-والقرآن لا يبلى ولا يُملُّ بكثرة التكرار، قال امير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (لا



---

1- الكافي: 2/ 602.

تُخلقهُ كثرةُ الرّد وولوجُ السمع)(1) وهكذا ذكر الزهراء (س) كلما يتكرّر يزدادُ اقبالاً وبهجة حتى لو استمر طيلة أيام السنة وعلى مدى السنين.17-ولمن حمل القرآن وتعلّمه وعلّمه أجر عظيم، روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله:(حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنور الله عزّ وجل) فلمن أحيا ذكر الزهراء (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ونشر فضائلها ومناقبها ومظلوميتها مثل هذا الأجر العظيم.

18-وإنّ على حامل القرآن أن يتّصف بالخير، روي عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإنّ أحقّ الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن) فعلى الموالين للسيّدة الزهراء (س) ان يكونوا على مثل هذه الخصال الكريمة.

19-وللقرآن ارتباط وثيق بليلة القدر وكان نزوله فيها {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر:1) {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} (الدخان:3) وللسيّدة الزهراء (س) ارتباط وثيق بليلة القدر؛ ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (فمن عرف فاطمة (س) حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر)(2)، وقد شرحنا في بعض أحاديثنا وجوهاً لهذا الحديث.

20-ومن آداب تلاوة القرآن أن يُقرأ بالحزن، عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (اقرأوا القرآن بالحزن فإنّه نزل بالحزن)، وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا)، ومن وصف أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) للمتّقين (أمّا الليل فصافون



---

1- الأحاديث تجدها في ميزان الحكمة: 7/ 238

2- راجع مصادره في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (س): 18/ 438.

أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم) فكذلك السيّدة الزهراء (س) لا تُذكر إلاّ ويفيض القلب حزناً لذكراها، فضلاً عمّا لو ذُكرت مظلوميتها. روي أن رجلاً دخل على الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وقد وُلدت له بنت فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (ما سمّيتها؟ قال:فاطمة فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (آه آه آه ثم وضع يده على جبهته - إلى أن قال- أما إذا سمّيتها فاطمة -فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها).(1)

وهذه الخصائص التي ذكرناها للزهراء (س) ثابتة للأئمة الأطهار (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لكونهم من أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وإنّما خصصنا السيّدة الزهراء (س) بالذكر لأنّها صاحبة المناسبة.

إن ما قمنا به من بيان هذه المقامات لأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) فيه دعوة لإتباع هؤلاء السادة الهداة تلبية لدعوة الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (قال الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):رحم الله عبدا أحيا أمرنا، فقيل له:وكيف يُحيي أمركم ؟.. قال:يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا)(2).



---

1- وسائل الشيعة كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب 87.

2- جواهر البحار، الجزء الثاني، كتاب العلم، عن كتاب: معاني الأخبار.

## القبس /110: سورة النور:55

### اشارة

{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي ٱلأَرضِ}

### موضوع القبس:الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين

قال الله تبارك وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55).

يتعرّض المؤمنون في حياتهم إلى ضغوط عديدة من قبل أعدائهم وخصومهم في الفكر والعقيدة، وهذه الضغوط قد تكون على نحو الاستهداف بالقتل والتشريد والسجن والإرهاب، وقد تكون على نحو صناعة المشاكل الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والشبهات العقائدية، وقد تكون على نحو التجويع والحصار الاقتصادي وحرمان الإنسان من حقه في حياة حرة كريمة، وغير ذلك.

ولا يتوقف الخصوم والأعداء عن هذه الممارسات التي تأخذ أشكالاً متعددة قوية عنيفة تارة وناعمة خفية تارة أخرى؛ حتى يهيمنوا على المؤمنين ويتسلّطوا عليهم ويجرّدوهم من عقيدتهم وأخلاقهم ويحبطوا مشروعهم الإصلاحي ويذوّبوا هويّتهم على طريقة العولمة التي يتحدثون اليوم عنها، قال

تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} (البقرة:217) وقال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة:120) وهم ينطلقون في ذلك من أنانيتهم واستكبارهم وحبهم للدنيا واتباعهم للشهوات وحسداً للمؤمنين على طهارتهم وسموّهم عن الرذائل والموبقات، قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} (البقرة:109). ويساعد على نجاح خطط هؤلاء الأعداء الخارجيين من داخل المجتمع المسلم حمقى ومنافقون وجهلة وطلاب الدنيا وعُبّاد الشهوات.

وفي ظل هذه الضغوط يعيش المؤمنون حالة من الضيق والقلق والخوف واليأس من نجاح مشروع الهداية والإصلاح فيأتي هذا الوعد الإلهي المذكور في الآية ليطمْئنهم ويعيد إليهم الثقة بالنفس ويزرع في قلوبهم التفاؤل والأمل حتى يثبتوا على إيمانهم ويستمروا في أداء رسالتهم، ولا شك أن هذا الوعد حق لا يمكن أن يتخلف {وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً} (النساء:122) {لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} {الروم:6) {إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (آل عمران:9) (الرعد:21).

نعم قد تطول المدة حتى يتحقق هذا الوعد الإلهي ولو في بعض مراتبه؛ لأن بناء المجتمع الصالح يحتاج إلى جهود مضنية وعمل دؤب مع صبر ومصابرة ومرابطة وإلى زمن لتتحقق شروطه وظروفه ومقوماته، فعلى المؤمنين أن يستمروا

بعملهم والقيام بمسؤولياتهم وليس عليهم توقيت النتائج أو استعجال حصولها.والوعد الذي تشير إليه هذه الآية التي نزلت في المدينة ذكرته آيات سبق نزولها في مكة(1) كالذي تضمنه قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} (القصص:5-6) وقد كان المسلمون يومئذٍ قلة معدمين تلاحقهم قريش فتعذبهم وتحاصرهم وتصادر أموالهم وتقتلهم {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (الأنفال:26)، فوعد الله تعالى المؤمنين بالأمور التي ذكرتها الآية:

1-الاستخلاف في الأرض بأن تكون بأيدي المؤمنين الصالحين العاملين الإمكانيات المادية والمعنوية التي يستطيعون بها إعمار الأرض وتوفير الحياة الكريمة للبشرية جمعاء.

2-تمكين الدين الذي ارتضاه تعالى لهم وهو الإسلام والانقياد لله تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} (المائدة:3) ويتحقق تمكين الدين بثباته واستقراره في القلوب والنفوس وعندما تكون له القيمومة والسيادة على الأنظمة والقوانين والدساتير التي وضعها البشر بقصورهم وتقصيرهم.



---

1- كقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (الأنبياء: 105) وقوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} (الصافات: 171-173).

3-الحرية في الإيمان بالعقائد الحقة وممارسة العبادة الخالصة لله تعالى ونبذ الشركاء جميعاً سواء كانوا أصناماً حجرية أو بشرية أو طواغيت أو أهواء أو عصبيات أو تقاليد، ويقترن ذلك بالأمن من الخوف وزوال الضغط والإرهاب عنهم وتأثير الشبهات والضلالات عليهم.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فينبئك الله بتحقق وعده {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (الزمر:74).

لكن الوعد الإلهي بتحقيق هذه الأمور لا يتم بمجرد ادعاء الإيمان أو الاكتفاء بممارسة العبادات والشعائر الظاهرية من دون أن يتحول إلى حركة فاعلة دائبة تنطلق من منهج متكامل للحياة فيجعل المرجعية للدين الحق في كل شؤون الحياة وتفاصيلها وفي كل عوالم الإنسان وسلوكه حتى في مشاعره وعواطفه وميوله فيجعل الله تعالى نصب عينيه ويجعل هدفه الوحيد تحقيق مرضاة الله تعالى وتجنب معصيته وغضبه سبحانه، لذا ذكرت الآية {منكم} أي ليس كلكم وإنما بعضكم الذي توفّرت فيه هذه الصفات.

أما من ينتسب إلى الإسلام وربما الانتماء لأهل بيت النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وربما يقيم الصلوات ويشارك في إحياء الشعائر الدينية لكنه يظلم الناس ويتجاوز على حقوقهم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يطبق أحكام الله تعالى في القضايا والوقائع فإنه ليس مشمولاً بهذا الوعد الإلهي لأن الخطاب موجّه إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر {قَالَتِ الْأَعْرَابُ

آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} (الحجرات:4).روي عن النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه كان جالساً مع أصحابه فجاء خبر إلى أحدهم بأن امرأته قد ولدت فتغيّر وجه الرجل فسأله النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):عما أصابه، فقال:خرجتُ والمرأة في حالة مخاض وولادة وأخبرت الآن أنها ولدت أنثى، فسأله النبي (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):كم سنة مضت عليك في الإسلام، قال:سبع عشرة سنة، فقال (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):كل هذه المدة ولم يدخل الإيمان قلبك(1).

فهذا الرجل رغم أنه من السابقين إلى الإسلام والمهاجرين الذين تحملوا الأخطار والمشاق، إلا أن هذه المشاعر القلبية منه سلبته حقيقة الإيمان وإن كان مؤمناً بحسب الظاهر.

أيها الأحبة:

إن هذا الاستخلاف والتمكين ليس من الضروري أن يكون مقترناً بالوصول إلى السلطة والحكم(2)، وإن كانت السلطة والحكم من العناصر المساعدة على الوصول إلى الهدف الأسمى أي تكون وسيلة وليست غاية وهي من مصاديق القوة التي أمر الله تعالى بإعدادها {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}(الأنفال:60).



---

1- الحادثة مروية في المصادر مثل وسائل الشيعة: 15/ 101 ح2 لكن ذيلها لم نعثر عليه في حدود البحث الذي أجريناه.

2- بل قد تكون السلطة وبالاً على أصحابها عندما ينظرون اليها على انها غنيمة يحوزونها بجشع واستئثار.

فالملحوظ في تحقق الوعـد الإلهي هو حصول النتائـج التي ذكرتها الآية الكريمة، فبالرغم من أن السـيدة الزهراء (س) والأئمة المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) كانوا في مظلوميـة دائمـة ومسـتمرة وإقصاء كامل إلا أنهم كانوا القـدر المتيقن من المقصودين بآيـة الوعد الإلهي، وقد أكد النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) هـذه الحقيقة بصـراحة ووضوح حينما جمع أهل بيته (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قبيل وفاته وقال لهم:(أنتم المستضـعفون بعدي)(1) وهي تعني فيما تعنيه أنتم المقصودون بالوعد الإلهي للمستضـعفين بالاستخلاف والتمكين ووراثة الأرض ولو على يد حفيدهم المهـدي الموعود (عجـل الله فرجه الشـريف) وقال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في بعض كلماته:(ونحن على موعود من الله تعالى حيث قـال عز اسـمه {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}(2). لقد كانت الصديقـة الطاهرة فاطمـة الزهراء (س) على ثقـة تامـة بهذا الوعد الإلهي رغم أنها بحسب الظاهر كانت امرأة مستضـعفة ومسـلوبة الحقوق وزوجها مكبّل وقد فقدت الناصر والمعين وهي تواجه خصماً بيده السلطة مدججاً بالسلاح ومحفوفاً بالأعوان المتأهبين لفعل كل شيء بلا رادع لكنها تخاطبهم بكل شجاعة وثبات وثقة بالنفس واطمئنان بالنتائج بقولها (س):(وأبشروا بسيف صارم يدع



---

1- معاني الأخبار- الشيخ الصدوق: 79

2- نهج البلاغة، من كلمته (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لعمر بن الخطاب لما استشاره في الخروج إلى العراق لقتال الفرس.

فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنّى بكم وقد عميت عليكم! {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}(1) (هود:28).إنها ليست لغة الأسير المستضعف بل لغة الواثق بالنصر والذي يرى هزيمة خصمه عين اليقين، فتحذّرهم من سوء العاقبة والمصير.

وقد ورثت ابنتها العقيلة زينب (س) هذه الثقة بالوعد الإلهي فقالت مخاطبة يزيد الطاغية المتفرعن المغرور بالنصر الذي توهّمه:(فكِد كيدك واسعَ سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحونَّ ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحَضُ عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي {أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (هود:18)(2).

## أيها الإخوة والأخوات:

إننا نتلمّس اليوم بوضوح جملة من علامات تحقق هذا الوعد الإلهي بإظهار الدين الذي ارتضاه على كل الأنظمة الوضعية المصطنعة وتمكين المؤمنين الصالحين من أخذ دورهم في إعمار الأرض بما ينفع البشرية كلها ويعبّد لها طريق الهداية والصلاح، ومن تلك العلامات:

1- وصول صوت أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) إلى جميع الشعوب حتى تتعرف على المبادئ الإنسانية السامية التي يريدون إقامتها مما ولّد مقبولية واسعة لهذه المدرسة المباركة لدى الشعوب وإقبالاً متزايداً على الانتماء لها.



---

1- الاحتجاج للطبرسي: 1/ 140.

2- راجع مصادر الخطبة في كتاب الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه: 1125.

2- تصاعد مستوى الشجاعة والتضحية في سبيل الله وحماية المقدسات وامتلاك المبادرة والإقدام والشعور بالمسؤولية لدى المستضعفين، وقد تجلّى كل ذلك في العمليات التي تخوضـها قواتنا المسـلّحة بكل صنوفها وأبطال الحشد الشعبي وقوافل الدعم اللوجستي خصوصاً في معارك الموصل الأخيرة حيث اعترف قادة جيش أقوى دولـة في العصـر الحديث بأن هذه المعركة تصـعب على أي جيش في العالم مع ما رافقها من النبل وسمو الأخلاق والتضحية من أجل الإنسان أي إنسان بغضّ النظر عن دينه وطائفته وقوميته.

3- تنامي حالـة الوعي واليقظـة لدى الأمة وإدراك تحديات المرحلة ومتطلباتها وهذه الحالة وإن كانت في بداياتها إلا أنها تبشّـر بخير بإذن الله تعالى.

4- ظهور علامات الضعف والضمور والتفكك عند الدول المستكبرة وازدياد مشاكلها التي تعجز عن حلّها فتحاول التخلص منها بتصديرها إلى الخارج.

**أيها المؤمنون:**

لكي نساهم في تحقق هذا الوعد الإلهي واكتماله بظهور منقذ البشرية بقية الله في أرضه وحجته على خلقه إمامنا المهدي الموعود (أرواحنا له الفداء) فعلينا أن نبذل قصارى جهودنا في إدامة وتعزيز هذه العلامات المذكورة، وقد ذكرت آية كريمة أخرى صفات وأعمال الذين يُمكَّنُ لهم في الأـرض، قـال تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَـةُ الأُمُورِ} (الحج:41).

وعلينا أيضاً أن نتجنب كل ما يعرقل هذه الحركة المباركة نحو التكامل

من عصيان وتمزق وتشتت وصراعات وخوض في الباطل واتباع للشهوات والأهواء وأن نعي مؤامرات الأعداء ونحذر منها وهي كثيرة وخطيرة ومعقدة لكنها لا تخفى على القيادة الرشيدة وأهل البصائر، تبدأ من نشر مظاهر الفسق والفساد وتجريد المسلمين من عناصر هويتهم العقائدية والأخلاقية، وتنتهي بانقلاب القيم والأفكار حتى يستحي المسلم من إعلان هويته والدعوة إلى مشروعه ويتباهى بتبعيته وذوبانه في المشروع المعادي(1). وهذا مما حذّر رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أمته منه في الحديث المشهور (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له:ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال:نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له:يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال:نعم، وشرٌ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر



---

1- وننقل هنا نموذجاً مما يريدون فعله أنقله من قراءة وترجمة أحد الإخوة المغتربين لكتاب (محو العراق: خطة متكاملة لاقتلاع عراق وزرع آخر) ووصفه الكاتب بأنه تطبيق لكتاب سابق بعنوان (فهم الشر: دروس من البوسنة) من خلال مصطلح (إبادة الشر) جاء فيه (هدم كل قيم التضامن وعلاقات الجوار والأحياء السكنية وبناء نظام الحواجز المادية والنفسية والدينية وسيطرة الارتياب والخوف من الآخر، والأخطر انقلاب المقاييس حيث يصبح المتشاطر ذكياً، والنبيل العفيف غبياً لأنه لا يشارك في الوليمة العامة والنهب، ويصبح اللص سوياً والشريف منحرفاً وغيرها من التناقضات التي تقلب منظومة القيم الأخلاقية والسياسية السوية لصالح نقيضها من خلال خطة منسقة لأعمال مختلفة تهدف إلى تدمير الأسس الأساسية للمجتمع).

معروفاً)(1).إن هـذه التحـديات الهائلـة تضاعف علينا المسؤوليـة، فليسـتمد المؤمنون من هـذا الوعـد الإلهي العزيمة والهمّة والقدرة غير المحـدودة على مواصـلة العمل الرسالي حتى تحقيقه بإذن الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد:7) {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً، وَنَرَاهُ قَرِيباً} {المعارج:6-7).



---

1- وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب 1، ح12.

## القبس /111: سورة الفرقان:30

### اشارة

{وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَومِي ٱتَّخَذُواْ هَذَا ٱلقُرءَانَ مَهجُورا}

### الحذر من هجر القرآن

تقع الآية ضمن سلسلة من الآيات التي تعرض صوراً من حالات الندم والأسف التي تنتاب الظالمين يوم القيامة بحيث يعضّ أحدهم على كلتا يديه وليس على اصبع واحدة جزاء تفريطهم وتمردهم على ما أمرهم الله تعالى به نتيجة لاتباعهم اهواءهم وعصبيتهم وقرناء سوء غشوّهم {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا} {الفرقان:27-29) ومما يزيدهم ندماً وحسرة ورعباً من مصيرهم ان الرسول الذي بعثه الله تعالى رحمة بهم ومنقذاً وهادياً لهم سيكون خصمهم والحجة عليهم وهو الذي يرفع الشكوى ضدّهم فتقول الآية التالية {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} لأن القرآن هو الأصل في السبيل الموصل الى الله تبارك وتعالى الذي يندمون على عدم اتخاذه، فالإعراض عنه إعراض عن الرسول (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأهل بيته الطاهرين، فلما هجروه وابتعدوا عنه وقعوا في هذا المصير المشؤوم.

و (قَوْمِي) هنا وإن انصـرفت إلى قريش قوم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عنـد نزول الآيـة في مكـة وتكون الآيـة حينئذٍ إخباراً عن دعاء وشـكوى ناجى بها رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ربَّه بعـد ان رأى صدود واعراض قومه من قريش والله تعالى يعلم بهذا الواقع ويعلم ان رسوله لم يـدّخر جهداً في ابلاغ الرسالة.الا انها عامة لجميع الناس كما هو شأن القرآن لأن الجميع مخاطبون بهذا القرآن ومأمورون باتباعه فتكون الآيـة إخباراً عن شـكوى يرفعها الرسول (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة والتعبير بالماضـي بعناية تحقق الوقوع كما في الكثير من الآيات التي تحكي مشاهد القيامة في القرآن بصـيغة الماضـي، فتنضمّ شـكواه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الى شكوى القرآن نفسه بحسب ما ورد في الرواية الشريفة عن جابر عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال (يجئ يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل:المصـحف، والمسـجد، والعترة. يقول المصحف:يا رب حرقوني ومزقوني، ويقول المسجد:يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة:يا رب قتلونا وطردونا وشردونا فأجثوا للركبتين للخصومة، فيقول الله جل جلاله لي:أنا أولى بذلك)(1) .

وروى عنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (أنا أول وافـد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي ثم اسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي)(2) .

وهجران الشـيء تعني مفارقته بنحو من الانحاء، ولا شك ان هجر القرآن يصـدق على مراتب عديـدة تقابل مراتب القرب من القرآن، فأوطأ درك للهجران هم من صمّوا آذانهم عن سماعه خشية ان يدخل قلوبهم فأغلقوها دونه تعصباً وعناداً



---

1- الخصال للصدوق: 132 أبواب الثلاثة، الحديث 232

2- الكافي: 2/ 600

واستكبروا عن الايمان به {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} (الإسراء:46) {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} (نوح:7) وانكروا كونه وحياً الهياً {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ} (الفرقان:4) وغاية ما قالوا أنه كلام منمق جميل صنعه محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهي الشبهة التي يرددها إلى اليوم بعض المعاندين أو إنه أملي اليه {يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} (النحل:103) .ومن مراتب هجر القرآن ما عليه المنافقون الذين أسلموا للقرآن ظاهراً لكنهم خالفوه في واقعهم وحياتهم العملية فبنو أمية وبنو العباس مسلمون ظاهراً ويؤمنون بالقرآن وما فيه وفيه قول الله تعالى {قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى:23) الا إنهم أمعنوا في قتل أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وسجنهم واضطهادهم، ويقرأون آية تحريم الخمر ويشربونها علناً وسراً وأمثال ذلك.

ومن صور الهجران ما عليه أغلب المجتمعات الإسلامية اليوم حيث يستمدون أفكارهم وثقافتهم وأنظمتهم وقوانينهم وسلوكهم من مصادر غير ربانية ويعرضون عن تعاليم القرآن الكريم التي هي دستور حياتهم ومنهج سعادتهم وكمالهم ففقدوا رشدهم وضلّت مسيرتهم.

ومن مراتب هجران القرآن الاهتمام بمخارج حروفه وتلحين الصوت فيه ومعرفة قواعد قراءاته وأنواعها من دون التدبر بمعانيه والاستفادة من مضامينه ولطائفه

وهؤلاء قال فيهم الامام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده)(1) .ومنها اتخاذ الآيات القرآنية مسرحاً للصراعات العلمية البحتة والجدل والمراء في مختلف العلوم لإثبات آرائهم ومواقفهم والتعصب لها وتفوقهم على الخصوم مبتعدين عن الهدف الذي أنزل من أجله وهو هداية الناس وهذا الجدل يقسي القلب ويصدّ عن ذكر الله تعالى ومعرفته والاهتداء إليه.

ولا زالت الحوزات العلمية ومعاهد العلوم -- وهي المعين الذي ينهل الناس منه دينهم -- بعيدة عن الحياة في كنف القرآن الكريم، ولا يحظى هذا السبيل الأعظم الموصل إلى الله تعالى باهتمامهم، وينهي طالب العلم دراسته دون أن يحظى بدرس في القرآن الكريم، وربما يرى الكثيرون في التصدي لتفسير القرآن الكريم وشرح معانيه والاستفادة من لطائفه ودقائقه منقصة بعالم الفقه والأصول مما يشكّل ضغطاً نفسياً واجتماعياً عليه حتى يتركه.

فلابد ان نتدارك أمرنا ونبادر الى اتخاذ السبيل مع رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لئلا نكون ممن يشكوهم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ومن الظالمين الذين يعضّون على أيديهم ويقول واحدهم {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا} والقرآن هو السبيل الأعظم والثقل الأكبر روى في مجمع البيان عن رسوله الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (أفضل العبادة قراءة القرآن) (2) وروي عنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (حملة القرآن عرفاء أهل الجنة)(3) .

روى الشيخ الكليني بسنده عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قوله (فإذا التبست عليكم الفتن



---

1- الكافي: 2/ 598

2- مجمع البيان- الطبرسي: 1/ 44

3- الكافي: 2/ 443 ح 11، الخصال: 28 ح 100، معاني الأخبار:323

كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل)(1) وقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار)(2) .ومن خلال الرجوع إلى أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) في فهم مراداته فأنهم الثقل الآخر وهما متلازمان لا يفترقان بنص الحديث المشهور المتواتر لدى الفريقين (إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا:كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان:كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)(3) فما تمسّك بأحدهما من لم يتمسك بالآخر، وقد اضيع القرآن عندما اقصي أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) عن مراتبهم التي وضعهم الله تعالى فيها ومما ورد في زيارة الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (وأصبح كتاب الله بفقدك مهجورا)(4)، روى الشيخ الكليني في روضة الكافي خطبة لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) المعروفة بخطبة الوسيلة إلى ان قال (فأنا الذكر الذي عنه ضل والسبيل الذي عنه



---

1- الكافي: 2/ 598

2- الكافي: 2/ 600

3- الكافي: 1/ 294

4- مفاتيح الجنان: ص 552/ الزيارة المخصوصة ليوم عرفة.

مال والايمان الـذي به كفر والقرآن الذي إياه هجر والدين الذي به كذب والصـراط الذي عنه نكب)(1) .وكـان كل علم أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاـمُ) من القرآن كمـا روي عن أمير المـؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاـمُ) وهو بـاب مدينـة علم رسول الله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وروى إبراهيم بن العباس قال (ما رأيت الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) سـئل عن شيء قط الا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره، وكان المـأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شـيء فيجيب فيه وكان كلامه كلّه وجوابه وتمثّله انتزاعات من القرآن)(2) إن من الطبيعي ان يوجـد أعداء للقرآن يهجرونه ويصـدّون عنه ويحاربون حملته ويضـعون العراقيل في طريق هدايته للبشـر جميعاً ففي الآية التالية التي فيها تسـلية لرسول الله (صَـلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وتخفيف عن آلامه {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ} {الفرقان:31) لكن الله تعالى شاء ألاّ يهجر القرآن فأوجب قراءته في الصـلوات الخمس المفروضـة يومياً، روى الفضل بن شاذان في علله عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (فان قال:فلم أمروا بالقراءة في الصلاة قيل:لئلا يكون القرآن مهجورا مضيعاً وليكون محفوظاً فلا يضمحل ولا يجهل)(3) فلا خوف على القرآن لأن الله تكفل بحفظه، والمهم ان نكون نحن في معسكر القرآن ومن حملته والدعاة إليه ومنفذي أحكامه.



---

1- روضة الكافي: 8/ 28.

2- عيون أخبار الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : 2/ 180 ح 4.

3- عيون اخبار الرضا: ج1/ص 113.

وقـد ذكرتُ في سلسـلة محاضـرات (شـكوى القرآن) وغيرها عـدة آليات وخطوات عمليـة لتفعيل دور القرآن الكريم في حياة الفرد والأمة يمكن الرجوع اليها والاستفادة منها.فلابد ان نلتزم يومياً بتلاوة القرآن في أوقات الصلاة أو غيرها ففي صحيحة حريز عن ابي عبدالله الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسـلم أن ينظر في عهده، وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)(1) والأولى ان يختم القرآن في الشـهر مرة، فقد روي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله (لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر)(2) وعلى الشباب أن يكونوا حريصين على ذلك، روى الشيخ الكليني بسنده عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة)(3) إلى آخر الحديث.

وعلى الصـعيد الاجتماعي اذكر فعالية واحدة الآن وذلك بأن يلتزم أئمة المساجد بأن يقرأوا مع المصـلين صـفحتين من القرآن الكريم بعد الانتهاء من صـلاة الجماعة يومياً ثم يشـرح لهم باختصار موضوعاً ورد ذكره في الصـفحتين كأهمية الصـلاة أو بر الوالدين أو حرمة الغيبة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ولايـة أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وتوجـد كتب مفيدة في هذا المجال كتفسـير المعين فأنه يضع في حاشية كل صفحة من القرآن تفسيراً لمفرداتها ويشرح باختصار في أسفل



---

1- الكافي: 2/ 441 ، ح4

2- الكافي: 2/ 451 ح 1

3- الكافي: 2 441 ، ح4

الصفحة عنواناً ورد فيها وبذلك يحصل كل فرد على ثقافة قرآنية واسعة خلال مدة قصيرة بلطف الله تعالى وحسن توفيقه.

ص: 290

## ملحق:شكوى القرآن

### الافتتاح:

ملحق:شكوى القرآن(1)

اعتاد الناس افتتاح الندوات والمؤتمرات واللقاءات وبرامج الإذاعة والتلفزيون بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تبركاً بها وتعظيماً لها وقد جرى على ذلك حتى غير المسلمين مما يدلُّ على هيبة هذا الكتاب الكريم حتى في قلوب أعدائه، فما أحرانا نحن طلبة الحوزة الشريفة أن نفتتح دروسنا بالقرآن الكريم وينبغي أن يكون افتتاحاً واعياً متفاعلاً مع روح القرآن ومضامينه ومعانيه وليس افتتاحا شكليا وكأنه مجرد نشيد وترنيمه أو عوذة وتميمة.

### القرآن يشكو:

وقد اخترت أن أبدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين جهّال ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يُقرأ فيه)(2) وأوضح مصاديق العالم هم أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وخصوصاً الإمام الفعلي القائم



---

1- سلسلة محاضرات ألقاها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الوارف) بمناسبة حلول العام الدراسي الجديد على طلبة الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف بدأت بتأريخ السبت 19/محرم /1422ه- الموافق 14/ 4/ 2001م. وصدرت في حينها بكتاب مستقل عنوانه (شكوى القرآن) لقي رواجاً كبيراً ولا يزال يعاد طبعه.

2- الكافي: كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، ح3. الخصال: 1/ 142 أبواب الثلاثة.

بالأمر (أرواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون:المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا ربّ حرّفوني ومزقّوني، ويقول المسجد:يا رب عطلّوني وضيعّوني وتقول العترة يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي:أنا أولى بذلك منك)(1).

## ونستفيد من هذا الحديث أكثر من أمر:

الأول:إن أسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الأركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا يكون بمعنى

حديث الثقلين المشهور:(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)(2). والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة، أما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في أجوائه المقدسة بالأمة.

الثاني:الإشعار بأن الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها لذلك أخبر (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عن الشكوى كحقيقة واقعة وهو (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يحذر الأمة



---

1- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب 5، حديث2.

2- روي في كتب العامة والخاصة، وللمزيد راجع كتاب (المراجعات) للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كأنَّ الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل.وما دامت هذه الثلاثة هي أسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفناءَه لذا كان لزاماً علينا أن نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان أثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالإعراض عنه، وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين.

وأرى من واجبي أن أنصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لأرفع هذه الشكاوى الثلاث وأبدأ برفع شكوى ثقل الله الأكبر:القرآن الكريم وهو الحبل الممدود من الله تبارك وتعالى إلى عباده، هذه الشكوى التي يرفعها رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يوم القيامة: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان:30) وحذّر المسلمين من هذا الخطر حين عرض عليهم سبب انحراف الأمم السابقة وهو ترك ما أنزل الله إليهم، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} (المائدة:8). فمن تمسك به فقد سلك الطريق الموصل إلى الله ومن أعرض عنه هلك وهوى.

ومنشأ هذه الشكوى إعراض مجتمعنا المسلم حتى الملتزمين(1) منهم عن تلاوة القرآن والاهتمام به وتدبر آياته فضلاً عن إعطائه دور الريادة والإمامة في



---

1- استقرأت عدداً من العينات العشوائية وكانوا من الطلبة المتقدّمين للقبول في الحوزة الشريفة لاستبيان علاقتهم بالقرآن والمفروض أنهم يمثلون درجة من الوعي والإيمان الذي

الحياة ليكون هو النبراس والدليل الذي يهتدي به المهتدون في جميع تفاصيل الحياة، حتى عاد منسياً عندهم ولا يذكرونه إلا قليلا في شهر رمضان المبارك، ونحن نحث على زيادة الاهتمام بالقرآن في هـذا الشـهر المبارك للعلاقة الحميمة بينهما، حتى ورد في الحديث:(إن لكل شيء ربيعاً وربيع القرآن شهر رمضان)(1) لكن هذا لا يعني إهماله أو قلة التعرض له في غيره من الشهور.

## البعد عن القرآن سبب انحطاط المسلمين:

إن اختيار الحديث عن هذه الشـكوى لم يأت اعتباطاً وليس هو من الترف الفكري بل هو ناشـئ عن بصـيرة نافذة ونظر ثاقب في تحليل واقع المسـلمين وما تردت إليه أوضاعهم حتى صاروا يهـدون مقتلهم على طبق من ذهب إلى أعـدائهم الـذين هم إبليس والنفس الأمارة بالسوء وصـنيعتها الغرب الكافر الـذي جهد على أن يفصل بين المسـلمين وعنوان عزهم وشـرفهم وكرامتهم وهو القرآن وها هو غريب بينهم، لذا ثارت في قلبي شجون.

إن أسـباب انحطاط الأمة وما آلت إليه من ضـعف وانحلال هو إعراضـها وعدم تمسـكها بحبل الله تبارك وتعالى الذي أمرهم بالاعتصام به فقال عز من



---

1- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، ص228.

قائل: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}(آل عمران:103)، وقد بين رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) هذا الحبل فقال (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(وإني مخلف فيكم الثقلين:الثقل الأكبر القرآن والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عز وجل ما إن تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بأيديكم . . . الحديث)(1).

## ما تمسك بالقرآن مَن أعرض عن العترة الطاهرة:

ولكن الأمة تركت كتاب الله وابتعدت عنه منذ أن أقصت العترة الطاهرة عن مكانها الذي اختارهم الله سبحانه له لعدم إمكان الفصل بينهما معرضين عن

قوله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}(القصص:68).

ومن خطل القول وتسويلات الشيطان ونزغات النفس الأمارة بالسوء أن يقول قائل (حسبنا كتاب الله)(2) التي لا يزال يكررها وينفثها الشيطان على لسان من يريد أن يقوض بناء الإسلام من أسسه بما فيها القرآن الذي يدعي أنه حسبه لأنه يعلم أن القرآن إنما يكتسب فاعليته ويؤدي دوره بالقائم به الواعي لأحكامه ومفاهيمه وهم العترة.

وهذه الفتنة -الفصل بين القرآن والناطق به - قديمة وممن ابتلي بها أمير المؤمنين حينما أجبر على التحكيم وعلى أن يجعل القرآن حكماً، قال



---

1- بحار الأنوار: 92/ 102.

2- البداية والنهاية- ابن كثير: 5/ 247

(عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال)(1) فالكتاب والعترة صنوان لا ـ يفترقان ولا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر فإن أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) هم باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وقد أمرنا بإتيان البيوت من أبوابها.فما يزعمه غيرنا من اهتمامه بالقرآن أكثر منا باطل جزماً، نعم، اهتموا بمخارج حروفه وتحسين الصوت إلى حد الغناء بقراءته وضبط قواعد التجويد التي وضعوها هم وبعضها مخالف للحكم الشرعي، وهذه كلها اهتمامات قشرية والمهم هو استيعاب المحتوى والمضمون والعمل به فإن اللفظ هو قشر والمعنى هو اللب والمتكلم لا يلحظ اللفظ بنفسه بل يتخذه وعاءً للمعنى وآلة لإيصاله إلى المخاطب والمعنى هو المراد الحقيقي للمتكلم.

وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم المتشدقين بألفاظ القرآن وحروفه المضيعين لمعاني القرآن وحدوده ففي الحديث المشهور (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه)(2) وهو خصمه لأنه غير عامل بما فيه وفي حديث عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قرّاء القرآن ثلاثة:رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده فذاك من أهل النار، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء-أي ينصرهم



---

1- نهج البلاغة: الخطبة 125.

2- مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن، باب7، حديث 7.

على الأعـداء- وبأولئك ينزل الله الغيث من السـماء فوالله هؤلاء قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر)(1). وفي حديث عن الإمام الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه)(2).

## لكي يفرغوا مضمون القرآن:

فيبدو من هذا أن خطّة الفصل بين الكتاب والعترة وبالتالي تفريغ الكتاب من محتواه ومضـمونه والتشجيع على الاهتمام بألفاظه فقط قديمة، وقـد نبه إليهـا المعصومون (عَلَيْهِم السَّلاَـمُ) فـأي اهتمـام بـالقرآن وهو يقرأ قوله تعـالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَـا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} (القصص:68) ثم يعرضون عمن اختارهم الله تبارك وتعالى ويقدمون غيرهم وقد جعل الله تعالى هذا الأمر كله في كفة ورسالة الإسـلام كلها في كفة أخرى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}(المائدة:67).

وأي اتبـاع للقرآن الـذي يقول برفيع صوته {قُـل لاـ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}(الشورى:23) وهـم ينصـبون العداء لأهل بيت النبوة ويتتبعونهم تحت كل حجر ومدر ولو كان لهم أدنى فهم لكتاب الله لضـموا هذه الآية إلى قوله تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً}(الفرقان:57) ليحصلوا على حقيقة أن أهل البيت هم السبيل الذي أمر الله



---

1- الخصال: 142.

2- إرشاد القلوب: 79.

تعالى باتباعه بقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأنعام:153) وبه فسر الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الآية فقال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(نحن السبيل فمن أبى هذه السبل فقد كفر)(1).

## كلمة حق يراد بها باطل:

ولا أقول أن كلمة (حسبنا كتاب الله) والأبواق التابعة لها التي ترددها إلى الآن وتطلب الدليل من القرآن فقط على أي شيء يقال لهم هي كلمة حق يراد بها باطل بل هي كلمة باطل يراد بها باطل وهؤلاء إنما يريدون بذلك هدم أسس الإسلام لأن الاكتفاء بالقرآن -كما يزعمون - يعني استغناءهم حتى عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو يعني الجهل بكل تفصيلات الشريعة، فإن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والأئمة المعصومين من آله هم القائمون على أمر الكتاب والمبينون لأحكامه.

وهذه العلوم كلها بين يديك هل تستطيع أن تكون طبيباً أو مهندساً من دون أخذه على يد المتخصصين العارفين بأسراره وفك رموزه؟ فكيف بالقرآن الذي هو:{تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ}(النحل:89) و {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}(الأنعام:38) وفيه صلاح البشرية جميعاً ولكل الأزمنة {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}(الصافات:154) وقد نبه رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلى هذا الخطر بقوله:(لا



---

1- بحار الأنوار: 24/ 13، باب: أنهم ع السبيل والصراط وهم وشيعتهم.

ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول:لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)(1).

## التخطيط لقتل الإسلام:

ولكن أعداء الله سبحانه وأتباع الشيطان علموا أن القرآن هو حصن هذه الأمة الحامي لها من الزيغ والانحراف، وأن أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) هم بيانه وترجمانه والعارفون بحقائقه وحبل الوصل بينه وبين الأمة فخططوا لإبعادهم عن الأمة فبقيت الأمة بلا راع والحصن بلا حام، وأصبحت فريسة سهلة بيد الأعداء والمتربصين بها السوء، وها أنت تراها تتزعزع لأبسط شبهة وتسقط في أول فتنة وتنهار بأول اختبار ((وهذه أعظم ثلمة انثلم بها علم القرآن وطريق التفكر والتفكير الذي يندب إليه، ومن الشاهد على هذا الإعراض قلة الأحاديث المنقولة عنهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فإنك إذا تأملت ما عليه علم الحديث في عهد الخلفاء من المكانة والكرامة وما كان عليه الناس من الولع والحرص الشديد على أخذه ثم أحصيت ما نقل في ذلك عن علي والحسن والحسين وخاصة ما نقل من ذلك في تفسير القرآن لرأيت عجباً:أما الصحابة فلم ينقلوا عن علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) شيئا يذكر وأما التابعون فلا يبلغ ما نقلوه عنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) -إن أُحصي - مائة رواية في تمام القرآن، وأما الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فلعل المنقول عنه لا يبلغ عشراً، وأما الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فلم ينقل عنه شيء يذكر، وقد أنهى بعضهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر



---

1- الميزان في تفسير القرآن: ج3 في البحث الروائي للآيات 28-32 من سورة آل عمران، نقله عن أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجة وابن حبّان وغيرهم من رواة العامة.

ألف (ذكره السيوطي في الإتقان) حديث من طريق الجمهور وحده، وهذه النسبة موجودة في روايات الفقه أيضاً))(1).

## الخسارة الجسيمة:

فماذا كانت خسارة القرآن بإبعاد أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) عن ممارسة دورهم الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له:

1-غياب الكثير من العلوم الحقيقية التي لا يفهمها من الكتاب إلا هم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

2-تراجع القرآن عن ممارسة دوره في إصلاح النفس والمجتمع لأنه والعترة صنوان لا يفترقان ولا يستطيع أن يكون فاعلاً في حياة الأمة إلا بأيديهم.

3-وقوع القرآن فريسة بأيدي المتلاعبين وأصحاب الأهواء والأغراض الشخصية بل والأعداء أيضاً، فترى كلاً منهم يجد دليلاً على معتقده في كتاب الله حتى الخوارج كانوا يستدلون بالقرآن كما حصل بعد التحكيم بينهم وبين ابن عباس فنهاه علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن الاحتجاج بالقرآن لأنه (حمّال ذو وجوه)(2) وراحت معانيه الحقيقية ضحية التأويلات التي حذر القرآن من اتباعها: {فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ}، لكن الجواب واضح وأعطاه القرآن مقدماً: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ



---

1- الميزان في تفسير القرآن: ج5/ بحث تأريخي في ذيل الآيات 15-19 من سورة المائدة.
2- بحار الأنوار: 2/ 245.

إِلاّ اللـهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} (آل عمران:7)، وأوضح مصاديق الراسخين في العلم هم أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ).4-تشتت الأمة وضياعها وتمزيقها لأن عصمتها ومحور تجمعها القرآن وأهل البيت بحسب تفسير رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}(آل عمران:103)، فقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):إنهم الكتاب والعترة، وقد عبرت الزهراء (س) عن هذه العصمة في خطبتها في مسجد رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(وجعل إمامتنا نظاما للملة)(1) أي بها تنتظم أمورهم وتستقر، فكانت نتيجة ابتعادهم عن أهل البيت فناءهم بيد المتسلطين وعبدة الأهواء الذين استغلوا نفس هذا القرآن ليهلكوا الحرث والنسل وكان من (وعاظ السلاطين) والسائرين في ركابهم من يبرر لهم هذه الأفعال المنكرة، كقوله تعالى: {أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} (النساء:59)، فجعلوا أولئك الكفرة الفسقة أولياء لأمور المسلمين.

## الوصية بحفظ القرآن

فلا تغرنكم دعوى هؤلاء بأنهم ملتزمون بالقرآن أكثر منا(2) واحفظوا القرآن لأنه أهل للحفظ والعمل به وكونوا كما أوصاكم أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قبيل



---

1- كشف الغمة: 2/ 110.

2- وقد أكدت على هذه النقطة لانخداع كثير من السذج بهذه الدعوى وراحوا يصدقونهم بعدم الإيمان بشيء إلا إذا وجد دليل عليه من القرآن وإسقاط الاستدلال بالسنة من الحساب.

استشهاده:(الله الله بالقرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم)(1)، وفي وصية النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لأمير المؤمنين في العمل بأربعين حديثاً قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه)(2).

## القرآن طريق الوصول إلى المعرفة:

فمن أراد الله سبحانه وطلب الوصول إليه لأن أول الدين معرفته تبارك وتعالى فعليه بالقرآن (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكن لا يبصرون)(3)، كما هو مروي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ومن أراد إصلاح نفسه وتهذيبها وتخليصها من أمراضها فعليه بالقرآن، ومن أراد إصلاح مجتمعه وإقامة أمره على السلام والسعادة والطمأنينة فعليه بالقرآن فإنه الدليل لكل هدى والمرشد لكل خير وصلاح.

ومن العجب أنك حين يعطل جهاز تذهب إلى الجهة المصنّعة له لكي تصلحه فإن صانع الشيء خبير به، وإذا مرضت -لا سمح الله- فتذهب إلى الطبيب المختص لكي يعالج المرض، ثم عندما تريد أن تصلح النفس الإنسانية ذات الأسرار الغامضة الخافية عن صاحبها فضلاً عن غيره، أو أن تضع نظاماً يكفل للبشرية سعادتها وإصلاحها تلتمس العلاج عند نفس البشر الناقصين العاجزين



---

1- بحار الأنوار: 42/ 256.

2- الخصال: أبواب الأربعين، حديث 19.

3- عوالي اللآلي: 4/ 116.

القاصـرين. ولا تـذهب إلى صانع هـذا الإنسان وخالقه ومصوره والعارف بالنفس البشـرية.وقد صدَّقت ذلك -أي فاعلية القرآن في إصـلاح النفس والمجتمع- التجربـة العظيمـة لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فـإن مقارنـة بسـيطة بين مجتمع ما قبل الإسـلام وما بعـده والنقلة الضـخمة التي حصـلت للأمة من أناس همج جهلة متشتتين قد تفشت بينهم الرذائل يتفاخرون بالمنكرات والقبائح إلى أمة متحضرة كريمة الأخلاق ذات نظام لم ولن تعرف البشرية البعيدة عن الله سبحانه مثله وبفترة قصيرة وكل ذلك ببركة هذا الكتاب الكريم وحامله العظيم.

## حاجتنا إلى إعادة القرآن إلى الحياة:

فنحن إذن بحاجة إلى إعادة فاعلية القرآن في حياة المسـلمين وإخراجه من عزلته بحيث اقتصر وجوده على المآتم التي تعقد للموتى والعوذ والأحراز .

وقد ورد في بعض الكلمات (إن آخر هذه الأمة لا ينصلح إلا بما صلح به أولها)، وقد صلح أولها بالقرآن فإذا أرادت الأمة أن تستعيد عافيتها وتعود إلى رشـدها فعليهـا بالقرآن، عن المقـداد (رضوان الله عليه) عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه قال في حـديث:(فإذا التبسـت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل)(1)، وقال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في بعض خطبه:(واعلموا أن هـذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل،



---

1- الكافي: 2/ 299.

والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان:زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفعوه من أدوائكم واستعينوا به على لأواءكم فإن فيه شفاءً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله عز وجل به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع وماحل ومصدق وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فإنه ينادي مناد يوم القيامة:(ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن)، فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكمواستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشّوا فيه أهواءكم)(1).

## اهتمام النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) بالقرآن:

ولقد بلغ اهتمام أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بالقرآن أقصاه حتى قال الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)(2).

لقد أُمر رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بتلاوة القرآن: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} (المزمل:4) وأمره تبارك وتعالى بالاستعداد لتحمله بالالتزام بنافلة الليل فقال تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ



---

1- نهج البلاغة، شرح محمد عبده: 1 / 347 . الخطبة (177) وأولها: (انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله).
2- الكافي: 2/ 602.

قِيلاً} {المزمل:5-6) ولم يكتف رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بتلاوته بل كان يطلب من عبد الله بن مسعود أن يقرأ القرآن عليه فيعتذر إليه (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعبد الله بن مسعود اقرأ عليَّ قال:اقرأ عليك وعليك أُنزل قال:إني أحب ان أسمعه من غيري قال:فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله: {كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا} (النساء:41) فبكى)(1) يريد بذلك أن يمتع جميع جوارحه بالقرآن عينه وأذنه وقلبه ولسانه وهو يعلم أن لكل جارحة طريقتها في اكتساب المعرفة فأراد - وهو أكمل الخلق - أن تتكامل لديه كل أسبابها، وقد قيل:أن من فقد حساً - أي أحد حواسه الخمس - فقد فَقَد علماً، فيريد أن يستفيد من معارف القرآن عن طريق جميع جوارحه، لذا ورد استحباب أن يقرأ القرآن بصوت مسموع. هذا غير ما ورد في فضل وثواب الإنصات إلى القرآن والنظر في المصحف وإن كان يحفظ ما يقرأ حتى لو كان في الصلاة، مما سيأتي إن شاء الله تعالى في مجموعة الأحاديث الشريفة.وكان (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يتفاعل مع القرآن، قرأ (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سورة الرحمن على المسلمين وهم منصتون له فقال (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن استماعاً منكم، قالوا وكيف يا رسول الله؟ قال (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):كانوا كلما قرأت: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يقولون هم:لا بشيء من آلائك ربنا نكذّب(2)، وإذا قرأ قوله تعالى: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى} يقول (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):بلى سبحانك



---

1- صحيح مسلم: 2/ 196

2- بحار الأنوار- المجلسي: 60/ 117

اللهم، لأنه كان يسمع من الله تبارك وتعالى مباشرة من خلال السطور. وسيأتي أن الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كان يقرأ وكأنه يخاطب إنساناً(1)، قرأ رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة فلما وصل إلى قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً}(الزمر:71) وقوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً}(الزمر:73) شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه، وقرأ (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سورة هل أتى على الإنسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة(2) فخرجت نفسه فقال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنة، فهؤلاء ممن وصفتهم الآية الشريفة: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}(البقرة:121).

## دواعي الاهتمام بالقرآن:

وقد ظهر مما سبق أكثر من محفز للاهتمام بالقرآن الكريم ألخصها مع نقاط جديدة غير ما سمعته إن شاء الله تعالى في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

1-إنه العلاج الناجح والكامل لأمراض البشر النفسية والاجتماعية والروحية بل والجسدية أيضاً، كما سيأتي في بعض الأحاديث الشريفة.



---

1- وسائل الشيعة (آل البيت): 6/ 208/ح3

2- الدر المنثور- السيوطي: 6/ 297

2-عـدم اسـتغناء طالب الكمال والسـعادة الأبديـة - وهو الهـدف الأسـمى وغايـة الغايات - في الدنيا والآخرة عنه والاهتداء بهديه والأخذ بسبيله، ويزداد سمو الإنسان وتكامله كلما ازدادت استفادته من القرآن.

3-إن في الاهتمام به تأسـياً برسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وبأهل بيته الكرام وقد أمرنا بذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(الأحزاب:21).

4-إن القرآن هو رسالـة الحبيب المطلق والإنسان لا يمل من إعادة قراءة رسالة حبيبه وملء النظر منها والتدبر في معانيها والله تبارك وتعالى هو المحبوب الحقيقي لاجتماع أسباب المحبة فيه، فإن الحب إما أن يكون لكمال المحبوب وحسنه وقد اجتمعت صفات الكمال والأسماء الحسـنى فيه تبارك وتعالى، أو يكون لأجل صـدور الفضل والإحسان منه، والله هو المنعم المتفضل المنان ابتداءً من غير اسـتحقاق وحتى للعاصـين من عباده {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}(النحل:18)، وهكـذا .وبهـذا المعنى ورد في الحديث عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية)(1).

5-الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي لا حدود له الذي يعطي لقارئ القرآن والمتدبر في آياته مما سنقرأه إن شاء الله تعالى في الأحاديث الشريفة.



---

1- الكافي: 2/ 609.

6-إن القرآن لما كان كتاباً حياً خالداً لكل زمان ومكان فإن المواقف التي عالجها والمشاكل التي واجهها لا تختص بزمان دون زمان، فيستفاد من القرآن إذن الحلول الدائمية المستمرة للمواقف المتجددة، وسنعرض الكثير منها في طي البحث كفكرة المقارنة بين الجاهليتين الأولى والحديثة، وفي هذا المعنى ما ورد عن الحارث الأعور قال:(دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت:ألا ترى أن أناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال:قد فعلوها؟ قلت:نعم، قال:أما إني قد سمعت رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول:ستكون فتن، قلت:وما المخرج منها؟ قال:كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم..)(1).

7-تعلّم المعارف والعلوم وأسرارها المودَعة فيه، بحيث أن مثل أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الذي يصف علمه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن بأنه:ما علمي وعلم جميع أصحاب رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في علم علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلا كقطرة في بحر، أقول مثل علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في علمه (قيل له:هل عندكم شيء من الوحي؟ قال:لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)(2).



---

1- سنن الدارمي:2/ 435، كتاب فضائل القرآن، ومثله في كتب الخاصة.

2- ذكره في الميزان عن بعض المصادر:ج3، في تفسير الآيات 7-9 من آل عمران.

ففي هـذا الكتاب من العقائـد الحقة والأخلاق الفاضـلة والتشـريعات الحكيمة ونكات البلاغة وحسن البيان ما يلبي كل حاجة، وفيه أسـرار الخلق وعجائب المخلوقات داخل جسم الإنسان وفي الكون والطبيعـة، وفيه ما لـم تتوصل إليه عقول المكتشـفين. ولا يعني هـذا أن القرآن كتاب فيزياء أو كيمياء أو فلك أو طب حتى تنعكس عليه أخطاؤها ونقائصـها، وإنما هو كتاب هدايـة وإصـلاح يوظف كل الأدوات لتحقيق غرضه، وهـذه العلوم كلها تصب في هـذا الهـدف ويأخـذ منها مقدار ما يحقق غرضه.8-براءة الذمـة من شـكوى القرآن إذا هجر، كما في الحـديث الشـريف المتقـدم (ثلاثة يشـكون . . .) وشـكوى القرآن لا ترد عند الله تبارك وتعالى، كما في الحديث الشـريف في وصـفه أنه: (ماحِلٌ مصدَّق) أي أنه خصم مصدَق ويعطى الحق له ويدعم هذه الدعوى شـكوى رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) المذكورة في القرآن: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً} (الفرقان:30).

9-الفوز بشـفاعة القرآن، فقـد وصـفه الحـديث بأنه:(شافع مشـفّع) وفي صـفه شـفاعته يقول الحديث:(وكان القرآن حجيزاً عنه - أي حاجزاً وسـاتراً عن قـارئ القرآن - يوم القيامـة، يقول:يا رب إن كل عامل أصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطائك، قال:فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنـة ويوضع على رأسه تاج الكرامـة ثم يقال له:هل أرضـيناك فيه؟ فيقول القرآن:يا رب قـد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذين قال:فيُعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم

يدخل الجنة فيقال له:اقرأ آية فاصـعد درجة ثم يقال له هل بلغنا به وأرضيناك؟ فيقول:نعم)(1).وغير هذه الفوائد كثير، وأنت ترى أن بعضها لا يختص بالمسلمين، لذا تجد إقبال المفكرين والعلماء والقادة على الأخذ من هذا القرآن وإن لم يكونوا مسلمين.

وإلى هنا يكون ما ذكرت من المحفزات كافياً لأن يثير الإنسان ويحركه ويدفعه نحو احتضان هذا الكتاب الكريم المعطاء والاهتمام به حتى يخالـط لحمه ودمه، وإني هنا أُلزم(2) كـل من يرى لي حقـاً عليه سواء كان أخلاقياً أو شـرعياً أن يختم القرآن على الأقل في السـنة مرتين. وهذا مقدار يسير جداً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن شهر رمضان وحده يمكن أن يُقرأ فيه نصف هذا المقدار أو أكثر.

وأهم مما ذكرت من المحفزات ما ورد في الأحاديث الشريفة التي اخترت لك منها مجموعة تتجاوز الأربعين حديثاً جرياً على سنة السلف الصالح الذين ألفّوا الكثير من كتب (الأربعون حديثاً) في شتى حقول المعرفة عسـى أن يكونوا وأكون معهم من أهل هذا الحديث الشريف، قال رسول الله (صـ لَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(من حفظ عني من أمتي أربعين حـديثاً في أمر دينه يريـد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيها عالماً)(3).



---

1- الكافي: 2/ 604.

2- شكّل هذا الإلزام حافزاً قوياً لدى الكثيرين للعمل به، جزاهم الله خير جزاء المحسنين.

3- الخصال: 2/ 542 باب (الأربعون).

## القرآن يصف نفسه:

ولكن الأهم من ذلك أن أتلو عليكم بعض الآيات التي وصف بها القرآن

الكريم نفسه لنتعرف عليه، فإنه أعرف بذلك وهو كلام خير القائلين. ومن هذه الآيات تعرف جلالة قدر هذا الكتاب وعظمة آثاره وبركاته:

1-{هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:138).

2-{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} (النساء:105).

3-{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِينًا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} (النساء:174-175).

4-{قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (المائدة:15-16).

5-{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} (المائدة:66).

6-{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} (المائدة:68).

7-{مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} (الأنعام:38).

8-{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} (الأنعام:92).

9-{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف:204).

10-{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (يونس:57).

11-{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} (الإسراء:9).

12-{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الزمر:23).

13-{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت:41 - 42).

14-{اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} {الشورى:17).

15-{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} {الزخرف:4).

16-{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} {الزخرف:36).

17-{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} {الزخرف:43-44).

18-{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} {الجاثية:20).

19-{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد:24).

20-{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} {ق:1).

21-{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} (القمر:40).

22-{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ} (الواقعة:77-79).

23-{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِـذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد:16).

24-{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} {الحشر:21).

25-{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} {المزمل:4-5).

26-{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} {البروج:21 - 22).

27-{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} {الطارق:13 - 14).

28-{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ} (الكهف:1 - 2).

29-{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} {النحل:89).

30-{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:124).

هذا بعض ما يتصف به القرآن من صفات وآثار حسنة فهو كتاب مبارك عزيز كريم مجيد وهو بيان وهدى وموعظة ورحمة وشفاء وذكر ونور نزل بالحق ليحكم بين الناس ويدخل المؤمنين في رحمة الله وفضله ويهديهم صراطاً مستقيماً وهو عليّ حكيم وبصائر للناس وقول ثقيل وفصل وما هو بالهزل، لذا فهو - أي حقائقه التي جُعِلت هذه الألفاظ وعاءاً لها وهي كالأمثلة لتقريب تلك الحقائق والمعاني العميقة إلى الأذهان - في كتاب مكنون ولوح محفوظ لا يمسه ولا يصل إلى فهم حقائقه الواقعية بشكل كامل إلا المطهرون من الذنوب والمعاصي والآثام وانجلت مرآة قلوبهم عن كل دنس فصارت تعكس بشكل كامل صفحة اللوح المحفوظ، أما غيرهم فليسوا جديرين بحمله إلا بمقدار ما أوتوا من الكمال{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} (الرعد:124).

أمِرَ الناس بتدبرّه وترتيله والتمسك به والإنصات له ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فإن أقاموه وتمسكوا به أكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم وخشعت قلوبهم ولانت، وكانوا أهلاً للفيوضات الإلهية وإن أعرضوا عنه أصبحوا في عيشة ضنكى واعتورتهم الشياطين حتى تصبح قرناء لهم وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة فإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذه القلوب البعيدة عن القرآن وذكر الله

سبحانه صمّ جامدة لا تجري فيها ولا قطرة من أنهار المعرفة {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر:21).

## شرح لبعض أوصاف القرآن:

ولكن هذا الشرح الإجمالي لصفات القرآن غير كافي، لذا أرى من الضروري تقديم شرح أكثر تفصيلاً لبعض هذه الصفات مما لها آثار اجتماعية أو أخلاقية تاركاً البعض الآخر إلى التفاسير المطولة في موارد الآيات التي ذكرتها، وإنما اذكر هذه الأوصاف ليس فقط للتعرف على القرآن بل للتعرف على أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لأنهم عدل الكتاب وهما صنوان لا يفترقان فإذا كان القرآن ينطق بالحق فإنهم مع الحق والحق معهم وهو لا يأتيه الباطل وهم معصومون وإذا كان الكتاب قيّماً ومهيمناً، فلهم (صلوات الله عليهم أجمعين) قيمومة وسلطنة على الناس وهم أئمتهم وقادتهم وأولى بهم من أنفسهم، وهكذا:

## مبارك:

أي كثير البركة وهو كذلك من عدة جهات فهو مبارك في محل صدوره لأنه نازل من الله تبارك وتعالى المتفضل المنان مفيض النعم التي لا حصر لها ولا عد، ومبارك في محل نزوله وهو قلب رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الرحيم الكريم الذي أُرسل رحمة للعالمين، ومبارك في آثاره ففيه الهداية والخير والسعادة في الدنيا والآخرة وفيه نظام حياة البشرية وقوامها وحفظ كيانها وفيه السلام والطمأنينة، ومبارك في حجمه فهو كتاب واحد إلاـ أن جميع أرباب العلوم والمعرفة يغترفون منه وهو معين لا ينضب فتجد الأصولي والفقيه والنحوي والأديب والمفكر

والسياسـي والاجتماعي والاقتصادي والطبيب والمشرّع والحاكم يأخذون منه ويستدلون بآياته ومع ذلك يبقى خالداً معطاءً وهذا دليل نزوله من الله فإن هذا كله مما لا يمكن لكتب عديدة أن تضمه وتحويه، وهو مبارك بعدد الذين اهتدوا على يديه وتنورت قلوبهم وعقولهم ببركته.

**عزيز:**

أي يصـعب منـاله فإنه في كتاب مكنون وحقائقه العليا محفوظـة في اللوح المحفوظ وما هـذه الكلمات إلا أمثال لتقريب تلك المعاني إلى أذهان البشـر المسـتأنسة بالماديات والتي لا تسـمو لتنال تلك الحقائق، نعم، يمسـها ويصل إليها ويعيها المطهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم آل محمـد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقد سـمعتَ أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يقول:إننا لا نملك علماً أكثر من فهم لهـذا الكتـاب، وهو عزيز بمعنى ينـدر وجود مثله وهو كـذلك لأنه كلام من ليس كمثله شـيء، وهو عزيز أي ممتنع عن أن ينال بسوء، فيكون بمعنى الآية الشـريفة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:9)، وهو عزيز بمعنى أنه قاهر وغالب ومتسـلط لأنه كلمة الله وكلمة الله هي العليا فهو يعلو ولا يعلى عليه وموقعه دائماً التسـلط والحاكمية على العباد والتصـرف في شؤونهم، وهو عزيز بمعنى مطلوب كما قيل كل موجود مملول وكل مفقود مطلوب، وهذا الكتاب مطلوب لكل من أراد الوصول إلى الله تبارك وتعالى.

**مجيد:**

قال الراغب في المفردات:المجد:السعة في الكرم والجلال وأصله في قولهم (مَجدَتْ الإبل) إذا حصلت في مرعى كثير واسع فوصف القرآن بالمجيد لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والأخروية وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله تعالى:{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} (الواقعة:77).

لسعة فيضه وكثرة جوده،وقد أشرنا في شرح صفة (مبارك) إلى هذه الآثار الواسعة.

**قيّماً:**

من القيمومة، فهذا الكتاب قيّم على العباد ليسوقهم ويقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويهيئ لهم كل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة كما يفعل القيّم على الأسرة أو على المجتمع، ومنهج القرآن قيّم على جميع المناهج الأخرى سواء على مستوى العقائد أو التشريعات وهو مقدم عليها وقائد لها وهي تابعة وخاضعة ومحكومة له، فالقيمومة العليا في هذه الحياة للقرآن إن أرادت البشرية خيرها وسعادتها لا ما فعلته بالابتعاد عن منهج القرآن وتحكيم عقول البشر القاصرة الخاضعة غالبا لمنطق الأهواء والمصالح وقد مهدت الآية لهذه القيمومة بأن وصفته أنه لاعوج فيه ولا نقص ولا خلل ولا قصور، فقال تعالى:{وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} (الكهف:1). فمن شروط القيمومة على البشر من يريد تكميل غيره أن يكون كاملاً في نفسه فإن فاقد الشيء لا يعطيه كما قالوا، ومن ضرورة القيمومة على البشر أن يتصدى لها من لا نقص فيه ولا خلل ولا قصور ولم يتحقق ذلك إلا في هذا الكتاب الكريم وعدله الثقل الأصغر أهل بيت النبوة وكل ما سواهم لاحقّ

له في إمامـة المجتمع والقيمومة عليه، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة أوجبت تقديم الكتاب والعترة. {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإن لَهُ مَعِيشَـةً ضَنكاً} (طه:124)، أي ضيّقة وهذه صفة كل من يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى ويكون مقطوع الصلة به سبحانه ويعيش بعيداً عن القرآن الكريم فإنه يكون في ضـيق وتعاسة وألم لأنه انسـلخ من رحمة الله الواسـعة ووقع فريسة الأهواء والمطامع والشهوات التي لا تقف عند حد فهو في رعب خشـية الموت فيخسر الدنيا التي هي همه وما له في الآخرة من نصيب، ويعيش الحرص على ما في يده خشية الفوت، ويعيش التعب لأنه يلهث وراء سراب، فما يحقق شيئا يظن أن فيه سعادته حتى يكتشف أنه متوهم فيسعى إلى غيره، فمثلاً يظن أن سعادته في المال حتى جمع المليارات فما تحققت سـعادته، فيظن أنها في الـدور الفارهـة فيبني منها ما لا عين رأت فلا تحقق سـعادته، فيظن أنها في النساء فيسـتمتع بما شاء منهن ثم يجد نفسه قد وصل إلى طريق مسدود فينطبق عليه قوله تعالى: {فَلَمَّآ رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي}، والقمر كناية عن المال فظن أنه ربه وكافل سـعادته {فَلَمَّا أَفَلَ} وفشل في تحقيقها له {قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ}، {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَـةً}، وهي كناية عن أمور دنيوية أخرى {قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ} وهذا الذي يحقق لي السعادة وطمأنينة القلب لأنه {هَذَآ أَكْبَرُ}.

وأهم وأعظم تـأثيراً {فَلَمَّا أَفَلَ} وفشل هـذا الرب الجديـد في تحقيق السـعادة {قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} وهؤلاء الأرباب الناقصـين الـذين لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً، وعندئذ إن كان مخلصاً في البحث عن

الحقيقـة كتبت له الهدايـة وقال مقالة المؤمنين: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:76-79)، وإن لم يكن كذلك كتبت عليه الشقاوة وكان جوابه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إذا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ واللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور:39).وهكذا يبقى في شقاء ونكد وضيق بين مطرقة الموت الذي يمكن أن يختطفه في أية لحظة، وسـندان الحرص والطمع {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} (البقرة:96)، وأنت ترى أن أكثر حالات الانتحار هي في الـدول المرفهـة اقتصادياً والتي تعيش التخمـة ومنشأه هـذا النكـد والفتك الذي يعيشه بسـبب الخواء الروحي.

{قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (المائدة:15-16)، فهو نور لأنه يشـرق أولاً في قلب المؤمن فيطهّره من أدران المعاصي وكدورات الذنوب ويجلي صفحته ليكون مستعداً لتجليات الحق فيه وهو نور للأمة وللمجتمع يرشدها إلى النظام الذي يكفل سعادتها.

ومن لطيف التعبير القرآني أنه جعل لفظ النور مفرداً والظلمات جمعاً لأن طريق الحق واحـد لا يتعـدد وإن تعددت سـبله ومصاديقه . قال تعالى: {اهدِنَا

الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}(الفاتحة:6)، بينما الظلمات عديـدة والآلهة التي تصد عن الله تبارك وتعالى كثيرة.ومن آثار القرآن وبركاته أنه يهدي من اتبع رضوان الله تعالى سـبل السـلام وأول سـلام ينعم به هو سـلام النفس وطمأنينـة القلب وصـفاء الـذهن {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد:28)، ثم السـلام داخل العائلة والأسـرة التي تقوم على أساس الإسـلام وتعاليم القرآن {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}{الروم:21)، ثم السلام بين أفراد المجتمع عندما تسودهم آداب الإسـلام {فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً}(آل عمران:103)، {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}{الفتح:29)، {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}(الحشر:9).

## قول ثقيل:

والثقـل للمعنى الـذي يحمله القول أو اللفـظ هو ثقيـل على النفس لأـنه يمسك بزمام شـهواتها فلا يطلق لها العنان وإنما يهـذبها ويقومها ويقودهـا، وهو ثقيل على العقل لما يتضـمنه من أسـرار ودقائق يصـعب تحملها على العقول الجبارة وثقيل على الروح لما فيه من تكاليف شاقة وتربية مكثفة وإليه أشار (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) شيبتني هود والواقعة لأن فيها فاستقم كما أمرت وهو (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعرف ثقل هذا الأمر.

ومنشأ ثقله صدوره من الله العظيم، لذا تنقل كتب السير حالته (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عند نزول الوحي عليه وقد وصف القرآن ثقله بقوله: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(الحشر:21).وهو ثقيل لما يصيب حامله والساعي إلى إقامته في المجتمع من محن وبلايا وصعوبات. قال تعالى: {المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(الأعراف:1-2) لذلك أمر (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بقيام الليل والتعلق بالله تبارك وتعالى وتعميق الصلة به استعداداً لتلقي هذا القول الثقيل والمسؤولية العظيمة وقد وعده تعالى بتحصيل هذه النتائج، قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوداً}(الإسراء:79).

## موعظة وشفاء وهدى ورحمة:

وأختصر هنا ما ذكره السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسير الآية(1):

قال الراغب في المفردات:الوعظ:زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل. هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وشفاء الصدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الإنسان الشقاء وتنغص عيشته السعيدة



---

1- الميزان: ج10/في تفسير الآيات من 57-70 من سورة يونس، والمقصود في المتن الآية 57 وهو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} .

وتحرمه خير الـدنيا والآخرة، وإنما عبر بالصـدور لان الناس لما وجـدوا القلب في الصـدر وهم يرون الإنسان إنما يدرك ما يدرك بقلبه وبه يعقل الأمور ويحب ويبغض ويريد ويكره ويشـتاق ويرجو ويتمنى عدّوا الصدر خزانة لما في القلب من أسـراره والصـفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل.أقول:وتـدل الأحاديث على أن القرآن شـفاء حتى من الأمراض البدنيـة بل في بعضـها أن سورة الفاتحة لو قرأت سبعين مرة على ميت فقام حياً لم يكن ذلك عجباً.

والرحمة تأثر خاص في القلب على مشاهدة ضـر أو نقص في الغير يبعث الراحم إلى جبر كسـره وإتمام نقصه، وإذا نسـبت إلى الله سبحانه كان بمعنى النتيجة دون أصل التأثر لتنزهه تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

أقول:هذا أحد الوجوه في شرح هذه الأسماء المباركة التي لا يمكن فهم نسبتها إلى الله تبارك وتعالى كما تنسب إلى المخلوقين.

وإذا أخـذت هـذه النعوت الأربعة التي عدّها الله سـبحانه للقرآن في هذه الآية – أعني انه موعظة وشـفاء لما في الصدور وهدى ورحمة –، وقيس بعضها إلى بعض ثم اعتبرت مع القرآن كانت الآية بياناً جامعاً لعامة أثره الطيب الجميل وعمله الزاكي الطاهر الذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع أسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

فإنه يدركهم أول ما يدركهم وقد غشيتهم الغفلة وأحاطت بهم لجة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشك والريب وأمرضت قلوبهم بأدواء الرذائل وكل صفة أو حالة رديئة خبيثة فيعظهم(1) موعظة حسنة ينبههم بها من رقدة الغفلة،ويزجرهم عما بهم من سوء السريرة والأعمال السيئة ويبعثهم نحو الخير والسعادة.

ثم يأخذ في تطهير سرهم عن خبائث الصفات ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحداً بعد الآخر حتى يأتي على آخرها.

ثم يدلهم على المعارف الحقة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة دلالة بلطف يرفعهم درجة بعد درجة وتقريبهم منزلة فمنزلة حتى يستقروا في مستقر المقربين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثم يلبسهم لباس الرحمة وينزلهم دار الكرامة ويقعدهم على أريكة السعادة حتى يلحقهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ويدخلهم في زمرة عباده المقربين في أعلى عليين.

فالقرآن واعظ شافٍ لما في الصدور هاد إلى مستقيم الصراط مفيض للرحمة بإذن الله سبحانه، وإنما يعظ بما فيه ويشفي الصدور ويهدي ويبسط



---

1- وأنت ترى ذلك في السور المكية التي نزلت أولاً كالمدثر والمزمل فإنها ذات إيقاعات سريعة تستعمل حروفاً قوية فيكون تأثيرها بما يشبه الصعقة الكهربائية التي تستعمل لإيقاظ الغافل كما أن مضامينها يتركز على التذكير بالآخرة والموت وأهوال القيامة وعاقبة المكذبين وبيان سنن الله تعالى في الأمم ونحوها من الصعقات.

الرحمة بنفسه لا بأمر آخر فإنه السبب الموصل بين الله وبين خلقه فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

## الحياة في كنف القرآن:

وقد جرّبتُ الحياة في كنف القرآن ومنَّ الله تعالى عليَّ أن عشت في رعايته منذ ريعان الشباب وكنت أختمه في السنة عشر مرات أو أكثر في بعض السنين حتى خالط لحمي ودمي وفكري ولساني وقلبي وكنت مع تلاوتي له اقرأ في البداية تفسيراً مختصراً وهو تفسير شبّر ثم بدأت أطالع بإمعان في التفاسير المفصّلة كالميزان ومجمع البيان وبعض التفاسير الحركية، فكان لها ولغيرها مما كنت أطالع الفضل في تكوين شخصيتي العلمية والفكرية في وقت مبكر من حياتي -بداية العشرينات من عمري- حتى أكملت بعضها ولخصت رؤوس أفكارها حتى أرجع إليهما باستمرار فتتقدح في ذهني تلك الأفكار وفي روحي وقلبي تلك اللحظات السعيدة.

## ما الذي وجدته في رحاب القرآن؟

فماذا وجدت في رحاب القرآن؟ وماذا سيجد من يعيش في رعاية القرآن؟

سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته وقوانينه وسننه وقدرته على كل شيء، فالأرض جمعياً قبضته والسموات مطويات بيمينه والعزة لله جميعاً والقوة والملك له وحده فهو الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه مرجع العباد وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه ولا يملك شيء لشيء نفعا ولا ضراً إلا بإذنه، فعندئذ يتصاغر أمام حامل القرآن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مهما

عظم ظـاهرا أو حاول أولياؤه وأتباعه تعظيمه والنفـخ في صورته فإذا قـدرة الله تلقف ما يأفكون فلا إرم ذات العماد ولا فرعون ذو الأوتاد ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتيحه بالعصـبة أولي القوة، أما حامل القرآن فقوته متصـلة بالله فلا يخشـى ما سواه {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَـاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت:41)، و(من خاف الله أخاف الله منه كل شيء)(1).وعندئـذ سترى أن هـذه القوى الكبرى التي {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}(طه:66)، وقـادرة على تحقيق كل ما تريـد، وإذا بها تنهار وتـذوب كما يـذوب الملح في الماء بلا حرب ولا أي عدو ظاهر لكن الله ينبئك عن الذي يقف وراء فنائهم {فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}(النحل:26-27).

وسيرى وعد الله وطمأنينته للمؤمنين بأن العاقبة لهم ولكن بعد أن:{مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}(البقرة:214)، وأن لاـ بـد من الفتنـة والابتلاء ليمحص الله الـذين آمنوا {ألم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}



---

1- من لا يحضره الفقيه: 4/ 410.

(العنكبوت:1-3). وعندئذ يقر بال المؤمن مهما واجهته من صعوبة ومحنة لأنه من سنة الله في عباده فعليه أن يصدق في المواقف وسيجزي الله الصادقين ويهون الخطب عليه انه كله بعين الله سبحانك قال تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}(الطور:48)، {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (التوبة:120).وسيرى من علو الإيمان الذي يعمر قلبه والمعارف العليا التي يحملها إلى هذه البشرية التائهة التي تلهث وراء السراب تعيش لأغراض زائفة وتمني نفسها بأمانٍ باطلة يزينها لهم أولياء الشيطان من مال وجاه وشهوات يتنافسون عليها ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم بل يكون وبالاً عليهم. يصنعون لأنفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها وطاعتها وتقديم الولاء لها فيقيمون لها الطقوس والاحتفالات والمهرجانات ويذبحون من أجلها القرابين ليس من الحيوانية فقط بل البشرية ويهدرون على أقدامها المليارات.

وسيرى أنه ليس وحده حتى يشعر بالضعف أو الذلة أو الخضوع والاستسلام ولا أن ما يعانيه ويشاهده ويعيشه بدعاً من الحوادث ولا أن تجربته فريدة {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}(الأحقاف:9)، فإذن قد سبقه على هذا الخط أنبياء عظام وأولياء كرام وحملة رسالات ومصلحون وعباد صالحون عانوا أكثر مما عانى وصبروا على اشد ما صبر عليه وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما

يواجه والصورة نفس الصورة قال تعالى: {فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}(الحديد:26)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ}(المائدة:105).وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه ووجه إليهم كلامه مباشرة، الله العظيم خالق السموات والأرض ذو الأسماء الحسنى يرسل إليهم بنفسه رسالة ويعهد إليهم بعهده، أي تكريم أعظم من هذا وأي تفضيل فوق هذا {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(الإسراء:70) فكيف يا ترى مشاعر الإنسان وهو يقرأ رسالة حبيبه بل الحبيب المطلق (إن القرآن عهد الله إلى خلقه فينبغي لكل مؤمن أن ينظر فيه)(1).

وسيرى أن كل شيء في هذا الكون بقدر وحساب دقيق، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}(القمر:49)، {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} (الحجر:21)، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}(الأنبياء:47)، وكل المخلوقات أفراداً ومجتمعات تجري وفق سنن ثابتة {سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} (النساء:26)، {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام:38) لا يستطيع أحد أن يخرج من هذا القانون الإلهي العظيم {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ



---

1- الكافي: 2/ 609، باب في قراءته (قراءة القرآن)، ح1.

اللّهِ تَحْوِيلاً} {فاطر:43)، فكيف يعبد الإنسان غيره تبارك وتعالى وهو لا يستطيع أن يخرج من قبضة سننه وقوانينه، فلا مجال للعب ولا العبث واللهو {رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ}(آل عمران:191)، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات:56)، {لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ}(الأنبياء:17) ولا مجال للصدفة العمياء التي طالما تشدق بها الملحدون وضحكوا بها على عقول الناس ردحا من السنين وأضلوهم بها فتعساً للتابع والمتبوع، فمن وراء خلق الإنسان هدف فلا بد ان يحيا من اجله ويكرس كل طاقاته لتحقيقه وهو رضا الله تبارك وتعالى.وسيجد في القرآن الوعد الإلهي بالإمداد والقوة الغيبية في كل موقف وشدة ومأزق ومعركة مع النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان، وأن الله معه وكفى به ناصراً ما دام هو مع الله قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(فصلت:30 – 33) وآيات كثيرة تخبر عن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين والإمداد بالملائكة المسومين وغيرها.

وسيجد في كنف القرآن الطمأنينة قال تعالى: {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(الرعد:28)، وهدوء البال وشفاء الصدور والهدى والبركة وكل خير مما وصف القرآن به نفسه.

فإذا وجد حامل القرآن كل ذلك اشتدت عزيمته وقوي قلبه وصلحت نفسه وازدادت همته وظهرت حكمته وسيكون عندئذ مصدراً للعطاء ومنبعاً للخير لنفسه وللمجتمع كما هو شأن المصلحين العظام وعلى رأسهم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) .

## ضرورة العودة إلى القرآن:

أفبعد كل هذا نحتاج إلى ذكر المزيد من المحفزات للعودة إلى القرآن والحياة في كنفه وهل بقى من لا يعي فداحة الخسارة التي حلت بنا بسبب ابتعادنا عن القرآن. إذن فلنرجع جميعاً إلى القرآن تائبين نادمين ملتمسين إياه أن يعود إلى إمامتنا وهدايتنا إلى الله تبارك وتعالى وعلينا أن نفكر في سبيل إلى إخراج هذا الكتاب الكريم من عزلته التي فرضناها نحن عليه وتفعيل دوره في الحياة المجتمع.

وقد تقول:إن مثل هذا حاصل من خلال ما نشاهده من كثرة حلقات تعليم القرآن وحفظه وتجويده وبيان قواعده ورسمه .

وأقول:مع احترامي لهذا كله إلا أن هذا اهتمام بالقشور والمهم هو اللب فإن اللفظ وعاء لإيصال المعنى وقشر لحفظ المعنى الذي هو اللب وآلة لنقل المعنى إلى الذهن فهل يكفي الاهتمام بالقشر وترك اللب؟ فالمطلوب هو إعادة القرآن بروحه ومضامينه ومعانيه وأفكاره ومفاهيمه، ولا شك أن الخطوة الأولى منه هي الاهتمام بتلاوته ومعرفة معاني ألفاظه وتطبيق القواعد العربية على مخارج حروفه.

## مسؤولية الحوزة في إعادة القرآن:

وأعتقد أن أول شريحة في المجتمع تقع عليها المسؤولية هي الحوزة الشريفة بطلبتها وفضلائها وخطبائها وعلمائها لأن صلاح المجتمع من صلاح الحوزة وفساده بفسادها والعياذ بالله، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي و إذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ومن هم؟ قال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):الفقهاء والأمراء)(1).

وقد قلت في بعض كتبي(2) أنه من المؤسف حقاً غياب القرآن عن مناهج الدراسة الحوزوية، فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب إلى التعمق في القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته ولا ـ يمر به إلا لماماً عند الاستدلال على قاعدة نحوية أو مبحث أصولي أو مسألة فقهية، فأصبح مسرحاً للتدقيقات العقلية ولم يتخذ غذاءً للقلب والروح ودواءً للنفس، وربما يبلغ الحوزوي مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لم يحيَ حياة القرآن ولم يخُض تجربة التفاعل مع القرآن واستيعابه كرسالة إصلاح، وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها لعدم وجود صلة روحية عميقة بينه وبين القرآن، ولو وجد فيه زاده وغذاءه الذي يغنيه عن غيره لما استطاع تركه، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع، وربما لا يحسن بعضهم قراءته مضبوطةً بالشكل.



---

1- الخصال: أبواب الاثنين، حديث 12.

2- وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة (وهذا منشور في المجلد الأول من موسوعة خطاب المرحلة).

ولما كانت رسالة الحوزة الشريفة التي تصدت لحملها هي إصلاح المجتمع وتقريبه إلى الله تبارك وتعالى فإن أول مهمة لهم هي فهم القرآن والسعي إلى تطبيقه فإن الأمة لا تكون بخير إلا إذا تمسكت بقرآنها واهتدت بهديه واستضاءت بنوره كما هو نص حديث الثقلين المشهور:(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)(1).

## جاهلية اليوم:

إن البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة – وإن تسمى بعضهم بالإسلام – بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن للجاهلية، إذ أنه لا يعتبرها فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الإسلام بل هي حالة اجتماعية تتردى إليها الأمة وينتكس إليها المجتمع كلما أعرض عن شريعة الله سبحانه {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (المائدة:50)، وقد نبه القرآن الكريم إلى حصولها حينما قال: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} (الأحزاب:33) وكأنه إشعار بوجود جاهلية ثانية وهي هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتعاستها وشقاءها.

بل جمعت جاهلية اليوم مساوئ الجاهليات القديمة كلها فالقوي يأكل الضعيف، واللواط يسن بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بين الذكرين، والزنا يفوح برائحته الكريهة وهمجيته الحيوانية وأمراضه الفتاكة كالأيدز ونحوه في كل أرجاء العالم، والبخس في الميزان منتشر بجميع أشكاله ليس على مستوى



---

1- تقدم ذكره.

الأفراد فقط بل على مستوى الدول فلا يوجد إنصاف في العلاقات بين المجتمعات البشرية وهو ما يسمى بالمصطلح (الكيل بمكيالين)، واتخاذ الأحبار والرهبان وسائر رؤوس الضلال من شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً أرباباً من دون الله يحرّمون ما أحل ويحلون ما حرم، والآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه قد تعددت ولم تعد مقتصرة على الحجرية منها فقط، بل ما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد وشياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ويصدون عن صراط الله المستقيم {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} (الأعراف:16-17)، {وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً}(الأعراف:86)، وما أكثر هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا عن الفطرة السليمة من فاسقات نصبن فخوخ الفتنة والإغراء، إلى بورصات اقتصادية يسيل لها اللعاب، إلى فنانين لا عمل لهم إلا تدمير الأخلاق والقيم الاجتماعية وغيرها.كل هذه من صفات وعلامات جاهلية اليوم وفي كل زمان ومكان، وهذا المفهوم من المفاهيم القرآنية التي يجب استيعابها وفهمها.

## مقارنة بين الجاهلية الأولى والجاهلية اليوم:

ولمزيد من البيان نعقد مقارنة بين عقائد وممارسات الجاهلية الأولى والجاهلية التي نعيشها اليوم، وأريد بهذا البيان عدة أهداف:

1-تنقيح المفاهيم والمصطلحات القرآنية واستنباط معانيها التي يريدها القرآن وإزالة الغبار المتراكم عليها نتيجة الغفلة عن القرآن، وإعمال العقول فيه من دون الرجوع إليه.

2-استيعاب الحاجة إلى القرآن إذا فهمنا أن البشرية عادت إلى

جاهليتها الأولى فهي بحاجة إلى أن يعود القرآن ليمارس دوره من جديد في الأخذ بيدها نحو الإسلام الحقيقي.

3-تعزيز فكرة الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) وإقامة الدليل العلمي عليها إذ أن البشرية لما عادت إلى جاهليتها الأولى فإن القرآن وحده لا يكفي لممارسة دوره في إنقاذها بل لابد له من حامل يجسده على أرض الواقع كما رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وإن لم يكن نبياً لانقطاع النبوة به (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ولا تجتمع هذه الأوصاف إلاّ في الحجة بن الحسن (أرواحنا له الفداء)، وها هي إرهاصات ظهوره تتحقق ويقترب يومه الموعود(1). وتفصيل الكلام في بحث خاص(2) به (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) .

## صفات ومميزات المجتمع الجاهلي بحسب المفهوم القرآني:

وأول صفة من صفات الجاهلية هي عبادة الناس لغير الله تبارك وتعالى والعبادة بمعنى الطاعة والولاء كما ورد عنهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في تفسير قوله



---

1- لذا ورد في الخبر أنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يأتي بإسلام جديد وقرآن جديد وهي لا تعني دلالتها المطابقية لأنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لا يخرج عن دائرة إسلام وقرآن جده (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وإنما يراد به أنه ينفض الغبار عن القرآن ويزيل عنه ركام السنين ويعيده إلى الحياة من جديد.
2- صدر الكتاب يومئذ بعنوان (شكوى الإمام ع) وجمع مع هذا الكتاب و(شكوى المسجد) في كتاب عنوانه (ثلاثة يشكون).

تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاّ إِلَهَ إِلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (التوبة:31) قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراما، وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(1) هذه العبادة كانت في ذلك المجتمع الجاهلي لغير الله تبارك وتعالى لذا جاء في أول سورة من سور القرآن المطالبة بعدم طاعة ما سوى الله {كَلا لا تُطِعْهُ} (العلق:19)، فكانت الطاعة لآلهة متعددة يومئذ: {مَا نَعْبُدُهُمْ - أي الأصنام - إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}(الزمر:3)، {وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ} (آل عمران:64)، {إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا} (الأحزاب:67)، {فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} (هود:97)، {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً}(مريم:59)، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ



---

1- الكافي: 1/ 53، باب (التقليد) حديث 1. وهذا المصطلح القرآني المهم (العبادة) يحتاج إلى إشباع لعدم وضوحه في أذهان المجتمع فيظنون أن العبادة هي الصلاة أو السجود وليست هي الطاعة لذا لا يجدون قدحاً في دينهم أن يصلوا ويصوموا لله لكن معاملاتهم وسلوكياتهم في الحياة تكون بغير ما أنزل الله وهو معنى خطير يجب إزالة الشبهة عنه لذا ورد عن الإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان هذا الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس . . .) (تحف العقول: صفحة 336).

نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}(البقرة:170)، {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فإنه يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}(الحج:3-4)، {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}{الفتح:26).

هذه بعض آلهة الجاهلية الأولى التي كانت تعبد من دون الله تبارك وتعالى وهي (الأصنام، العلماء غير المخلصين، الفراعنة، هوى النفس الأمّارة بالسوء وشهواتها، إبليس، العصبية، العادات والتقاليد الموروثة عن السلف) وأصلها اتباع الهوى {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(القصص:50).

فهل اختلف حال الناس اليوم؟ ولا أريد بالناس هذه الأمم التي تسمي أنفسها متحضرة فإنها غارقة في مستنقع الجاهلية من قرنها إلى أخمص قدميها، ولكن هلم بنا إلى الخطب الأفضع إلى الذين يسمون أنفسهم مسلمين وهم يسيرون في ركاب أولئك الكفار وينغمسون في طاعة الشهوات والهوى وما يصدرون إليه من آلهة جديدة كالرياضة والفن وبعض النظريات والقوانين المنحرفة، وما زالت طاعة السادة والكبراء كرئيس العشيرة والوجهاء تمتثل من دون رعاية للشرع المقدس فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله تبارك وتعالى، وما زالت الأعراف والتقاليد وسنن الآباء والأجداد تطاع أكثر من شريعة الله سبحانه بحيث يرضى المجتمع بمعصية الله ولا يرضى بالخروج عن هذه

الأعراف والتقاليد، ولسان حالهم يقول:(النار ولا العار) خلافا للإسلام الذي مثله الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في كربلاء بقوله:

الموت أولى من ركوب العار *** والعار أولى من دخول النار(1)

وهـذا واضـح في السـنينة العشائريـة وغيرها، وهذه المرأة المسـكينة تطيع المودة ودور الأزياء وما يقتضـيه الأتيكت وما يصدره الغرب من ملابس وأدوات زينة وكماليات حتى لو كانت مخالفة للشـريعة فهل. بقى من العبادة والطاعة والولاء شيء؟ هذا على مستوى الشرك الجلي، والقرآن يخبرنا أن هـذه الآلهـة كلها سـتتبرأ من عبادها يوم القيامـة ولا ينفع الندم حينئذ:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}(البقرة:165-166).



---

1- بحار الأنوار- المجلسـي: 44/ 192 وهـذا المصـطلح القرآني المهم (العبـادة) يحتاج إلى إشـباع لعـدم وضوحه في أذهان المجتمع فيظنون أن العبـادة هي الصـلاة أو السـجود وليست هي الطاعـة لـذا لا ـ يجـدون قـدحاً في دينهم أن يصـلوا ويصوموا لله لكن معاملاـتهم وسـلوكياتهم في الحياة تكون بغير ما أنزل الله وهو معنى خطير يجب إزالـة الشـبهة عنه لـذا ورد عن الإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله: (من أصـغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان هذا الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس . . .) (تحف العقول: صـفحة 336).

ويصف هـذه الآلهـة التي يعبـدها البشـر بتقـديم الولاء والطاعة لهم من دون الله تبارك وتعالى قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(العنكبوت:41)، وقـال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنـدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور:39).وهـذا بحث جـدير بالاهتمام لأنه يلفت نظر الناس إلى انحراف عقائـدهم وأنهم بعيـدون عن التوحيد الخالص وأن طاعتهم لله تبارك وتعالى اقل بكثير من طاعتهم لهذه الأصـنام المتعددة. وليكن البحث بعنوان (أصـنام الجاهلية الحديثة) التي يزيدها خطورة خفاؤها وعدم الالتفات إليها حتى للمؤمنين فضلاً عن غيرهم.

أما على مسـتوى الشـرك الخفي فالمصيبة أعظم، وقلما تجد عملاً مخلصاً وإن ظن صاحبه ذلك، فلماذا يكتب اسمه على لوحة كبيرة عندما يشيد مسجداً لو كان عمله لله ولماذا يمنّ بعطائه ويتحدث به لو كان مخلصاً؟

والصفة الثانية من صفات الجاهلية هي أن الشريعة التي تنظم أمورهم وتنظر في خصوماتهم بعيدة عن شريعة الله سبحانه {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} (المائدة:50)، وعـن الصـادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(الحكـم حكمـان حكـم الله وحكم الجاهليـة فمن أخطـأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)(1). فكل حكم بغير ما أنزل الله هو حكم جاهلية على تعبير القرآن، ونحن نرى أن أكثر أفراد مجتمعنا



---

1- الكافي: ج7 ص407.

منضوون تحت عشائر تحكمها سنن عشائرية ما أنزل الله بها من سلطان وضعها ناس جهلة بعيدون عن الله تبارك وتعالى، وهذا كمثال ويمكن أن تضرب بطرفك في شرائح اجتماعية أخرى لترى مصداق ذلك، وها أنت ترى أن دول العالم المختلفة تتحكم فيها قوانين وتشريعات و(آيديولوجيات) من صنع البشر الناقص الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يرى أبعد من أرنبة أنفه، فتراه كل يوم يغير مادة ويضيف فقرة ويلغي أخرى ويكتشف خطأ غيرها فيرتق ما فتق، وهكذا وقد وصف الحديث الشريف كل مخالفة للشريعة وتقصير في تطبيقها جاهلية نحوقوله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية)(1).

ففرعون الذي يقول:{مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى}(غافر:29)، ليس حالة خاصة فردية بل هي متكررة دائماً عند الكثيرين ممن ينصبون أنفسهم مشرعين من دون الله تبارك وتعالى.

ومن سمات الجاهلية انحراف عقائدها وإليها أُشير بقوله تعالى:{يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}(آل عمران:154)، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أنه مهما ارتكب الإنسان من موبقات فإنه ينجو من العقاب إذا قرب إلى الآلهة قرباناً، ومجتمعنا بفعل ما رسخه خطباء المنبر الحسيني في أذهانهم يعتقدون أنه مهما فعل من منكرات وكبائر فإن دمعة واحدة على الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تكفيه لدخول الجنة، انطلاقاً من الحديث الشريف:(من بكى على الحسين ولو مقدار جناح بعوضة



---

1- الرسائل العشرة: الشيخ الطوسي، صفحة 317.

وجبت له الجنة)(1)، واستدلوا بقول الشاعر:

فإنَّ النار ليس تمس جسماً *** عليه غبار زوار الحسينِ(2)

ونحن لا ننكر كرامة الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) على الله تبارك وتعالى فهو يستحق هذا التكريم وأزيد:لكن هذا على نحو المقتضي وجزء العلة لدخول الجنة ولا بد من تمامه من جزء العلة الأخرى من الشروط وعدم الموانع وأول الشروط طاعة الله تعالى في أوامره ونواهيه وهذا القرآن صريح: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى}(الأنبياء:28)، وفي حديث الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(لن تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة)(3)، ومنافٍ للآية الشريفة: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}(الزلزلة:7-8)، إلا أن يتدارك عمله بالتوبة الصادقة.

وهذا الانحراف في الاعتقاد له أثره الخطير في ابتعاد الناس عن الدين وقلة وعيهم بعد أن خدروا بهذه العقيدة البعيدة عن القرآن وركونهم إليها فتركوا العمل بالقرآن.

ومن معالم الجاهلية السفور والتبرج وإظهار المفاتن والتهتك وشيوع الفاحشة، قال تعالى: {وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى} (الأحزاب:33)، والمجتمع اليوم قد فاق تلك الأمم بفسقه وفجوره وتفننه في الغواية والإضلال



---

1- كامل الزيارات: صفحة 201.

2- الغدير- الشيخ الأميني: 6/ 13

3- بحار الأنوار: 76 / 136.

وإيقاع البشر في الفاحشة وتسخر كل إمكانياتها المتطورة لترويجها، وكما كانت الجاهلية تبتكر الأساليب وتضع قوانين لإشباع غريزتها الجنسية بطرق شيطانية، فمثلا سنّت قريش قراراً يقتضي حرمة طواف الطائف بالبيت بثيابه لأنه قد عصى الله بها وارتكب المآثم فيها فلا بد أن يطوف بملابس من آهل مكة أو جديدة أو يطوف عارياً.وأولياء الشيطان اليوم سنّوا أساليب لإشاعة الفاحشة غير ملاهي الفسق والفجور باسم الرياضة مثلاً التي لا تقل تهتكاً عما يجري في تلك الملاهي بل الملاهي أرحم لأنها في الخفاء ويستهجنها الجميع ويستحيي صاحبها أن يلصق به عارها، أما هذه فتمارس علناً ويفتخر بها صاحبها ويبارك عمله الجميع. أترى أي ألعوبة أصبح هؤلاء بيد الشيطان يتصرف بهم كيف يشاء. وهكذا العناوين والأسماء الأخرى كملكة الجمال أو باسم عرض الأزياء أو باسم الفن وكلها استهتار ومجون وفسق وفجور ولكن بغطاء مقبول لدى المجتمع لا ينجو منه إلا من عصم الله، والهدف واحد هو أن تعيش البشرية همجية الحيوان وفوضى الجنس ونار الشهوة المستعرة التي لا تبقي ولا تذر.

ومن سمات الجاهلية فساد التصورات وانحراف الرؤية للحياة فمثلاً كان بعض الجاهليين يرفضون تزويج بناتهم من غيرهم لأنهم يرون أنفسهم فوق الآخرين وهم ما يسمون ب-(الحُمُس)، وفي جاهلية اليوم توجد شرائح كثيرة كذلك ولعل أوضح مصاديقها بعض السادة المنتسبين لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فإنهم لا يزوجون نساءَهم إلا لسيد مثلهم وقد تعنس بناتهم ويفوتهنّ الزواج ويحرمنَ من ممارسة حق مشروع لهنّ في التنعم بتكوين أسرة وليعشنَ سعادة الأمومة. كل ذلك

بسبب هذا التصور الخاطئ الجاهلي فأين هذه التصورات من مبادئ القرآن: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء}(النساء:1)، ومن تعاليم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه)(1)، وإذا كان لهم شرف بانتسابهم لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فإن شرف رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بانتسابه للإسلام ولطاعة الله تعالى، وليس لأنه محمد بن عبد الله قال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر:65)، {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}{الحاقة:44 – 47)، ويقول هو (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(ولو عصيت لهويتُ)(2) فما قيمة هؤلاء الذين يتاجرون باسمه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهم يخالفون شريعته؟ومن معالمها اختلاف القيم والموازين التي يتفاضل بها البشر من إلهية حقيقية إلى شيطانية وهمية، فالقرآن يصرح: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(الحجرات:13)، {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}(يونس:58) بينما الجاهلية تتفاضل بالمال والجاه وكثرة الولد{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}(التكاثر:1–2)، {وَقَالُوا نَحْنُ أكثر أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}(سبأ:35)، وهذه الأمور من الوضوح بحيث لا أحتاج إلى ذكر أمثلة، والآيتان التاليتان توضحان هذه المقارنة الصارخة



---

1- وسائل الشيعة: كتاب النكاح: أبواب مقدمات النكاح وآدابه، باب 28، حديث1.

2- بحار الأنوار: 22 / 467.

بين المقاييس: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَاللّهُ عِنـدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ، قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنـدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِـدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}(آل عمران:14 – 15). ويقول تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} (سبأ:37).ومن الخصائص المشتركة للجاهليتين انتشـار الرذائـل الخلقيـة وأوضـحها شـرب الخمر والتطفيف في الميزان والغش والكـذب واللواط قـال تعالى: {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ} (العنكبوت:29)، {وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ} (الأعراف:85)، {وَيْـلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إذا اكْتَـالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِـرُونَ}(المطففين:1–3)، بـل يسـتهزئون من الإنسـان النظيف {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(الأعراف:82)، بحيـث أن جعفر بـن أبي طـالب سـجل اسـمه في التأريـخ على أنه ممن حرَّم على نفسه الخمر والزنـا في الجاهلية(1)، ومن رذائـل أخلاـقهم أن القوي يأكـل الضـعيف وانعـدام الأخلاـق والمثل الإنسانيـة فضـلاً عن الإلهيـة والمهم هو المنافع الشخصية. وها هي حضارة اليوم تسحق شعوباً



---

1- أنظر: علل الشرائع- الشيخ الصدوق: 2/ 558

بكاملها وتهلك الحرث والنسل من أجل ما يسمونه (المصالح) التي هي فوق كل شيء عندهم، أما الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى والفوز في الآخرة فهذا تخلف ورجعية، قال تعالى: {وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} (آل عمران:154)، فهذه غايتهم وهذا هو هدفهم الذي يعيشون من اجله هل لنا من الأمر من شيء.ومن أهم خصائص الجاهلية بل هي السبب في تحققها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الذي حذر منه رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له:ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال:نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له يا رسول الله ويكون ذلك؟ فقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)(1).

وهذا ما وصلت إليه المجتمعات اليوم والتقصير أول ما يبدأ من علماء الدين أو الربانيين على تعبير القرآن وتخاذلهم وتقاعسهم عن أداء وظيفتهم، وأوضح مصداق للربانيين هم انتم يا طلبة وفضلاء الحوزة الشريفة. قال تعالى: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ



---

1- الكافي: 5/ 59، باب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (المائدة:62 - 63)، {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}(المائدة:79-80).وهذه خصيصة أخرى من خصائص المجتمع البعيد عن الإسلام وهي موالاة ومداهنة الفاسقين والذين كفروا، وعن هذا التقصير يقول أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً)(1).

وبدون القيام بهذه الفريضة لا تبقى للمؤمنين قيمة لا عند الله ولا عند

رسوله بل ولا حتى عند أعدائهم، لذلك كان هناك موحدون بين قريش وهم الأحناف الذين نبذوا عبادة الأصنام وتفرغوا لعبادة الله سبحانه، لكن لم تكن لهم قيمة عند المشركين ولم يأبهوا بوجودهم لأنهم تركوا هذه الفريضة العظيمة.

بينما جعل القيام بهذه الوظيفة من صفات المجتمع المسلم بحق: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}(آل عمران:110)، {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا



---

1- نهج البلاغة: الخطبة (27).

عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} (الحج:40 - 41)، {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} (آل عمران:104)، {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضٌ هُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة:71)، وغيرهم كثير ولسنا هنا بصدد الاستقصاء فإن هذا البحث مبني على الإشارات فقط ومجرد فتح الباب للتفكير في هذه القضايا وكل باب ينفتح منه ألف باب بلطف الله تبارك وتعالى وسعة رحمته.ومن معالم الجاهلية سيطرة الخرافات والأساطير، فمثلاً كانت العرب تتشاءم من صوت الغراب والبوم، والغرب اليوم يتشاءم بلا معنى من رقم (13) وانتشر يومئذ العرّافون والكهنة وراجت سوقهم، واليوم نرى إقبال الناس على قارئي الكف والرمل والأبراج والطريحة وأصحاب النور والمطوعات ونظائرها مما ينطلي على الجهلة والسذج.

ومن سمات الجاهلية الصد عن القرآن وعزل الناس عنه بشتى الطرق فقد كان النضر بن الحارث وهو ممن ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم يتعقب رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فإذا قام (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من مجلس جلس إليهم النضر وتحدث لهم بتلك القصص والأخبار ثم يقول:بالله أيّنا أحسن حديثاً قصصاً أنا أو محمد؟(1) وكانوا يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين أو أحاديث اكتتبها فهي



---

1- أنظر: تفسير ابن كثير: 2/ 316

تملى عليه بكرة وأصيلاً أو حديث يفترى، أو يصفقون بصوت عال عند تلاوته (صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) للقرآن ليحولوا دون سماعه، ويصف القرآن موقفهم هذا بقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}(فصلت:26)، وقال تعالى: {وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ}(القمر:2)، وها هي جاهلية اليوم تصف القرآن نفس الأوصاف بأنه من كلام محمد وقد أنشأه وفق البيئة التي عاشها، وانه يمثل نبوغاً إنسانياً وليس وحياً إلهياً، وحاولوا التأليف في متناقضات القرآن ولكنهم لما عجزوا واكتسحهم القرآن وفرض وجوده عليهم عمدوا – بما أوتوا من خبث ومكر وخداع – إلى تفريغه من مضمونه وعزله عملياً عن واقع الحياة وحوّلوه إلى ما يشبه الأناشيد والأغاني التي يترنم بها المطربون ويعبر الجالسون عن طربهم بصيحات (الله الله يا شيخ) وحوّلوه إلى تعويذات يُعلقّها على صدورهم أو في بيوتهم لا أزيد من ذلك. وهذا الأسلوب كما ترى أخطر من أسلوب النضر بن الحارث وأمثاله وأشد مكراً وأفتك أثراً.ومن التصرفات البارزة التي يتصف بها الجاهليون:هي الجمود على التقاليد الموروثة عن السلف والتزمت في الالتزام بها وعدم الخروج عنها وإن قام الدليل والحجة على خلافها، وهذا التصرف نتيجة التحجر وعدم السلامة في التفكير وتحكيم العاطفة باعتبار أن الشيء الذي تتوالى عليه أجيال من الآباء والأجداد يكتسب قداسة يصعب اختراقها. وقد كرر القرآن هذا المعنى كثيراً بحيث نستطيع أن نفهم منه أن هذه كانت من المحن التي اشترك فيها جميع

الأنبياء. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} (البقرة:170)، {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} (الصافات:69 - 70)، {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الأعراف:70)، {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} (الزخرف:22-24)، فالآيتان الأخيرتان تدلان على أن هذه المحنة الكبيرة تواجه كل من يريد أن يحرر مجتمعه ويسعى لإصلاحه، لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك}(الزخرف:22-24)، وليست مختصة بالأنبياء وحدهم.وجاهلية اليوم لا تختلف عن الجاهلية الأولى في ذلك، والشواهد عليها كثيرة وقد عانت مجتمعاتنا كثيراً من هذه (النزعة الاستصحابية) على تعبير أحد المفكرين الحوزويين(1).



---

1- والمقصود به هو السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ولم يكن سماحة الشيخ يصرّح به جهاراً حيث ألقيت هذه المحاضرات أيام البطش الصدامي ما قبل سنة 2003 حيث كان التصريح والتلميح تهمة كافية لإعدام صاحبها، إلا أن سماحة الشيخ كان يخلل أفكاره ببعض طروحاته ونظرياته (رحمه الله) ويتمثل له ويعيش أفكاره ويشير اليه بطريق خفي في الوقت الذي

ومن علامات الجاهلية عدم معرفة الإمام الحقيقي (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)(1) ولا يراد بالمعرفة معرفة الاسم فقط بل معرفة المسؤولية الكاملة والتكليف التام تجاه الإمام والقيام بها حق القيام وهذا التقصير واضح منا تجاه صاحب العصر (أروحنا له الفداء) وقد وصف الدعاء المأثور هذه الجاهلية (اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)(2) والضلال عن الدين هو عين الجاهلية.وهذا ما يحتاج إلى بحث كامل عن لزوم وجود الإمام والحجة في كل زمان وتكليفنا في زمان الغيبة ومسؤوليتنا تجاه الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) والإجابة عن الكثير من التساؤلات والمشاكل الفكرية التي تحاط بها قضية الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مما هو غائب عن ذهن المؤمنين به فضلاً عن غير المؤمنين به أصلاً، بينما هم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) (باب الله الذي لا يؤتى إلا منه)(3) فكيف يهتدي إلى الله سبحانه من لا يعرف بابه



---

1- كمال الدين وتمام النعمة: 409.

2- الكافي: 1/ 337.

3- الكافي: 1/ 196.

فماذا بعد الله إلا الضلال المبين.ومن سماتها الخضوع للماديات وعدم الاعتراف بما وراء المادة وإنكار الغيب قال تعالى:{وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} (الأنعام:29)، {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ}(الجاثية:24)، فيأتي القرآن ليؤسس لهم أهدافاً سامية يعيشون من أجلها {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات:56)، {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} (هود:61)، {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (يونس:14)، فالإنسان ما خلق فقط لهذه الدنيا حتى يكرس همه لها بل جعل في الأرض خليفة ليستعمرها ويجعلها حرثاً لآخرته وخالقه يحصى عليه أعماله لينظر كيف يعمل، ويأتي التوبيخ الإلهي لمثل هذا الإنسان الغارق في الماديات {أَيَحْسَبُ الإنسان أَن يُتْرَكَ سُدىً، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى}(القيامة:36-40)، بلى سبحانك اللهم أنت قادر على ذلك وعلى كل شيء، نعم، لكن هذا لا يمنع من أن يأخذ نصيبه من الدنيا من دون أن يجعله هدفا وغاية وإنما يوظفه لخدمة الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ}(القصص:77)، فليس النقص والخلل في حيازة الـدنيا لذا قيل:(الدنيا مزرعة الآخرة)(1) وفي حديث آخر:(الدنيا متجر أولياء الله)(2) ففيها يتاجرون مع الله تجارة لن تبور.ومن سـمات الجاهلية التشـتت والتفرق والتمزق، قال تعالى:{وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}(الروم:31-32)، وكل ذلك بسـبب تضييعهم للمحور الواحد الذي يجب أن يجتمعوا حوله وهو توحيد الله تبارك وتعالى، وجعلت الكعبة المشـرفة رمزاً له، لكن المجتمع البعيد عن الله يتمزق دولاً وبلداناً أولاً، حتى وصل عـدد دول العالم اليوم أزيـد من (180) دولـة ويتمزق أجناساً ويتفرق قوميات حتى داخل البلـد الواحد ويتمزق فكرياً فهذا شـيوعي وهذا رأسمالي وهم أبناء بلد واحد وقومية واحدة ودين واحد ويتمزقون آيديولوجيا حتى داخل الدين الواحد بل داخل المذهب الواحد وكل طائفة تنقسم على نفسـها فرقاً وهكذا:{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}(المؤمنون:53)، وقـد نبه القرآن إلى أن هذا التفرق هو إحدى عقوبات الابتعاد عن المنهج الإلهي:قال تعالى:{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} (الأنعام:65)، وجاء الإسـلام ليوحدهم بهذا القرآن قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ



---

1- عوالي اللآلي: 1 / 267.

2- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: 15/ 203.

تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(آل عمران:103)، {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فإن حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (الأنفال:62-63).ومن سمات الجاهلية الواضحة الرعب من الموت ومن كل ما يوحي به أو يشير إليه وذلك لأنهم خسروا الآخرة وجعلوا غاية همهم إشباع شهواتهم وأطماعهم {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (البقرة:94-96)، {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}(الجمعة:6-7)، {فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}(الأحزاب:19)، لكن القرآن يقرر لهم حقيقة دامغة لا مفر منها {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنه مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجمعة:8)، {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن

فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً} (الأحزاب:16)، {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} (النساء:78)، {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} (215)، فالخوف من الموت لا يكون إلا بالاستعداد له بالإيمان والعمل الصالح وإعمار الآخرة بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه.واشعر أنني إلى هنا قد قدّمت إشارة كافية وفتحت باب التفكير بمقدار كافٍ في هذا الاتجاه لأن أهم خطوة في معالجة أمراضنا الاجتماعية هي تشخيص الداء بدقة ومن ثم وصف العلاج المناسب.

واتضح لدينا الآن من خلال هذه النقاط العديدة تحقق عنوان الجاهلية في البشرية اليوم وعلمنا أن لطف الله بعباده دائم ولا يختص بقوم دون قوم، فجاهلية الأمس ليست أولى من جاهلية اليوم ولا خصوصية لها حتى ينزل إليها تبارك وتعالى قرآناً ويبعث إليهم رسولاً، ويترك جاهلية اليوم سدىً، فما أحوجها إلى مصلح وهو الحجة بن الحسن (أرواحنا له الفداء) وما أحوجنا إلى القرآن لينقذنا من حضيض الجاهلية إلى قمة الإسلام.

## القرآن علاج لأمراضنا الاجتماعية:

فلنكرّس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج أمراض البشرية والارتقاء بها في سلم الكمال، فإن القرآن خالد وحي ومعطاء إلى يوم القيامة ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع وكل زمان ومكان وما علينا إلا أن نستثير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا

ص: 352

وأمراضنا الاجتماعية والفردية. فإذا أصيبت الأمة بالتمزق والتشتت فدواءهم قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}(آل عمران:103)، بعد معرفة أن حبل الله هما القرآن وأهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) بحسب الحديث الشريف.

وإذا أصيبت الأمة بالجبن والخور فعلاجهم قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} (النساء:78)، {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنه مُلاقِيكُمْ}(الجمعة:8).

وإذا مر المجتمع ببلايا ومصاعب ومحن فشفاؤهم في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}(البقرة:214).

وإذا شعروا بالإحباط واليأس فعلاجهم قوله تعالى: {وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (يوسف:87)، {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} (الحجر:56)، {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}(غافر:51).

وإذا ألقينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أو على الزمن فلنقرأ قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}(النساء:79) {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد:11)، {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ}(آل عمران:117).وإذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة ولسان حالهم (حشر مع الناس عيد) بلا تعقل ورويـة وبصـيرة، أجابهم القرآن:{وَمَآ أكثر النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} (يوسف:103)،{وَإِن تُطِعْ أكثر مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}(الأنعام:116) {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} (يوسف:106).

ومن الأمراض الاجتماعيـة التي عالجها القرآن (الإشاعـة)(1) وهو داء فتـاك يفرق المجتمع ويزلزل كيـانه ويبلبـل، أفكـاره فقـال فيها وفي علاجها:{وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (النساء:83)، وغيرها الكثير مما يعالج عللنا المزمنة.

## دروس مستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع:

وهنا ينبغي الإشارة إلى بعض الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح المجتمع وهدايته:

1-الالتفات إلى جانب العلل أكثر من المعلولات عند معالجة حالة معينة وهو شـيء مهم وضروري، فعندما يراجع المريض طبيبا ويشرح له الأعراض التي يعاني منها فإن أهم ما يقوم به الطبيب تشخيص العلة وتعيين العلاج



---

1- صدر لاحقاً كتيب عن هذا الموضوع ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

لها، أما الاكتفاء بمعالجة الأعراض المرضية كوجع الرأس وألم البطن أو ارتفاع درجة الحرارة من دون أن يشخص العلة فهذا من خطل التفكير، فمثلا إن من يريد أن يعالج ظاهرة التبرّج، أو ميوعة الشباب وتقليدهم للغرب، أو امتناع الناس عن دفع الخمس أو أداء الصلاة، أو ارتكابهم للفواحش كشرب الخمر واللواط، أو قل:عموم ابتعاد الناس عن تطبيق شريعة الله وتعمدهم مخالفتها لا يكتفي بأن يقول لهم هذا واجب فافعلوه وهذا حرام فاتركوه لأنهم مسلمون ويعرفون ذلك، فلا بد من تشخيص العلة لضعف الوازع الديني عندهم الذي هو الدافع للتطبيق ومن ثم علاجه، وضعف الوازع الديني إنما منشأه ضعف الجانب الأخلاقي والعقائدي لدى المجتمع، لذا ركز القرآن في مكة – أي في أوائل نزوله – على هذين الجانبين. بما طرح من عقائد ودافع عنها بالأدلة المختلفة ورد الإشكالات الموجهة إليها، وغالبا ما كان يثير كوامن فطرتهم لأنه دليل وجداني مرتكز في باطن كل إنسان ولا يستطيع أحد إنكاره والتنصل منه، واهتم بعرض مشاهد يوم القيامة وسنن الله في الأمم السالفة وعرض الكثير من مواقف العظة والعبرة حتى أيقظ عقولهم وطهر قلوبهم وعندئذ كلفهم بالأحكام فاستجابوا لها طواعية، ونحن نعلم ان فترة التربية في مكة كانت أكثر منها في المدينة ومن هذا يعلم الاهتمام المتزايد بجانب العلل أكثر من المعلولات.2–ومن هنا ينفتح الكلام عن الدرس الثاني المستفاد من طريقة القرآن في إصلاح النفس والمجتمع وهي ضرورة بناء الجانب الأخلاقي والعقائدي لشخصية المسلم، وقد اعتمد القرآن في هذا البناء على عدة أساليب ذكرتها في دروس (فلنرجع إلى الله) وقلنا هناك:أنه سلك طريق العوالم الثلاثة التي

يعيشـها الإنسان (العقل، القلب، الروح) فمثلاً يربط بين منع السـماء بركاتها والأرض خيراتها وتسلط الأشرار وعدم استجابة الدعاء فيجعل علتها ابتعاد الناس عن شـريعة الله وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن أراد أن يتخلص من هذه النتائج السـيئة فليؤدّ هذه الفريضة. ففي الحديث:(إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزعت عنكم البركات ونزلت عليكم البليّات وسـلطت عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)(1).وكان على رأس هذه الأساليب ما أشرنا إليه من عرض مشاهد وأهوال الموت وما بعده ويوم القيامة وحوار الكـافرين والفاسـقين في النـار ومع شـياطينهم والتـذكير بسـنن الله تبـارك وتعـالى في المعرضـين عن طاعته. قال تعالى: {دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} (محمد:10)، {فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (آل عمران:11)، وتعـداد نعمه على العباد التي لا تعد ولا تحصـى مع إقرارهم بحقيقـة فطريـة: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ} (الرحمن:60)، ثم بيـان السـعادة التي تعمر قلب الإنسـان وحياته ومجتمعه لو طبق شريعة الله. قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}(الأعراف:96).

إن العقيدة والأخلاق هما اللذان يرسـمان الهدف الذي يعيشه الإنسان وبالتالي فهما يُحدّدان معالم مسـيرته، فمثلاً إذا أريد التبرع لمشـروع خيري أو مساعدة محتاج فأيهما الذي يبادر إلى المشاركة:المؤمن الذي يبتغي رضا الله



---

1- تهذيب الأحكام: 6 / 176.

سبحانه ويرجو العوض منه أم البعيد عن الدين الذي غاية همّه الاستزادة من الدنيا والذين هم {قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (الممتحنة:13)، فالأول أسرع للمشاركة. فهذا مثال على اثر العقيدة والأخلاق في دفع الإنسان إلى التطبيق، فالمؤمن هدفه الله تبارك وتعالى، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وإنما انحدرت الأمة وضلت لأنها أضاعت الهدف الذي تعيش من أجله فتفرقت بهم السبل. قال تعالى: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام:153).فما علينا إلا ملء هذا الفراغ في عقول وقلوب المجتمع حتى تصح مسيرته وتنتظم حياته وفق ما أراد الله تبارك وتعالى، وان نأخذ بطريقة القرآن في إحياء القلوب وترقيقها وتهذيب النفوس وتغذيتها بالعقائد الحقة التي هي منشأ الأخلاق الفاضلة. قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد:16).

وهذا باب ينبغي للمفكرين والمربين الولوج فيه وهو أسلوب القرآن في الموعظة وإحياء القلوب وجميع الآيات الشريفة فيه التي لو تأملها العاقل لأعاد النظر في منهج حياته، كقوله تعالى في سورة الدخان: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا

مُنظَرِينَ} (الدخان:25-29).وإني أنصح بقراءة كتاب (القلب السليم)(1) الـذي يتألف من جزئين أولهما في العقائد والآخر في الأخلاق وهما صادران من قلب مخلص طاهر.

3-التدريجية في الهداية والإصـلاح والأخذ بأيدي الناس برفق ومثالهم الرئيسـي على ذلك:التدريج في تحريم شرب الخمر - باعتباره عادة راسـخة في المجتمع وقد أشـربت في قلوبهم وعقولهم - فتدرج في المنع على مراحل، أوّلها:(يسأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} (البقرة:219)، فقال بعضـهم لا نشـربها لأنها إثم وقـد حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم، وقال بعضـهم نشـربها بمقدار المنافع فيها، ثم نزل قوله تعالى:{لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} (النساء:43)، فامتنع بعضهم وقالوا لا نتناول شـيئا منافياً للصـلاة، ثم نزلت آيـة المائـدة التي أفادت المنع المؤكد الجازم:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} (المائدة:90).

ونفس نزول القرآن نجومـاً أي مبعضاً على مـدى (23) سـنة إنما يهـدف - فيما يهـدف إليه - المعالجات الآنيّـة آخذاً بنظر الاعتبار الزمان والمكان والظروف الموضوعية وتباين مستوى الناس واستعدادهم للتلقي والتطبيق.



---

1- للمرحوم الشـهيد السيد عبد الحسين دستغيب ولم يكن سماحة الشيخ يستطيع التصريح بالاسماء لأنه يعرّضه لعقوبة النظام الصدامي، وكانت هذه الكتب تدخل الى العراق سراً ثم تستنسخ خفية وتوزّع كذلك.

ويمكن أن يكون التدرج بعدة أشكال فعندما يراد معالجة ظاهرة اجتماعية متأصلة – كالسنينة العشائرية مثلاً – فنبدأ أولاً بإثارة الإشكالات حول مدى صحتها وجدواها والتشكيك فيها ثم طرح البدائل والخيارات الأخرى المقابلة لها فإذا زرع في النفوس هذا التشكيك وبدأ الالتفات إلى البديل الأفضل فستنشأ القناعة بإبدالها، وعندئذ يمكن التصدي لنقضها، أما محاولة نقضها مباشرة ومن دون هذه التهيئة فإنه يعني الفشل الذريع، وما دامت راسخة ومتأصلة وقد جبل الإنسان على احترام ما هو مألوف وموروث عنده والتعبد به فسيكون هؤلاء المتعبدون كلهم ضد اية محاولة لتغيير هذه الظاهرة الاجتماعية.فعندما بُعث الرسول (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بالنبوة لم يتعرض للأصنام مباشرة بل كان يعبد الله تعالى هو (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)(1) وخديجة (س) بمرأى ومسمع من قريش من دون أن تتعرض له بسوء، لكنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فتح الباب للعديد من التساؤلات:ماذا يفعل هؤلاء الثلاثة ولمن يعبدون ولماذا تركوا طريقة قومهم وما هذه الشجاعة والإيمان الراسخ في قلوبهم الذي يجعلهم يقفون بكل اطمئنان مقابل الجميع . . . هذه التساؤلات أدت إلى إسلام جماعة – راجع قصة عبد الله بن مسعود في كتب السيرة(2) – ولم تعارضه قريش لأنه لم يستفزها ولم يُثر حفيظتها فيما لو تعرض للأصنام مباشرة.

4-الاهتمام وإلفات نظر الأمة إلى المرتكزات الأساسية لكيان الأمة الذي لا يحفظ إلا بها خصوصاً تلك التي يعلم إعراض الأمة عنها وإهمالها



---

1- أنظر: بحار الأنوار- المجلسي: 38/ 256)

2- أنظر: أسد الغابة- ابن الأثير: 3/ 256

لأمرها من بعـده (صـ لّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فشـدد عليها كثيراً، مثلا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإمامـة والولايـة للمؤمنين ومشاقة الكافرين ومودة ذوي القربى والاعتصام بالقرآن والعترة والمواظبـة على المساجد والجماعات والجمعات، وما أن غاب شـخصه (صـ لَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حتى أهملت الأمة هذه الأسـس الرصـينة لحفظ كيانها فبدأ العد السـريع للانحراف فأي عودة للصلاح والإصلاح لابد لتحقيقها من إعادة دور هذه الأمور في حياة الأمة إلى بحوث مستقلة بإذن الله تعالى.5-التسلية وتطييب الخاطر والتخفيف عن المصاعب والأتعاب التي تواجه الشـخص الذي يسعى إلى إصلاح المجتمع وهدايته أو ما سميناه بحامل القرآن كرسالة إصلاح، قال تعالى: {المص، كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صـ دْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(الأعراف:1-2)، و{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صـ دْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ} (هود:12)، {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَـ يْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} {النحل:127-128)، {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْـ رَكُواْ أَذىً كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فإن ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (آل عمران:186)، وأرقّ تعبير وألطفه قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} (الطور:48)، عين الرعاية واللطف والرحمة والحراسة والتوجيه والبصيرة وغيرها.

وتجد سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورة يوسف التي تحس إنها نزلت

في الفترة العصبية التي عاشها رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في مكة قبل الهجرة حيث فقد الناصر بموت أبي طالب وخديجة (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ويأس عمليا من إسلام قريش وحاول ان يجد مأوى آخر غير مكة كالطائف فلم يفلح فضاقت الدنيا بالمؤمنين، وفي ذلك الحين نزلت عليهم سورة يوسف تقص عليهم كيف تآمر الأخوة على أخيهم الصغير ورموه في الجب وهو يعني الموت بحسب الأسباب الطبيعة، لكن الله تعالى يرسل قافلة تستنقذه ويباع إلى بيت ملك مصر ثم يقع في محنة امرأة العزيز وباقي النساء فيسجن سنين لكن الله تعالى ينقذه من السجن ويعلمه تأويل الأحاديث، فنال ببركة ذلك موقع أمين خزائن مصر، ثم أصبح ملكا عليها بعد أن ملك قلوب الناس بأخلاقه وحسن تدبيره. وهنا يأتي أولئك الإخوة المتآمرون ذليلين بين يديه فيعفو عنهم بنفسه الكبيرة وقلبه الرحيم ويقول لهم: {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (يوسف:92)، ويجمع الله شمله مع أبيه وأخيه. واستعار رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نفس الكلمة حين فعلت قريش نفس الفعل حتى نصره الله عليهم ومكنه من رقابهم في عقر دارهم مكة فأعاد عليهم كلمة أخيه الكريم يوسف (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وقال (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء) بعد أن استنطقهم:ما تروني فاعلاً بكم، قالوا (أخ كريم وابن عم كريم)(1)، وهذا إقرار منهم بسمو ذاته (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) .6-الحث على طلب العلم والتعلم والتفقه بكل ما يقرب إلى الله سبحانه ويزيد من المعرفة به، وقيل أن في القرآن أكثر من خمسمائة آية تحث على العلم



---

1- تفسير نور الثقلين: 2 / 460.

والتفكر وتثني على العلماء وتذمّ الجهل والجهلاء وتصف عاقبتهم، حتى جعل القرآن صفة الفقه والعلم والمعرفة بالله تبارك وتعالى سببا لمضاعفة قوة المؤمنين على أعدائهم عشرة أضعاف بحسب التعليل المستفاد من ذيل الآية الشريفة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} (الأنفال:65) بينما جعل الصبر الذي هو من الأسباب المهمة للنصر بمثابة زيادة القوة ضعفاً واحداً فقط:قال تعالى: {الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فإن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}(الأنفال:66).

## من فقه المواجهة مع الكفار والطواغيت:

وهذا الفقه شامل لكل نواحي الحياة، فماذا ضخ القرآن من أفكار تندرج في ما يمكن تسميته فقه المواجهة مع الكفار؟ قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيماً} (النساء:104)، فلماذا الفرار من لقائهم ما دامت الأضرار تحل بالطرفين؟ والفرق أنكم ترجون ما عند الله في الآخرة فلا خسارة، بينما هم لا يرجون ما عند الله شيئاً إلا العذاب الأليم.

وقوله تعالى: {وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ} (الحشر:2). وقوله تعالى: {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (التوبة:120-121) فلماذا التقاعس والتقصير في تقديم ما تقتضيه طاعة الله تبارك وتعالى من جهد ومال ولماذا سوء الظن بالله تعالى هذا الذي يعتري الناس حين يطلب منهم دفع ما بذمتهم من حقوق شرعية كالخمس الزكاة ونحوهما؟

ومنها قوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ} (يونس:103).

ومنها هذه الآيات المباركة من سورة محمد، وإذا استطعت أن تنتقل بروحك وفكرك وقلبك إلى تلك الفترة الزمنية السعيدة من حياة البشرية وتتصور أنك ضمن الجماعة المؤمنة المحيطة برسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) التي واكبته من الزمان الصعب أول الرسالة عندما كانوا قلة مستضعفين تسومهم قريش سوء العذاب حتى هذه الفترة التي دب فيها العجز واليأس لدى المشركين بعد وقعة الأحزاب حيث أصبح زمام المبادرة بيد رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وتوالت انتصاراتهم من فتح الحديبية

إلى فتح خيبر وفتح مكة والطائف ثم اليمن والجزيرة كلها، فتصور انك هناك وينزل عليك هذا الخطاب القرآني العظيم ومن لدن ربك ومدبر أمورك وخالق السموات والأرض يتحدث إليك مباشرة ليقول لك: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ، فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ(1)، إِنَّ اللَّهَ



---

1- وهذه الآية تمثل الإطار العام لهذه المقابلة المؤمنين لهم مولى يرعاهم ويتولى تربيتهم وسعادتهم وصلاحهم وهو الله تبارك وتعالى بينما الكفار لا مولى لهم وإنما مولاهم الشيطان الضعيف الذي يفر عند المواجهة ويخذلهم {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (سورة الأنفال: 48).

يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ، وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ، أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ} (محمد:1-14)، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55).وهو أثناء ذلك يحذر من محاولات المنافقين الذين يخذلون المؤمنين عن مواجهة الأعداء ويسخرون من ضعف إمكانياتهم متغافلين عن سر قوة المؤمنين وهي اتصالهم بالله تبارك وتعالى، فاسمعه سبحانه يقول: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فإِن اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(الأنفال:49).

وتندرج في هذا السياق – أعني فقه المواجهة مع الكفار – كل الوعود الإلهية بالنصر والغلبة ووراثة الأرض، وأن العاقبة لهم، وأن الله معهم، وتنزل الملائكة عليهم بالسكينة من ربهم، ورفع الخوف والحزن عنهم، وعقد صفقة الشراء معهم فيشتري منهم أنفسهم وأموالهم والثمن الجنة، وكذا مضاعفة القرض

لله تبارك وتعالى والإنفاق في سبيله. ولا يسع هذا المختصر كل التفاصيل.والحقيقة الكبرى التي يثبتها القرآن الكريم بهذا الصدد أن النصر والهزيمة أمام العدو الخارجي – الكفار – إنما هي فرع النصر والهزيمة مع العدو داخل النفس الأمارة بالسوء وهو الشيطان، فتراه عندما يعد المؤمنين بخلافة الأرض ووراثتها ومن عليها فإنه يجعل الخطوة الأولى في ذلك إصلاح الذات وتطبيق المنهج الإلهي على النفس أولا، قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}(القصص:5-6)، فأولاً جعلهم أئمة وهو يعني تطهير ذواتهم وتنزيهها، ويؤكد أن لا قيمة للنصر على الكفار إذا لم يكن مقترناً بالنصر على الشيطان وإخلاص العمل لله سبحانه لأن العمل أن لم يكن ابتغاء مرضاة الله فهم والكفار على حد سواء وكلاهما أهل دنيا وما لهما في الآخرة من نصيب.

فمثلاً في خضم هزيمة المسلمين في معركة أحد والخسارة الأليمة التي حلت بهم يخاطبهم سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ}(آل عمران:155) فهزيمتهم وإدبارهم كان بسبب ما اكتسبوا من السيئات، وبالمقابل يقول تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}(محمد:7)، ونصر الله يكون بطاعته تبارك وتعالى وإلا فإنه غني عن العالمين، والآية المتقدمة {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ}، ومن هنا خاطب رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سرية مجاهدين عادت من القتال:(مرحبا بكم، قضيتم الجهاد

الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر. قيل:وما هو يا رسول الله؟ قال:جهاد النفس)(1).

## الكيان الصهيوني من الأعراض المرضية فعالجوا أصل المرض:

فعندما يهتم المسلمون اليوم بأمر الدولة الصهيونية اللقيطة ويسعونَ إلى إزالتها، عليهم أن يلتفتوا إلى أن هذه الدولة ما هي إلا أحد الأعراض المرضية التي تظهر على جسد الأمة الإسلامية نتيجة وجود مرض كامن فيها هو الأصل والعلة لهذه الأعراض، والمرض هو ابتعاد المسلمين عن المنهج الإلهي في حياتهم فلا ينبغي لهم الاهتمام بالأعراض المرضية والغفلة عن علة هذه الأعراض، ويكون مثلهم كما يجري في ساحة مصارعة الثيران – على تشبيه احد المفكرين(2) – فالثور الهائج يركز كل همه وعدائه وغضبه وقوته على الخرقة الحمراء ويغفل عن المصارع الحامل لها، فراح هذا المصارع يغرز في عنقه الخناجر التي تصيب مقتله وهو غافل عنه حتى يموت ويفنى. فلا يكون حالنا كحال ذلك الثور؟! وأنت ترى أن الأمة تقترب من النصر على أعدائها كلما اقتربت من النصر على أنفسها وبمقدار ما تعود وترجع إلى الله تبارك وتعالى.

## فائدة تكرار القصص في القرآن:

7-تكرار واستمرار جرعات العلاج وعدم الاكتفاء بعرض العلاج لمرة واحدة عند التصدي لتصحيح حالة منحرفة أو سد نقص أو علاج



---

1- الكافي: 5/ 12 ، باب: وجوه الجهاد.

2- وهو: الشيخ جودة سعيد.

خلل موجود في فكر الأمة أو عقيدتها أو سـلوكها، فمثلاً تجد قصـص بعض الأنبياء قد تكررت أكثر من عشـر مرات وكل طرح له ذوقه وأثره ودوره في تحقيق الغرض ويترك انطباعا غير الـذي يتركه الآخر وان كان الجميع بنفس المضـمون.فعندما نريـد أن تتناول قضـية تبرّج المرأة أمام الرجل وخلاعتها ونصب نفسها شيطاناً يصد عن ذكر الله تعالى وطاعته لتجسيد قول إبليس عملياً: {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} (الأعراف:16-17)، وهذه الفاسقات يستعملنَ شتى الأساليب لغواية الرجال وإيقاعهم في المعصـية من السـفور المتبرج في الشارع إلى الحركات المتميعة في الجامعات إلى إبداء مفاتن الجسد إلى الرياضة إلى المشاهد الخليعة في الفن.

فعندما نريد أن نتصدى لمواجهة هذا الداء الفتاك في المجتمع فيمكن معالجته في كتاب عن الظواهر الاجتماعية المنحرفة وكتاب عن قضايا المرأة وكتاب عن اثر الرياضـة والفن في تـدمير أخلاقيات المجتمع وكتاب عن مشاكل طلبـة الجامعات وهمومهم وتطلعاتهم وكتاب بنفس المضامين عن الشـباب وكتاب عن فقه العائلة ويتضمن الروابط الأسرية والاجتماعية وفق تعاليم الشريعة وهكذا لان هذه المشكلة الخطيرة تـدخل في جميع هـذه المحـاور، وتناولها في كل المحاور يعطيها صورة ونمطا غير الـذي يعطى عنـد عرضـها في محور آخر، ولا اقل من ازدياد عدد الشرائح التي تخاطبها هذه الكتب وبالنتيجة تكون الصورة متكاملة

عندما تُتناول من جميع الاتجاهات(1).8-سلوك مختلف الطرق لهداية الإنسان ولما كان له عوالم ثلاثة هي النفس والعقل والقلب فتجده قد سخرها جميعا ووظفها لاستمالة البشر إلى طاعة الله تبارك وتعالى وقد شرحت ذلك بشيء من التفصيل في دروس (فلنرجع إلى القرآن).

وتجده كثيراً ما يستنطق الفطرة ويستثيرها وقد وصف علة إنزال القرآن في بعض الأحاديث أنه:(ليستثير كوامن فطرتهم) فإن الوجدان أوضح دليل وأصدقه لا ينـاقش فيه أحد، فاستمع إليه تعالى وهو يخاطب الفطرة في إثبات الصانع: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ، أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}، {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}، {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}، {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ، أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ}(الواقعة:58-72)، أو يقول تعالى وهو في مقام عتاب الإنسان العاصي: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} (الرحمن:60)، وأنت ترفل في نعم الله تبارك وتعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (إبراهيم:34).



---

1- تم إصدار كتيبات ونشرات تغطي كل هذه المحاور المذكورة بفضل الله تبارك وتعالى، وكانت تنتشر بسرعة وبكميات كبيرة مما أدّى الى رعب النظام وارتباكه وسعى بمكره وخدعه لمعرفة من يتولّى الطبع والنشر واعتقل بعضهم.

## كيف السبيل إلى إعادة تفعيل دور القرآن؟

وأعـود الآـن إلى التسـاؤل الــذي طرحنـاه وهـو كيـف السبيـل إلى إعـادة القرآن إلى الحيـاة والاســتفادة منـه، ويتحمـل مسؤوليــة ذلك طرفـان:المجتمع والحوزة الشـريفة التي هي عنوان ورمز وعي الأمـة وفكرها ومسـتواها الـديني فقـد قلنا إن أهم وظيفـة تقوم بها الحوزة في المجتمع هي طرح مفـاهيم القرآن ورؤاه وتصوراته وأخلاقه وعقائـده – التي أشـرنا إلى بعضـها – إلى المجتمع بالفهم الصـحيح النقي كما يريـده القرآن وبالشـكل المنـاسب ليكون دوره فاعلا في حياة الأمـة ويكون ذلك بعـدة قنوات كالمنبر الحسـيني والمحاضـرات والنـدوات وخطب الجمعة والجماعة والكتب والمجلات والنشرات ونحوها.

ولكن قبل ذلك يجب إعادة القرآن إلى مناهج الدراسة الحوزوية ويتم ذلك على مستويين:

الأول:الدراسات الأولية أي مستوى المقدمات والسطوح الابتدائية فيعطون المناهج التالية(1):

1–حفظ وتلاوة القرآن الكريم وضبطه بالشكل وفق قواعد اللغة العربية وإتقان قواعد تجويده ضمن الإطار الشرعي.

2–تفسير إجمالي للألفاظ ولو على نحو شرح المفردات كما في تفسير شبر ونحوه، ليأخذ الطالب أفكاراً عامة عن معاني القرآن.

3–دراسة علوم القرآن، وأفضل كتاب في ذلك (البيان) أو مقدمة كتاب



---

1– أدخل سماحة الشيخ هذه المفردات كلها في برامج الدراسة في جامعة الصدر الدينية التي يشرف عليها.

آلاء الرحمن المطبوعة في أول تفسير شبر.4-إقامة المسابقات في العلوم المختلفة عن القرآن وتخصيص جوائز للفائزين والمتفوقين.

الثاني:الدراسات العالية ويكون على شكل عدة خطوات:

1-فتح باب التخصص في الدراسات القرآنية، وأفضل وقت له هو بعد إكمال السطوح العالية حيث يعد الطالب المتخصص منهجاً خاصاً به ويمكن أن يستّ تفاد من بعض الكتب الموجودة بعد أن يجرى اختبار معين لاكتشاف أهلية الطالب الذي يريد التخصص في هذا المجال ويفرغ لهذه الدراسة مع توفير المصادر ذات الصلة ليكون مدرساً أو مفسراً أو باحثاً قرآنياً.

2-دراسة تفسير القرآن بشكل معمق أما كل القرآن أو آيات ومقاطع منتقاة منه تخدم هدفا معينا، ويمكن ان يتخذ احد التفاسير متناً يتولى المدرس شرحه والتعليق عليه وإضافة ما يمكن إضافته من المعلومات النافعة المستفادة من التفاسير والمصادر الأخرى، وفي رأيي القاصر إن من المصادر المفضلة هما الميزان وفي ظلال القرآن لأن لكل منهما اتجاهاً خاصاً في التفسير غير الآخر يعلمه من نهل من معارفهما.

3-وضع مناهج للدروس في مفاهيم القرآن وتصوراته ونظرياته وأطروحاته وفلسفته في الكون والحياة بعد أن يكون الطالب قد أخذ تفسيراً اجمالياً لألفاظ القرآن في دراسته السابقة، وتحصل هذه الأمور بدراسة آيات القرآن دراسة موضوعية وليس بالطريقة التجزيئية المتعارفة وإن كانت هذه الطريقة هي الأساس لتلك، وقد قارنت بين المنهجين في كتابي المخطوط (مدخل

إلى تفسير القرآن) الذي يعد هذا البحث مقدمة له.ويركز على المواضيع العلمية أي التي لها واقع معاش سواء على صعيد

العقائـد أو الأخلاق أو الفكر، فتتناول مثلاً:التقوى، الصبر، الفقه، التوحيـد، الإمامة، الولاية، الشـيطان، المعاد، المجتمع المسـلم مقومات بنائه وعوامل انهياره، الرجاء والأمل، الموعظـة والعبرة، سـنن الله في الأمم والمجتمعات، وهكـذا، وعندئـذ سـتتغير الكثير من أفكارنا لأن المعاني المتداولة الآن للألفاظ القرآنية لا تنطبق بالضـبط على الفهم القرآني لها بحسب استقراء موردها في القرآن بسبب ما تراكم من غبار التأويلات والتفسير بالرأي وتحكيم الأهواء والتعصبات وحملات المغرضين وغيرها.

## الفقه والفقيه في المصطلح القرآني:

وقـد عرضـنا قبل قليل مفهوم الجاهليـة في المصـطلح القرآني وصـفات وخصائص المجتمع الجاهلي والبدائل الإلهية التي يقدمها القرآن وهكذا كنموذج لمفهوم اجتماعي.

وأقدم الآن الفهم القرآني للفظ حوزوي وهو (الفقه) كمثال آخر، فالفقه يتداول عندنا على انه العلم بالأحكام الشرعية رغم أنه في المصطلح القرآني بمعنى المعرفة بالله تبارك وتعالى ولا ملازمة بينهما كما هو واضح بل النسبة بينهما العموم من وجه.

ففي الآيـة الشـريفة: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة:122) ونحن نعلم

ان الحـذر والتقوى لا ينشآن من المعرفة بالأحكام الشـرعية بل للحذر مناشـئه الروحية والنفسـية والعقلية وبعد حصول التقوى والمعرفة في القلب ينـدفع إلى تعلم الأحكـام الشـرعية وتطبيقها وتسـتطيع أن تجرب ذلك بنفسك فاقرأ كتب الفقه وتعمق فيها من أولها إلى آخرها هل تراها غـذت قلبك بشـيء أو زادت فيه الحذر والتقوى؟ وكم رأينا فقيها بالمعنى الاصـطلاحي وهو مكب على الدنيا وبعيد كل البعد عن الله تبارك وتعالى. والقرآن يقص علينا خبر مثل هذا الفقيه: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَـلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَـا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَـا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف:175-176).

ومن الشواهـد على أن معنى الفقه هو المعرفـة بالله تعالى جعل محله القلب في الآيات الشـريفة وهو محل المعرفـة الحقيقيـة بالله تعالى، بينمـا الأحكـام الشـرعية محلهـا العقل، قال تعالى: {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} (التوبـة:87)، وقال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف:179).

لـذا جعلت الآية هذا الفقه أي المعرفة الراسـخة بالله والمبدأ والمعاد سـببا لمضاعفة القوة عشـرة اضـعاف. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم

مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} (الأنفال:65).ويؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صَلّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ألا أخبركم بالفقيه حقاً؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخص في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه)(1) هذا في كتاب الوسائل. وللحديث بقية في مصدر آخر(2) كالتالي:(فإنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ:يا أيها الناس إن أقربكم من الله تعالى مجلساً أشدكم له خوفاً، وإن أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإن أعظمكم عند الله نصيباً أعظمكم فيما عنده رغبة، ثم يقول عز وجل:لا أجمع لكم اليوم خزي الدنيا وخزي الآخرة، فيأمر لهم بكراسي فيجلسون عليها، وأقبل عليهم الجبار بوجهه وهو راض عنهم وقد أحسن ثوابهم).

فترى أن صفات الفقيه كل ما يقرب إلى الله تبارك وتعالى، وفي حديث عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(كانت الفقهاء والحكماء إذا كاتب بعضهم بعضاً كتبوا ثلاثاً ليس معهن رابعة:من كانت الآخرة همته كفاه الله همه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله فيما بينه وبين الناس)(3).

وفي حديث عن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(من علامات الفقه الحلم والعلم



---

1- بحار الأنوار: 2/ 49، باب: صفات العلماء وأصنافهم، حديث 8.

2- مدينة البلاغة: صفحة 98، عن كتاب الجعفريات.

3- الخصال: صفحة 129 باب الثلاثة.

والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة وإن الصمت يكسب المحبة وإنه دليل على كل خير)(1).

ويمكن استفادة هذا المعنى بالجمع بين حديثين ففي الخصال عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي:الأمراء والفقهاء)(2) وفي الوسائل عن الأمالي. بدل العلماء القراء فإذا ضممنا إليه الحديث الآتي في صفة القراء نحصل على المعنى المذكور.

فبين الفقيه بالمصطلح القرآني والفقيه بالمعنى الحوزوي عموم من وجه إذ قد يكون فقيها بالمعنى القرآني وهو ليس كذلك بالمعنى الحوزوي إذ يوجد الكثير من أولياء الله العارفين ولهم الكرامات المشهودة مع أنهم لم يبلغوا درجة عالية في العلوم الحوزوية وقد يكون العكس فتجد شخصاً امتلأ ذهنه بالنظريات والأفكار الأصولية والعقلية والمسائل الفقهية بحيث تجده ملماً حتى بدقائق المسائل لكن قلبه غير معمور بذكر الله تعالى ولو سألته عن أبسط مسألة في تهذيب النفس والسلوك الصالح إلى الله تبارك وتعالى وتصفية الباطن وتطهير القلب لبقي متحيراً، فمثل هذا ليس فقيها بالمعنى القرآني، والكامل هو من جمع المعنيين كما هو شأن علمائنا المقدسين الذين بلغوا مقاماً عالياً في الفقه والأصول وشامخا في العرفان، وهم المقصودون في الحديث الشريف:(الفقهاء أمناء الرسل)(3)، وبمثل هذا المنظار القرآني يجب أن نفهم الأحاديث الشريفة لئلا



---

1- الاختصاص: 232.

2- مستدرك سفينة البحار- الشيخ النمازي: 6/ 383

3- بحار الأنوار: 2/ 36 حديث 38.

تضيع علينا معانيها السامية.

## مسؤولية الحوزة عن تفعيل دور القرآن:

وإني هنا أذكر حديثاً واحداً فقط يبين مسؤولية الحوزة الشريفة عن توعية المجتمع وهدايته وإصلاحه فقد روي أن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم، ثم قال:ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والذي نفسي بيده ليعلمن جيرانهم أو ليتفقهن أو ليتفطنن أو لأعاجلهم بالعقوبة في دار الدنيا، ثم نزل ودخل بيته، فقال أصحاب رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):من يعني بها الكلام؟ قالوا:ما نعلم يعني بهذا الكلام إلا الأشعريين فقهاء علماء ولهم جيران جفاة جهلة.

فاجتمع جماعة من الأشعريين فدخلوا على النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقالوا:ذكرت طوائف من المسلمين بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لتعلمن جيرانكم ولتفقهنم ولتأمرنهم ولتنهنّهم أو لأعاجلنكم بالعقوبة في دار الدنيا، فقالوا:يا رسول الله فأمهلنا سنة ففي سنة ما نعلمهم ويتعلمون فأمهلهم سنة ثم قرأ رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ): {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}(1).

هذه هي بعض المقترحات التي أقدمها بين يدي الحوزة الشريفة في هذا المجال والوظيفة المشتركة للجميع هي المواظبة على تلاوة القرآن



---

1- الميزان في تفسير القرآن: 6 / 84 في تفسير الآية، عن كتاب الدر المنثور.

والاستفادة منه آناء الليل وأطراف النهار وستعرف الكثير عن هذا من خلال الأحاديث الشريفة الآتية.وهذه الوظيفة للحوزة لا تخصهم وإنما خاطبناهم بها لوجوبها عليهم أكثر من غيرهم، وإلا فالمجتمع كله مسؤول عن اتباع هذه الخطوات بحسب ما يناسب كل فرد، فذوو المعرفة القليلة يبدأون بقراءة التفاسير المبسطة كتفسير شبر.

وإني أنصح كل مسلم – وهو ما جربته أنا – أن يبدأ حياته مع القرآن بأن يتلوه في مصحف وعلى هامش كل صفحة تفسيرها مختصراً كتفسير شبّر؛ ليتسنى له فهم مفردات الآيات خلال تلاوتها، ويستمر على هذا الحال عدة ختمات إلى أن يمتلك معرفة إجمالية بالقرآن، ثم يعود إلى نسخة المصحف يتلو فيها مع تطوير قابليته بقراءة كتب التفسير المتقدمة كالميزان وفي ظلال القرآن ويقرأ الكتب التي شرحت مفاهيم القرآن أو تناولت القرآن بحسب الموضوعات، حيث يتخذ احدها عنوانا للبحث ثم يستقرئ القرآن فتجتمع كل الآيات المتعلقة بذلك العنوان ثم يستنتج من المجموع تصور القرآن ونظريته – وأنا هنا استعير هذه المصطلحات الفكرية لأجل استئناس الأذهان بها مع بعض التحفظات – لهذا الموضوع الذي يفترض فيه أن يعالج مشكلة واقعية يعيشها المجتمع سواء كانت عقائدية أو أخلاقية أو فكرية أو غيرها.

وقد يكون من الأفضل متابعة ذلك مع بعض فضلاء الحوزة الشريفة ليوجهوهم ويجيبوا عن تساؤلاتهم ويرشدوهم لما ينفعهم فإن المجتمع والحوزة احدهما يكمل الآخر، فالحوزة توجه المجتمع والمجتمع يضغط على الحوزة لتكون بمستوى المسؤولية وبمستوى حاجة الأمة وطموحاتها ومواكبة للزمان

الـذي تعيشه وعندئـذ سـتنفرز العناصـر الكفوءة من الحوزة عن غيرها وسـتعرف الأمة من هو الأصـلح لها.إن القرآن لا يفهم حق فهمه إلا عندما يحمله الإنسان كرسالة يصلح بها نفسه والذين من حوله ويواجه بها الخطأ والانحراف الذي يضرب بأطنابه على البشرية، عندئذ يعيش في مثل الأجواء التي نزل فيها وعندئذ تنفتح له أسراره، ولا تكفي قراءته لمجرد التبرك وإن كان في ذلك فضل لا ينكر.

ومن الضـروري أن تتناول إحـدى الدراسات القرآن بحسب تأريخ نزول آياته وإن كان الإلمام بذلك تفصـيلاً أمراً متعسّـراً لعدم وجود دليل قطعي عليه إلا أنه يمكن اقتناص بعض موارده ويسـتفاد من هـذا البحث فوائـد كثيرة في مجال معرفـة خطوات القرآن في إصـلاح المجتمع باعتباره نزل تدريجياً بحسب الوقائع والحوادث.

إن هـذا التنزيل المتـدرج للقرآن بـدلاً من النزول دفعة واحدة له وقعه المباشـر وتأثيره الفعال في الحالات التي عالجها، قال تعالى: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً} (الإسراء:106)، وما دام هو كتاب تربيـة وهداية وإحياء فلا بد أن يكون تدريجياً وبلطف فيصف العلاج المناسب في الوقت المناسب وبالجرعة المناسبة لا أقل ولا أكثر ولا قبل الموعد ولا بعده، وهكذا أخذ القرآن بيد هذه الأمة برفق لتجد نفسها بعد عقدين من الزمان في قمة السمو والكمال والرفعة والعزة والمنعة.

## بعض الآداب والمستحبات المتعلقة بتلاوة القرآن:

وأود هنا أن أذكر بعض الآداب والسنن والمستحبات المتعلقة بقراءة القرآن والمستفادة من الروايات الشريفة:

1-يستحب ختم القرآن في الشهر مرة، وأن لا تزيد عن أربعة أشهر أي يختمه في السنة ثلاث مرات غير الزيادات التي ينبغي إضافتها في شهر رمضان المبارك.

2-أن تكون قراءته على نحو الختمة أي يبدأ من أول القرآن إلى آخره، وليس قراءة سور متفرقة اشتهر فضلها بين الناس مهما كانت أهميتها، ليمر على القرآن كله وينال كل بركاته وهو المعبر عنه في الحديث الشريف الآتي:(الحالِّ المرتحل)(1).

3-أن يصادف الختم يوم الجمعة وأن يقرأ عند ختم القرآن الدعاء المختص به وهو موجود في الصحيفة السجادية.

4-عندما يختم القرآن لا يقف عند نهايته بل يصله مباشرة بافتتاح ختمه جديدة ولو بأن يبدأ بسورة الفاتحة وأول خمس آيات من سورة البقرة.

5-أن يكون على طهارة وفي مصلاه مستقبلاً القبلة.

6-ورد في تفسير قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ} (آل عمران:200)، إن من المرابطين من يثبت على مصلاه ينتظر حلول وقت الفريضة، فلتحصيل فضل المرابطين يستغل المؤمن هذه الحالة وهي فترة انتظار وقت الصلاة لتلاوة القرآن ويكون الأجر أعظم لو كان ذلك في المسجد



---

1- الكافي: 2 / 605.

منتظراً صلاة الجماعة.7-وورد استحباب النوم على طهارة وقراءة القرآن قبل أن يأوي المؤمن إلى فراشه وفي حديث إنه:(من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني ومن صلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن دعاني ولم أجبه فقد جفوته ولست بربٍ جاف)(1)، وإذا أضيف لها الاستحباب المؤكد لصلاة الليل، واستحباب التخلي قبل النوم، واستحباب السواك، خرجنا من ضم المجموع بوُردٍ مهم وهو أن المؤمن قبل أن يأوي إلى فراشه يتخلى وينظف أسنانه ثم يتوضأ ويصلي صلاة الليل، إما كلها أو بعضها، ويؤد البعض الآخر إلى ما قبل طلوع الفجر ثم يقرأ مقداراً من القرآن الكريم ويدعو الله سبحانه له وللمؤمنين فإنه سيجمع كل هذه المستحبات. أما الإنسان الذي يسهر الليل على البرامج والأفلام الفاسدة التي تتعب أعصابه وترهقه فيعيش في معاناة ونكد.

8-أن تكون تلاوته للقرآن خصوصاً للمبتدئين في تفسير شبر الذي يتضمن أكثر من فائدة ففيه نسخة من المصحف الشريف وفيه تفسير إجمالي لمعاني القرآن، وهو ما قلناه أنه ضمن مناهج الدراسات الأولية للقرآن، وفيه مقدمة في علوم القرآن وهو درس آخر، وفيه ملحق بفهرس الألفاظ القرآنية بحيث أن أي آية تريد معرفة موضعها تستخرج من هذا الدليل وموضع أي كلمة منها، وفيه القراءات المتعددة للكلمة الواحدة إن وجدت في هامشه، وفيه ترتيب نزول السور ففي عنوان كل سورة يقول أنها نزلت بعد كذا سورة،كل هذه الفوائد



---

1- وسائل الشيعة: كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، باب 11، حديث2.

في هذا الكتاب الجليل.9-أن يبـدأ بإهداء الختمة الأولى لرسول الله (صَـلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثم الثانية لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وهكذا لجميع المعصومين الأربعة عشر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فقد وردت فيه رواية شريفة وهم أكرم الخلق فسيردون الهدية بما يليق بكرمهم يوم القيامة.

10-رفع الصوت بالقرآن عند التلاوة، وان يكون حزينا وان يتدبر معانيه ولا يكن همّ أحدكم نهاية السورة، كما في الحديث.

11-اسـتحباب القراءة في المصـحف حتى لو كـان حافظـاً لمـا يقرأ، ويسـتحب أن يكون لكل فرد من أفراد العائلـة نسـخة من المصـحف الشريف خاصة به يضع فيه علامة.

12-الإنصات إلى القرآن وتدبر ما يسمع في أية فرصة تسنح للاستماع.

أسـأل الله تعالى أن يحيينا حياة القرآن وينيلنا شـفاعته ويجعلنا ممن يهتـدي بهـداه ويستضـيء بنور علمه إنه ولي النعم وهو اللطيف بعباده ومن لطفه بنـا أن هـدانا إلى دينه القويم وأتحفنا بكتابه الكريم ونبيه العظيم وأهل بيته الميامين الغرر. الحمـد لله الـذي هـدانا لهـذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله.

## الأربعون حديثاً في فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته:

وسأكتفي هنا بذكر نصوص الأحاديث مع جعل عنوان مناسب لمضمونها، وتصنف الأحاديث بحسب المضامين، أما شرحها وبيان ما فيها من نكات فيمكن أن يكون له محل آخر، وسوف لا أتحدد بالعدد أربعين لأن الأخبار التي حثت على حفظ أربعين حديثاً لا نفهم منها أنها بشرط لا عن الزيادة فالزيادة خير إذن.

### 1-ضرورة تعلّمه:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو أن يكون في تعليمه)(1).

وعن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(لا يعذب الله قلباً وعى القرآن)(2).

وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(خياركم من تعلم القرآن وعلمه)(3).

وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة)(4).

وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(القرآن غنىً لا غنى دونه ولا فقر بعده)(5).

وعنه (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(إذا قال المعلم للصبي:بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم)(6).

وعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام



---

1- و(2) و(3) و(4) و(5) و(6) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب1، الأحاديث 4، 5، 6، 15، 11، 16 بحسب الترتيب.

البررة)(1).

### 2-تعلم القرآن أعظم نعمة:

عن النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه قال:(من قرأ القرآن فظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد حقّر ما عظّم الله، وعظّم ما حقّر الله)(2).

### 3-القرآن شافع مشفَّع وخصم مصدق:

عن الرسول (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه قال في حديث:(إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع وماحِلٌ مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان تحصيل - إلى أن قال- لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة)(3).

### 4-صفة قارئي القرآن:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال:(ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مرّ بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار ومن العذاب)(4).

وعن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن)(5)، ومن خطبة أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وصف المتقين قال:(أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء الكتاب يرتلونه ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به



---

1- المصدر السابق، باب 5، حديث 1.

2- المصدر، باب2، حديث3.

3- المصدر، باب 3، الأحاديث 3، 2، 6 بحسب الترتيب.

4- المصدر، باب 3، الأحاديث 3، 2، 6 بحسب الترتيب.

5- المصدر، باب 3، الأحاديث 3، 2، 6 بحسب الترتيب.

تهيج أحزانهم، بكاء على ذنوبهم، ووجع كلوم جراحهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ووجلت قلوبهم فظنوا أن صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت أنفسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم)(1).

## 5-وجوب إكرام حملة القرآن وحرمة الاستخفاف بهم:

عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(إن آهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً)(2).

## 6-ثواب من يصعب عليه تعلم القرآن وحفظه:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من شُدّد عليه القرآن كان له أجران ومن يسر عليه كان مع الأولين)(3).

وعنه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظ له أجران)(4).

## 7-وجوب قراءة البسملة قبل السورة:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(إذا أمّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو



---

1- المصدر، نفس الباب، حديث 6.

2- المصدر، باب 4، حديث 1.

3- المصدر، باب 5، ح3.

4- المصدر، حديث2.

قرين الإمام فيقول:هل ذكر الله يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإن قال نعم هرب وإن قال لا ركب عنق الإمام ودلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان أمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم)(1).

## 8-استحباب قراءة القرآن عند زيارة القبور:

في (من لا يحضره الفقيه) عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(ما عبد مؤمن زار قبر مؤمن فقرأ عنده إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات إلا غفر الله له ولصاحب القبر)(2).

وفي رواية أخرى:(أمن من الفزع الأكبر) وفي معناه روايات عديدة.

وفي أخرى استحباب إضافة سورة الفاتحة والمعوذتين والتوحيد وآية الكرسي كل منها ثلاث مرات، وورد في ثوابها:(إن الله يبعث إليه ملكاً يعبد الله عند قبره ويكتب له وللميت ثواب ما يعمل ذلك الملك فإذا بعثه الله من قبره لم يمر على هول إلا صرفه الله عنه بذلك الملك الموكل حتى يدخله الله به الجنة)(3).

## 9-فضل تعلم القرآن في الشباب وآثاره:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله من السفرة الكرام البررة، وكان القرآن عنه حجيزاً يوم القيامة، يقول:يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلغ به أكرم عطائك، قال:فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه



---

1- بحار الأنوار: 82/20.

2- وسائل الشيعة: كتاب الطهارة، أبواب صلاة الجنائز، باب 57، حديث 5.

3- جامع أحاديث الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب زيارة القبور، باب 2 وفيه عشرة أحاديث.

تاج الكرامة، ثم يقال له:هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن:يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال:فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له:هل بلغنا به وأرضيناك؟ فيقول:نعم)(1).

## 10-ضرورة تعليم الأولاد القرآن:

عن الرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في حديث إلى أن قال:(ويكسى أبواه - أي حامل القرآن - حلتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما هذا لما علّمتماه القرآن)(2)({306}) وفي حديث عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن الله ليهمّ بعذاب أهل الأرض جمعياً حتى لا يحاشي منهم أحد إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيّب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم)(3).

## 11-أقسام قرّاء القرآن وصفة القارئ الحق:

عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قرّاء القرآن ثلاثة:رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده(4) وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله واظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عنه فراشه، فبأولئك يدفع الله البلاء وبأولئك يديل الله من



---

1- الكافي: 2/ 604.

2- نهج السعادة: 7 / 223.

3- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب 3، حديث3.

4- وهم هؤلاء الذين يدققون في قواعد التجويد التي وضعوها وغفلوا عن معاني ما يقرأون.

الأعداء وبأولئك ينزّل الله الغيث من السماء، فوالله لهؤلاء في قراء القرآن اعز من الكبريت الأحمر)(1).وعن رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزز به فيذلك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به)(2).

## 12-فهم القرآن مرتبة قريبة من النبوة:

عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من حديث قال:(من ختم القرآن فإنما أدرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لا يوحى إليه)(3).

## 13-الطريق الأكمل لقراءة القرآن أن تبدأ من أوله إلى آخره وليس بأن تقرأ سوراً متفرقة:

عن الزهري قال:(قلت لعلي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ):أي الأعمال أفضل؟ قال:(الحالّ المرتحل) قلت وما الحالّ المرتحل، قال (عَلَيْهِ السَّلامُ):فتح القرآن وختمه، كلما جاء بأوله ارتحل في آخره)(4) وفي النهاية سئل:أي الأعمال أفضل فقال:الحال المرتحل، فقيل:وما ذلك، قال:الخاتم المفتح هو الذي يختم القرآن بتلاوته ثم يفتتح التلاوة من أوله؛ شبّهه بالمسافر يبلغ بالمنزل فيحل فيه ثم يفتتح السير أي يبدأه وكذلك قراءة أهل مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا وقرأوا



---

1- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب 8، حديث 1،3.

2- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب 8، حديث 1،3.

3- المصدر السابق، باب 11، حديث 18.

4- المصدر السابق، باب 11، حديث 2.

الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله: {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ويقفون ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل أي أنه ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان.وفي هذا المعنى حديث عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(قيل يا ابن رسول الله أي الرجال خير قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):الحال المرتحل، قيل يا ابن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):وما الحال المرتحل؟ قال (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):الفاتح الخاتم الذي يقرأ القرآن ويختمه فله عند الله دعوة مستجابة)(1).

## 14-الوصية بكثرة قراءة القرآن:

وفي وصية النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(وعليك بتلاوة القرآن على كل حال)(2).

## 15-ثواب قراءة القرآن:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حديث قال:(عليكم بتلاوة القرآن فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن:اقرأ وأرق فكلما قرأ آية يرقى درجة)(3).

وعن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):(من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة



---

1- المصدر، حديث 8.

2- المصدر، باب 11، حديث 1.

3- المصدر، حديث 10.

آيـة كتب من القـانتين، ومن قرأ مـائتي آيـة كُتب من الخاشـعين، ومن قرأ ثلاثمائـة آيـة كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسـمائة آيـة كتب من المجتهـدين، ومن قرأ ألف آيـة كتب له قنطار والقنطار خمسـة عشـر ألف (خمسون ألف) مثقال من ذهب، المثقال أربعـة وعشـرون قيراطاً أصغرها مثل جبل أحد وأكبرها ما بين السماء والأرض)(1).

## 16-ضرورة المحافظة على ما تعلم من القرآن ولا يتركه بحيث يؤدي الى نسيانه:

عن يعقوب الأحمر قال:(قلت لأبي عبـد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إن عليّ ديناً كثيراً وقـد دخلني ما كاد القرآن يتفلت مني، فقال أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):القرآن القرآن إن الآيـة من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصـعد ألف درجة - يعني في الجنة - فتقول:لو حفظتني لبلغت بك هاهنا)(2).

أقول:مرّ عليك أن الحفظ المعنوي بمعنى مراعاة حدوده ومعانيه والالتزام بأوامره ونواهيه.

## 17-استحباب التلاوة على وضوء:

عن محمد بن الفضـيل عن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(سألته أقرأ المصـحف ثم يأخذني البول فأقوم فأبول وأسـتنجي وأغسل يدي وأعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟ قال:لا حتى تتوضأ للصلاة)(3).



---

1- المصدر، باب 17، حديث 2.

2- المصدر، باب 12، حديث3.

3- المصدر، باب 13، حديث1.

وعنهم (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(لقارئ القرآن بكل حرف يقرأ في الصلاة قائماً مائة حسنة وقاعداً خمسون حسنة ومتطهراً في غير صلاة خمسة وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنات، أما إني لا أقول: {المر ۚ} ، بل بالألف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر)(1).

## 18-استحباب الاستعاذة عند القراءة:

عن الحلبي عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، قال:نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)(2).

وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(والاستعاذة هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} ومن تأدب بأدب الله أدّاه إلى الفلاح الدائم)(3).

## 19- القرآن عهد الله فكم ينبغي للمسلم أن يقرأ منه يومياً:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)(4).

أقول:وبحساب بسيط تستنتج أن اقل ما ينبغي للمؤمن أن يختم القرآن في السنة ثلاث مرات لأن عدد آيات القران أكثر من ستة آلاف فيختمه على هذا المعدل في (120) يوماً أي أربعة أشهر هذا بغض النظر عن مضاعفة الجهد في



---

1- المصدر، حديث 3.

2- المصدر، باب 14، حديث2.

3- المصدر، حديث 1.

4- المصدر، باب 15، حديث1.

شهر رمضان .

### 20-آيات القرآن خزائن فاستفد منها جميعاً:

عن علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها)(1).

### 21-استحباب قراءة القرآن في البيوت:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:قال أمير المؤمنين:(البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)(2).

### 22-الكسب وطلب الرزق لا يمنع من المواظبة على قراءة القرآن:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات وتمحي عنه عشر سيئات)(3).

### 23-استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره



---

1- المصدر، حديث 2.

2- المصدر، باب 16، حديث 2.

3- المصدر، باب 11، حديث 6.

وخفف عن والـديه وإن كانا كافرين)(1).وعن النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ليس شـيء أشد على الشـيطان من القراءة في المصـحف نظراً)(2).

وفي حديث آخر:(النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة)(3).

أقول:وهذه اقل وظيفة يقوم بها من لا يحسن القراءة وإلا فعليه الاستماع.

وعن إسـحاق بن عمـار عن أبي عبـد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قـال:(قلت له:جعلت فـداك إني أحفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف، قال فقال لي:بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة)(4).

## 24-استحباب اقتناء نسخة من المصحف في البيت:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إنه ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين)(5).

## 25-استحباب ترتيله وكراهة العجلة فيه:

عن عبـد الله بن سـليمان قـال:سـألت أبا عبـد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عن قول الله عز وجل:{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} قال:(قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):بيّنه تبياناً ولا تهذّه



---

1- المصدر، باب 19، حديث 1.

2- المصدر، حديث 2.

3- المصدر، حديث 6.

4- المصدر، باب 19، حديث 4.

5- المصدر، باب 20، حديث1.

هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة)(1).وفي تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ}(البقرة:121) روي عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال:(حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الأولى ويستعيذ من الأخرى)(2).

وفي حديث عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(إن القرآن لا يُقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلاً وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله الجنة وإذا

مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار)(3).

## 26-استحباب قراءته بالحزن كأنه يخاطب إنساناً وحرمة ما يفعل الصوفية من الغشية والصعقة:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن القرآن نزل بالحزن فاقرأه بالحزن)(4).

وعن حفص قال:(ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ولا أرجى للناس منه وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ كأنما يخاطب إنساناً)(5).

وعن جابر عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قلت إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتى يرى أن أحدهم لو قطعت يداه أو رجلاه



---

1- المصدر، باب 21، حديث 1.

2- المصدر، باب 27، ح7.

3- المصدر، حديث 3.

4- المصدر، باب 22، ح1.

5- المصدر، حديث 3.

لم يشعر بذلك، فقال:سبحان الله ذلك من الشيطان، ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل)(1).

## 27-استحباب رفع الصوت بالقرآن:

عن معاوية بن عمار قال:(قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):الرجل لا يرى أنه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال:لا بأس، إنَّ علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار وإن أبا جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قراءته)(2).

## 28-حرمة التغني بالقرآن:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم)(3).

## 29-وجوب الإنصات لقراءة القرآن أخلاقياً واستحبابه شرعياً إلا في الصلاة:



---

1- المصدر، باب 25، حديث1.

2- المصدر، باب 23، حديث 2.

3- باب 24، حديث 1.

عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع؟ قال:نعم إذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع)(1).وفي حديث زرارة عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(وإذا قرأ القرآن في الفريضة خلف الإمام فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)(2).

## 30-استحباب ختم القرآن في كل شهر مرة:

عن محمد بن عبد الله قال:قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):اقرأ القرآن في ليلة؟

فقال:(لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر)(3).

## 31-استحباب إهداء ثواب القراءة إلى المعصومين (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) لكي يضاعف الأجر:

عن علي بن المغيرة عن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(قلت فإذا كان في يوم الفطر جعلتُ لرسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ختمة(4) ولعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أخرى ولفاطمة (س) أخرى ثم الأئمة (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) حتى انتهيت إليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في الحال، فأي شيء لي بذلك؟ قال:لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة، قلت:الله أكبر فلي بذلك؟ قال:نعم ثلاث مرات)(5).



---

1- المصدر، باب 26، حديث 4.

2- المصدر، حديث 5.

3- المصدر، باب 27، حديث1.

4- مما قرأه في شهر رمضان.

5- المصدر، باب 28، حديث1.

## 32-استحباب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن:

عن الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن رسول الله أتى شباباً من الأنصار فقال:إني أريد أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر سورة الزمر {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شاباً فقال:يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني فقال:إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً)(1).

## 33-العلم كله في القرآن:

روي عن علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قيل له:(هل عندكم شيء من الوحي؟ قال:لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)(2).

وعن إبراهيم بن العباس قال:(ما رأيت الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) سئل عن شيء قط إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن)(3).

وفي نهج البلاغة:(ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه:ألا إنه فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم بينكم)(4).



---

1- المصدر، باب 29، حديث1.

2- تفسير الصافي: 1/ 39 وتقدم الطريق إلى مصادره من طريق العامة.

3- المصدر، باب 27، حديث 6.

4- الخطبة 158 من الجزء الأول.

### 34-القرآن شفاء من كل داء:

عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً)(1).

### 35-القرآن فيه جلاء القلوب:

عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد و إن جلاءها قراءة القرآن)(2).

### 36-الإكثار من قراءته في شهر رمضان:

عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان)(3).

وعن علي بن حمزة قال:(دخلت علي أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقال له أبو بصير:جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال:لا ففي ليلتين؟ فقال:لا فقال:ففي ثلاث؟ فقال:ها وأشار بيده ثم قال:يا أبا محمد إن لرمضان حقاً وحرمة لا يشبهه شيء من الشهور)(4).

وفي خطبة النبي (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في آخر جمعة من شعبان قال:(ومن تلا فيه - أي شهر رمضان - آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور)(5).



---

1- الكافي: 2/ 624.

2- إرشاد القلوب: صفحة 78.

3- ثواب الأعمال : 129/ 1، باب ثواب قراءة القرآن.

4- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن في غير الصلاة، باب 27، ح3.

5- عيون أخبار الرضا: صفحة 162.

## 37-تلاوة القرآن حق تلاوته:

في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ}(البقرة:121) قال الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ):(يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون بأحكامه ويرجون وعده، ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه. حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}(1).

## 38-القرآن لا يشبع منه العلماء:

عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال من حديث في وصف القرآن:(هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تلتبس منه الألسن ولا يخلق من الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم)(2).

## 39-القرآن في نهج البلاغة:

(وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص وإن العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم



---

1- الميزان في تفسير القرآن: 1 / 260، عن إرشاد القلوب للديلمي.

2- سنن الدارمي:2/ 435، كتاب فضائل القرآن، ومثله في كتب الخاصة.

والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم)(1).

## 40-دعاء الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عند ختم القرآن:

اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته وفضلته على كل حديث قصصته وفرقاناً فرقت بين حلالك وحرامك وقرآناً أعربت به عن شرايع أحكامك وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاة لا يضل من أمَّ قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته، اللهم فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيّناته، اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً ـ وورثتنا علمه مفسراً وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزّان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك، حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه، اللهم صلّ على محمد وآله واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلج أسفاره، ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره، اللهم وكما نصبت به محمداً عَلَماً للدلالة عليك وأنهجت



---

1- نهج البلاغة: الجزء الأول، الخطبة 110.

بآله سُبل الرضا إليك، فصلّ على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى اشرف منازل الكرامة، وسُلّماً نعرج فيه إلى محل السلامة وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، اللهم صل على محمد وآله، واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار، وهب لنا حسن شمائل الإبرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل وأطراف النهار، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفوا بنا آثار الذين استضاؤوا بنوره، ولم يلْههم الأمل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره، اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوساوس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجرَ أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله، اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوساوس عن صحة ضمائرنا واغسل به درن قلوبنا، وعلائق أوزارنا، واجمع به منتشر أمورنا وارو به في موقف العرض عليك ظمأ هواجرنا، واكسنا به حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا، اللهم صل على محمد وآله، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق، وسق به ألينا رغد العيش خصب سعة الأرزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة، ومداني الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً، ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً، اللهم صل على محمد وآله، وهوّن بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق وجهد الأنين، وترادف الحشارج، إذا بلغت النفوس التراقي {وَقِيلَ

مَنْ رَاقٍ }، وتجلّى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من دعاف مرارة الموت كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق، اللهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين أطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضر القيامة بموبقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذلّ مقامنا، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا، ونجنا به من كل كرب يوم القيامة، وشدائد أهوال يوم الطامة وبيّض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداً، ولا تجعل الحياة علينا نكداً، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما بلغ رسالتك، وصدع بأمرك ونصح لعبادك اللهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلساً، وأمكنهم منك شفاعة، وأجلّهم عندك قدراً، وأوجههم عندك جاهاً، اللهم صل على محمد وآل محمد، وشرّف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل شفاعته وقرب وسيلته، وبيض وجهه وأتم نوره وارفع درجته، وأحينا على سنته وتوفّنا على ملته، وخذ بنا منهاجه، واسلك بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك إنك ذو رحمة واسعة وفضل كريم، اللهم اجزه بما بلّغ من رسالاتك وأدّى من آياتك، ونصح لعبادتك، وجاهد في سبيلك، أفضل ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وأنبيائك

المرسلين المصطفين، والسلام عليه وعلى آله الطاهرين ورحمة الله وبركاته(1).



---

1- الصحيفة السجادية: دعاؤه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عند ختم القرآن.

## القبس /112: سورة الفرقان:44

### اشارة

{إِن هُم إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلًا}

### تطبيق:إباحة زواج المثليين نموذجا

### عظمة تشريعات الإسلام:

نشر محرر شؤون الصحة لاحدى القنوات الفضائية(1) على صفحتها تقريراً جاء فيه ((مع التقدم في العمر يصبح الحيوان المنوي أكثر عرضة للأخطاء الوراثية بشكل يزيد من خطر الاصابة بالتوحّد والانفصام وغيرها من الأمراض)) ونقل ذلك عن كيفن سميث الاستاذ بجامعة ابرتاي في دندي في المملكة المتحدة وقال:((إن الزيادة الطفيفة في خطر الاصابة بالأمراض له تأثير كبير على مستوى الامة بكاملها وأنه يجب أن يثير الأـمر قلقنا على نطاق المجتمع، فالتأثير حقيقي وواضح ويجب أخذ سن الابوّة بشكل أكثر جدية، وتأثيره على الجيل القادم من الأطفال)).

عندما اطلعتُ على هذا الخبر إنقدحت في ذهني عدة امور:

1-عظمة تشريعات الإسلام والأسرار الكامنة فيها إذ يكشف هذا الخبر عن جانب من الحكمة في الحث على الزواج المبكر لتحصيل إنجاب سليم قوي مضافاً الى المصالح الاخرى كتحصين النفس والاستقرار ورفع مستوى الوعي



---

1- قناة بي بي سي بتاريخ: 25/ 6/ 2015 - 8 رمضان/1436.

بالمسؤولية وتحصيل المُعين على الدنيا والاخرة ونحو ذلك، ورد عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قال رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):ما بُنِيَ في الإسلام بناء أحبُّ الى الله عز وجل من التزويج)(1) فالمساهمة في بناء الزوجية أحبّ الى الله تعالى من سائر مشاريع البناء الاخرى حتى المساجد، لأنه مشروع دائم العطاء والتوسّع جيلاً بعد جيل حتى يأتي عصر الظهور وإذا بك تقدَم الآلاف لنصرة الإمام (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ببركة ذلك الزواج. فلا يقصّر أحد في تشجيع مشاريع الزواج وتيسير امورها والإنفاق عليها من الحقوق الشرعية وغيرها.2- حماقة الغرب وضحالة تفكيره بالرغم مما يظهر من جبروت علمي وتكنولوجي، فماذا طرح من حل ليتجنب هذا الاحتمال في ضعف الانجاب وإصابته بالأمراض إذا تأخر الزواج بدل أن يستجيب لنداء الفطرة والدين ويدعو الى الزواج والإنجاب المبكرين، نقل التقرير عن عالم الأحياء المذكور ((إن الشباب في سن 18 يجب أن يجمّدوا حيواناتهم المنوية ويستخدموها لاحقاً، لتجنب مخاطر الإنجاب في الكبر)) وقال:((إن بنوك الحيوانات المنوية يجب أن تكون متوفرة))، والغريب أن ينشر هذا المقترح في دورية اسمها "الأخلاق الطبية".

وخير تعليق على هذا المقترح ما نقله التقرير عن ألن باسي استاذ أمراض الذكورة في جامعة شيفيلد بقوله ((هذه واحدة من أسخف الاقتراحات التي سمعتها منذ وقت طويل)) ووجه استخفافه:



---

1- وسائل الشيعة: كتاب النكاح، ابواب مقدماته، باب 1 ح 4.

أ-((لأن الحيوانات المنوية لمعظم الرجال لا تتجمد بشكل جيد وهو أحد أسباب قلة المتبرعين بالحيوانات المنوية، لذا فمن يجمد حيواناته المنوية في سن ال- 18 ويعود ليستخدمها لاحقاً سيتطلب من زوجته الخضوع لعملية تلقيح صناعي أو أكثر)).

ب-الكلفة الاقتصادية حيث قدرت اجرة حفظ الحيوانات المنوية ب- 150 - 200 جنيه استرليني في العام.

ت-ما نقله عن الاستاذ آدم بالين رئيس الجمعية البريطانية للخصوبة من أن خصوبة الحيوانات المنوية أقل من الجديدة مما يعني الاعتماد على التلقيح الصناعي، أي أنه يجعل من الإنجاب عملية اصطناعية مما يعطي إحساساً كاذبا بالأمان إذ أن التكنولوجيا لا تضمن إنجاب طفل.

3-وتذكرت منقبة لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فيها سبْقٌ علميٌ له (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وهو باب مدينة علم رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والمنقبة ترتبط بهذا الاكتشاف العلمي فقد روى الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال (أتى عمر بامرأة تزوجها شيخ، فلما أن واقعها مات على بطنها، فجاءت بولد فادّعى بنوه أنها فجرت، وتشاهدوا عليها، فأمر بها عمر أن تُرجم، فمر بها علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقالت:يا بن عم رسول الله إن لي حجة. قال:هاتي حجتك، فدفعت إليه كتابا فقرأه، فقال:هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها، ويوم واقعها، وكيف كان جماعه لها، ردوا المرأة. فلما أن كان من الغد دعا بصبيان أتراب ودعا بالصبي معهم، فقال لهم:العبوا حتى إذا ألهاهم اللعب قال لهم:اجلسوا، حتى إذا تمكنوا صاح بهم، فقام الصبيان وقام الغلام فاتكأ على راحتيه، فدعا به علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وورّثه من أبيه وجلد إخوته المفترين حداً حداً. فقال

له عمر: كيف صنعت؟ قال(عَلَيْهِ السَّلاَمُ):عرفت ضعف الشيخ في اتكاء الغلام على راحتيه)(1).

## وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ:

هذا هو الإسلام في سمو تشريعاته وعظمةِ أئمتهِ وقادتهِ ويدرك أعداؤه ذلك ويدركون النعمة العظيمة التي يتنّعم بها المسلمون ويعلمون تفاهتهم وحماقتهم وجاهليتهم وان حاولوا تلميع صورتهم بالنفخ والتهريج للتقدم التقني فلذلك ما انفكوا عن الكيد للإسلام والمسلمين وشن الحروب عليهم ليسلبوهم هذه النعمة العظيمة قال تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} (البقرة 217) تارة بالحروب العسكرية واخرى بالتشويه والتسقيط والاستهزاء والخداع واخرى بنشر الفساد والانحراف واخرى بصنع نماذج منفّرة مقزّزة تسمّى بالإسلام مثل داعش والقاعدة ليستحي المسلمون من التحدث بالإسلام كل ذلك للضغط على المسلمين حتى يتخلوا عن نعمة الإسلام العظيمة حسداً لكم، والحسد تمنّي زوال نعمة من مستحق لها، وربما من كان مع سعي في إزالتها وقال تعالى {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم} (البقرة 109) وقال تعالى {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ} (النساء 54) والفضل هو الإسلام والقرآن والنبي



---

1- الكافي : 7 / 424 / 7 ، تهذيب الأحكام : 6 / 306 / 850 كلاهما عن أبي الصباح الكناني ، من لا يحضره الفقيه : 3 / 24 / 3254 عن الأصبغ بن نباتة ، المناقب لابن شهر آشوب : 2 / 369 كلاهما من دون إسناد إلى المعصوم.

واله المعصومون(عَلَيْهِم السَّلاَمُ) وبركاتهم الكثيرة.

## الانحطاط العظيم:

وربما سمعتم بآخر مظاهر انحطاطهم وهو إصدار المحكمة العليا في الولايات المتحدة حكماً يوم الجمعة 26/ 6/ 2015م يقضي بمنح الحق للمثليين جنسياً في كافة الولايات المتحدة، وهو الحكم الذي وصفه رئيسهم اوباما بأنه انتصارٌ لأمريكا وانتصارٌ للحب. وتدّعي امريكا انها القوة العظمى في العالم وان باستطاعتها الهيمنة عليه وقيادته ويوجد عدد كبير من المنبهرين بالقوة الامريكية المقتفين لآثارها، لذا احتفل الملايين في عدة دول بهذا الانتصار.

أرأيتهم كيف يتبجحون بما تستنكف حتى الحيوانات الهمجية عن فعله وممارسته ناهيك عن منافاته للفطرة الإنسانية والغريزة المودعة؛ فهبطوا الى ما دون البهيمية وعادوا الى الجاهلية الرعناء {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (النمل 55) فكانوا مصداقاً لقوله تعالى {إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} (الفرقان 44) متذرّعين بالحرية وهي حقٌ مقدّس منحه الله تعالى لعباده لكنها لا تعني الفوضى العارمة في اتباع الشهوات والخروج عن القوانين العقلائية. فشوّهوا بسلوكهم الشائن هذا العنوان الجميل، وهل من الحرية أن يُترك المصاب بمرض فتاك معدي يتحرك في المجتمع كيف يشاء ويلوّث الآخرين ويصيبهم بمرضه، أم يُحْجَرْ عليه ويُعالج حتى يشفى، علماً أن الأمراض الأخلاقية والاجتماعية أشد فتكاً من الأمراض الجسدية.

إن هذا القرار عارٌ على من أصدره ومن رضي به ومن أيده بسكوته عن

استنكاره، وإننا لنشعر بالحياء والخجل أمام خالقنا العظيم ونحن نرى جملة من المحسوبين علينا نحن البشر يتجرأون على حدوده بهذا الانتهاك الفظيع، ونسبّح ربنا وننزهه عما يفعل الظالمون.فتمسكوا بإسلامكم أيها الأحبة وحافظوا على التزامكم وارفعوا رؤوسكم شامخين واشكروا الله تعالى على ما هداكم اليه.

ص: 408

## القبس /113: سورة الفرقان:70

{فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِم حَسَنَت ۗ}

قال الله تبارك وتعالى: {إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} (الفرقان:70).

يحظى التائب بصدق الذي يصحّح إيمانه ويقلع عن الذنوب ويعود إلى الاستقامة ويقوم بالأعمال الصالحة بعدة امتيازات وحوافز تشجّع العصاة والمنحرفين على التوبة والرجوع الى الله تعالى والسير على الطريق الصحيح، وتزيد من محبة العبد لله تعالى وتعميق الأمل بكرمه وهو بحد ذاته مانع قوي عن الوقوع في المعاصي، منها:

1- المحبة الإلهية، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة:222) وفي الحديث الشريف (من أحبّه الله لم يعذّبه)(1).

2- دعاء الملائكة وحملة العرش لهم ولذويهم، قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ



---

1- الكافي:2/ 315/ح5.

آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (غافر:7-9).3- التبديل الذي ذكرته الآية محل البحث أي إلغاء السيئات وتسجيل الحسنات عوضاً عنها كنتيجة تفرعت - بدلالة الفاء- عن توبتهم وصلاحهم وصدق إيمانهم.

وظاهرة تبديل السيئات إلى حسنات موجودة بالاتجاه المعاكس أيضاً أي تبديل الحسنات إلى سيئات وهو المعروف بحبط الأعمال، قال تعالى:{وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ} (الحجرات:2), وقال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:9) وغيرها كثير.

وفي الحديث النبوي الشريف:(أتدرون من المفلس:إن المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)(1).



---

1- كنز العمال: 4/ 127 ح 10327

أن الظاهر من الآية – كما افاد بعض المفسـرين– ان هؤلاء ((كما بدلوا سيئاتهم حسنات كذلك يبدّل الله سيئاتهم حسنات، فسيئة اشراكهم بحسـنة التوحيد، وقتلهم النفس بحسـنة قتال المشركين، وزناهم بحسنة حل النكاح))(1).وذكر تبعاً للسـيد الطباطبائي (قدس سره) شاهداً على ذلك من نفس الآية, لأنها تقول: {يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}, ((لا بحسنات فسيئاتهم هي التي تتبدل بحسنات مكانها كما بيّنا، لا أن الله يكتب بدل سيئاتهم السابقة حسنات وهم لم يعملوها)).

ويمكن مناقشة هذا الوجه:بأنه يمكن به تصحيح الأفعال الوجودية كالأمثلة المذكورة اما العدمية كترك الصلاة أو الصوم فكيف تصبح أفعالاً حسنة لاحقاً.

وأن التبديل بهذا الشـكل حصل منهم, فأنهم تركوا الشـرك, وتابوا واعتنقوا التوحيد, وهم الذين تركوا قتل النفس المحترمة, وتوجهوا الى قتال المشركين, وهم الذين تركوا الزنا, وتوجهوا الى الاحصان والعفاف. وهكذا فاين التبديل من الله تعالى.

ويجيب (قدس سـره) عن الاشـكال بقوله ((ولماذا (يبدّل الله) وصاحب السـيئة هو الذي بدَّل؟ لأن الله هو الذي يقبل توبته، وهو الذي يقرّ في قلبه التوحيد، وهو الذي يوفقه لحسنات على غرار التوحيد)).

أقول:هـذا خلاف الظاهر, لذا فإن هذا التفسـير يبقى محتاجاً الى إيضاح, فأنه يصـعب قبوله لأول وهلة, لما قيل من ان الفعل لا ينقلب عمّا وقع عليه ونحو ذلك, فكيف يحصل هذا التبديل في الفعل؟



---

1- الفرقان في تفسير القرآن: 21/ 53

وقد قرّب السيد الطباطبائي (قدس سره) تفسيراً للآية يدفع هذا الاشكال بما ملخصه:(ان أفعال الانسان اذا لوحظت كحركات خاصة – اي بلحاظ ذات الفعل الخارجي الصادر من فاعله– فانها مشتركة بين السيئة والحسنة ولا تتميز فيها الحسنة عن السيئة, كحركة الجماع المشتركة بين الزنا والنكاح, وكأكل المال المشترك بين الغصب أو باذن صاحبه, وانما يتصف بكونه حسنة أو سيئة بلحاظ موافقته أمر الله تعالى ومخالفته, وهو الذي يُسجَّل على العبد ويحاسب عليه, أما ذات الأفعال فانها لا تتصف بالحسنة أو السيئة, وهي مجموعة حركات فانية ومنقضية, وآثارها هي التي تتصف بهاتين الصفتين، وهذه الآثار السيئة التي يتبعها العقاب – اعني السيئات– لازمة للإنسان حتى يُؤخذ بها يوم تبلى السرائر.وصدور هذه المخالفة لأمر الله تعالى نابعة من شقاوة وخبث في ذات الفاعل, فاذا تبدلت الى ذات سعيدة وطيبة وتطهرت بالتوبة، امكن ان تتبدل آثارها اللازمة التي كانت سيئات قبل ذلك, فتناسب الاثار للذات بمغفرة من الله ورحمة, وكان الله غفوراً رحيماً)(1).

وبتعبير آخر:ان الذي يتبدل ليس نفس الأفعال التي صدرت وانقضت, وإنما آثارها السيئة التي انطبعت في نفس الانسان وباطنه، فاذا تاب وآمن وعمل صالحاً يزيل الله تعالى تلك الآثار السيئة من باطنه ويطبعه بآثار طيبة خيّرة, فالتبديل يحصل في آثار الأفعال وليس في ذواتها.



---

1- الميزان في تفسير القرآن: 15/ 241.

ولكي أقرّب الفكرة بمثال فقهي:فانه يشبه ما يحصل من تحوّل الفعل المحرم إلى محلل بالإجازة اللاحقة، كمن أخذ مال غيره بغير رضاه, فأنه فعل محرّم, ولكن صاحب المال اذا أجاز الفعل لاحقاً صحّ وانتفت الحرمة, وهكذا.لكن هذا التفسير يواجه عدة إشكالات:

1- ان مما تسالم عليه المتشرعة ان نفس الأفعال توصف بالحسنة والسيئة، لأن اتصاف الفعل بهذه الصفة أو تلك لا يلحظ فيه ذات الفعل المجرد عن موافقته لأمر الله تعالى ونهيه, لذا فالزنا غير النكاح بهذا اللحاظ.

2- ان الآية صريحة بأن السيئة هي التي تتبدل إلى الحسنة وليس آثارها الباطنية من شقاوة وخبث الى سعادة وطيبة, وقد صرّح (قدس سره) بذلك أيضاً, إذ قال:أي ((أن كل سيئة منهم نفسها تتبدل حسنة))(1).

3- أنه يدلّ على أن هذه الذات الإنسانية بعد أن تحوّلت إلى ذات طيبة فأن الآثار التي ستصدر منها تكون طيبة بعد هذا التغيّر، والآية صريحة بأن الأفعال السابقة على تغيّره تتبدل.

لذا فإن هذا التفسير بقي مثيراً للاستفهام لكثيرين, إذ كيف يمكن أن يبدل الفعل الذي وقع حراماً كترك الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر وظلم الآخرين وغير ذلك الى حسنات، لذا ذكروا وجوهاً أخرى يستفاد بعضها من الروايات الشريفة، ومنها:

1- ان التبديل يحدثه الله تعالى في سلوك العبد التائب بتوفيق الله تعالى، فمن كان مشركاً وتاب يوفقه الله تعالى للتوحيد وإخلاص العمل لله تبارك وتعالى،



---

1- الميزان في تفسير القرآن: 15/ 241.

ومن زنا يوفقه الله تعالى للسلوك العفيف الطاهر ويحصّنه بالزواج، ومن كان ظالماً للناس يوفقه لخدمتهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم، وإن هذه السيئات السابقة ستكون مائلة في ضميره مما شعره بالندم والأسف فيدفعه إلى مزيد من عمل الحسنات لمحوها وتغطيتها وإزالة تأثيرها, وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على استذكار الذنوب, لاجل هذا الغرض.2- ان التبديل يحصل يوم القيامة بأن يضع الله تعالى للعبد التائب في كتابه بدل سيئاته حسنات ولا يكتفي بمحو السيئات ومغفرة الذنوب، وهذا ليس بعيداً عن كرم الله تعالى وفضله وسعة رحمته, وهو معنى قريب لما في آية أخرى قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّ-يِّئَاتِ} (هود:114), وفي رواية البرقي في المحاسن بسنده عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عزوجل، فيكون هو الذي يلي حسابه، فيوقفه على سيئاته، شيئاً فشيئاً، فيقول:عملتَ كذا وكذا في يوم كذا في ساعة كذا، فيقول:أعرف يا ربِّ - قال:(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- حتى يوقفه على سيئاته كلها، كل ذلك يقول:أعرف، فيقول:سترتُها عليك في الدنيا، واغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات - قال:(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- فترفع صحيفته للناس, (وفي رواية محمد بن مسلم عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال الله عزوجل:للكتبة بدّلوها حسنات وأظهروها للناس)، فيقولون:سبحان الله، أما كانت لهذا العبد ولا سيئة واحدة، فهو قول الله عزوجل: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَ يِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}(1).



---

1- المحاسن: 170/ح136.

وروى مثلها الشيخ في الامالي, وكتاب الحسين بن سعيد في الزهد, عن الامام الباقر (عَلَيْهِ السَّلاَمُ), وفيها ان سبب تولي الله تعالى حساب المؤمن بنفسه لكي (لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً), (ولا يطلع على حسابه أحداً من الناس)(1). وفي ذيل مثل هذه الرواية عن ابي ذر, عن رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ورأيت رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلى: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)(2).

3- إن هذا التبديل بلحاظ آثار الذنوب على نفس الانسان وباطنه وما يحصل بسببها من الخبث والظلمانية وسوء السريرة والميل الى الشهوات ونفور من الطاعات, فيبدل الله تعالى باطن التائب إلى نقاء وصفاء وميل إلى الطاعة وتُقزّز من المعصية ونحو ذلك.

4- ويمكن ان أُضيف وجهاً آخر مبنياً على الحديث (وإنما الأعمال بخواتيهما)(3), فالإنسان العاصي لو مات من دون توبة فانه ستكون عاقبته سيئة, فاذا تاب وندم والتزم بالأعمال الصالحة فانه سيسجَّل ضمن الصالحين الطائعين, ويجازى على أساس هذه الحالة الجديدة التي انتقل اليها, ليس فقط من حين التغيير وإنما في كل حياته.



---

1- الزهد: 91/ح245.- امالي الشيخ الطوسي: 1/ 70.

2- تفسير نور الثقلين: 4/ 33- البرهان: 7/ 120/ح13, عن صحيح مسلم.

3- بحار الأنوار: 9/ 330.

فـاذا كـان تاركـاً للصـلاة ثم تـاب والتزم بهـا في اوقاتهـا وفي المسـجد مثلاً, فانه يُكتب في كل حياته حتى ما قبل التغيير على هـذه الحالة الجديدة، واذا كان زانياً ثم تاب وتزوج وحصَّن نفسه, كُتب في جميع حياته عفيفاً محصـناً وممن عمل بهذه السنة الشريفة، وهكذا.فالتبديل يكون بلحاظ ما سُجِّل على العبد من صفة افعاله، فالفعل الذي كان موصوفاً بانه سيئة يُزال ويُكفّر, ويُكتب بدلاً عنه الفعل الحسن الجديد.

وهو لا يخرج عن ظاهر الآية من تبديل نفس السـيئات حسنات، وان تذييل قوله تعالى {وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} يدل على ذلك, لأنه جعل التبديل من آثار المغفرة.

ولتقريب الفكرة نورد مثالاً من حياتنـا, وهو مـا يحصـل في الامتحانات المدرسـيّة فقـد يحصل الطلبـة على نتائـج مترديّـة في امتحانٍ ما, فيقول:لهم الأسـتاذ, انه سيُعيد الامتحان, فمن جاء بدرجة ناجحة كتبها له, والغى السابقة, تشجيعاً لهم, فيحسب لهم الدرجة العالية وكأنها درجة الامتحانين, ولا يُخرج المُعدّل لهما.

وهذا ليس كثيراً على كرم رب العالمين, ولا الأساتذة في المدارس أوسع منه تعالى فضلاً ورحمة بالعباد.

وينبغي الإشارة الى ان الروايات ذكرت مُوجبات هذا التبديل:

ومنها:ما في روضة الواعظين عن النبي (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:(ما جلس قوم يذكرون الله (عزوجل) الا نادى بهم منادٍ من السماء قوموا فقد بدّل الله سيئاتكم حسنات, وغفر لكم جميعاً)(1).ومنها:ما روي عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قيل يا رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويبدلها له حسنات, إنه كان مرة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له:أجزل الله لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يُختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بهذا الرجل فتاب وأناب, وأقبل إلى طاعة الله عزوجل, فلم يأت عليه سبعة أيام, حتى أُغير على سرح المدينة فوجه رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في أثرهم جماعة, ذلك الرجل أحدهم, فاستشهد فيهم)(2).

وقد دلّت على ان الايمان والعمل الصالح الموجبين لتبديل السيئات حسنات هما المتضمنان لولاية أهل البيت (عَلَيْهِم السَّلاَمُ) والالتزام بهديهم وسنتهم, ففي رواية الكافي بسنده عن الحلبي عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(إن رسول الله (صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال:إن ربي وعدني في شيعة علي خصلة، قيل:يا رسول الله وما هي؟ قال:المغفرة



---

1- روضة الواعظين- الفتال النيسابوري: 391.

2- بحار الأنوار- المجلسي: 5/ 155.

لمن آمن منهم، وإن الله لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة، ولهم تبدل السيئات حسنات)(1).وروى الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات, بسنده عن صفوان الجمال, عن الامام الصادق (عَلَيْهِ السَّلاَمُ), رواية في فضل زوار الامام الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ), إلى ان قال:(فاذا ارادت الحفظة أن تكتب على زائر الحسين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) سيئة، قالت الملائكة للحفظة:كُفيّ فتكف فاذا عمل حسنة، قالت لها:اكتبي، أولئك الذين يُبدل الله سيئاتهم حسنات)(2).

وروى الشيخ في اماليه, بسنده عن الامام الرضا (عَلَيْهِ السَّلاَمُ), عن آبائه (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:(قال رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ):حبُّنا أهل البيت يُكفرّ الذنوب, ويُضاعف الحسنات, وان الله ليحتمل عن محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، الا ما كان منهم فيها إصرار وظلم للمؤمنين:فيقول للسيئات كوني حسنات)(3).

وهذا الحديث يقيّد الأحاديث المطلقة, كالذي رواه الشيخ المفيد في الاختصاص بسنده, عن أصبغ بن نباتة، أن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال:له في حديث (يا أصبغ، إن وليّنا لو لقي الله وعليه من الذنوب مثل زبد البحر ومثل عدد الرمل، لغفرها الله له إن شاء الله تعالى) (4).



---

1- الكافي: 1/ 368/ح15.

2- كامل الزيارات: 330/ح5.

3- الامالي: 1/ 166.

4- البرهان في تفسير القرآن: 7/ 119, عن الاختصاص: 65.

الصورة

الصورة



## الفهرس الإجمالي

القبس /٨٠﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ سورة النحل:﴿١٦﴾..... ٥
موضوع القبس:أهل البيت (عليهم السلام) نجوم أهل الأرض..... ٥
القبس /٨١﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ سورة النحل:﴿٩٨﴾..... ١٤
القبس /٨٢﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ سورة الإسراء: ﴿١١﴾ ..... ١٦
موضوع القبس:في العجلة الندامة الا في فعل الخير..... ١٦
القبس /٨٣﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ سورة الإسراء:﴿١٩﴾ ..... ٢٤
القبس /٨٤﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ سورة الإسراء:﴿٢٣﴾..... ٣١
موضوع القبس:بر الوالدين ..... ٣١
القبس /٨٥﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ سورة الإسراء:﴿٣٦﴾..... ٣٩
موضوع القبس:لا تعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين ..... ٣٩
القبس /٨٦ ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ سورة الإسراء:﴿٧٠﴾..... ٤٥
موضوع القبس:الكرامة المطلقة للإنسان..... ٤٥
القبس /٨٧﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ سورة الإسراء:﴿٧٩﴾..... ٥٥
موضوع القبس:صلاة الليل وسيلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الكبيرة ونيل المقامات الرفيعة..... ٥٥

القبس /٨٨﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ سورة الكهف:﴿١٣﴾ ..... ٦٣
موضوع القبس:الفتّوة زينة الانسان..... ٦٣
القبس /٨٩﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ سورة الكهف:﴿١٦﴾ ..... ٦٨
موضوع القبس:اللجوء إلى الكهف المعنوي ..... ٦٨
القبس /٩٠﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ سورة الكهف:﴿١٠٩﴾ ..... ٧٩
موضوع القبس:معاني القرآن لا تنتهي ..... ٧٩
القبس /٩١﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ سورة مريم:﴿١٦﴾..... ٨٨
موضوع القبس:مريم الصدّيقة الطاهرة برؤية قرآنية ..... ٨٨
ملحق:مقارنة بين الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والسيدة مريم إبنت عمران ..... ١٠٠
القبس /٩٢﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سورة مريم:﴿٤٨﴾..... ١٠٤
موضوع القبس:المعنى الصحيح للاعتزال..... ١٠٤
القبس /٩٣﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ سورة مريم:﴿٥٩﴾..... ١١٥
موضوع القبس:إنحراف الامة بعد رحيل قائدها..... ١١٥
القبس /٩٤﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ سورة مريم:﴿٨٤﴾..... ١٢٣
موضوع القبس: لا تهولنّكم قوة الباطل فإنها إلى فناء ..... ١٢٣
القبس /٩٥﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ سورة طه:﴿٤١﴾..... ١٣٠
موضوع القبس:الصناعة الإلهية للإنسان..... ١٣٠

القبس /٩٦﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ سورة طه:﴿١١٤﴾ ..... ١٣٦
القبس /٩٧﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ سورة طه:﴿١٢٤﴾ ..... ١٤٦
موضوع القبس:الاعمى من لم يبصر طريق الهداية ..... ١٤٦
القبس /٩٨﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ سورة الأنبياء:﴿٩٠﴾ ..... ١٥٣
موضوع القبس:المسارعة الى الخير ..... ١٥٣
القبس /٩٩﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ سورة الأنبياء:﴿٩٤﴾ ..... ١٥٧
موضوع القبس:النبي (ﷺ) مكفور النعمة ..... ١٥٧
القبس /١٠٠﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ سورة الحج:﴿٥﴾ ..... ١٦٥
موضوع القبس:إنبعاث الحياة المعنوية ..... ١٦٥
القبس /١٠١﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ سورة الحج:﴿١١﴾ ..... ١٧٣
موضوع القبس:عدم الثبات على الحق ..... ١٧٣
القبس /١٠٢﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ سورة الحج:﴿٢٩﴾ ..... ١٨٠
موضوع القبس:الولاية ثمرة الحج ..... ١٨٠
القبس /١٠٣﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ سورة الحج:﴿٣٢﴾ ..... ١٨٧
موضوع القبس:احياء الشعائر الدينية ..... ١٨٧
ملحق:إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية ..... ١٩٣
القبس /١٠٤﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ سورة الحج:﴿٤٠﴾ ..... ١٩٨

موضوع القبس:سنة التدافع ..... ١٩٨
القبس /١٠٥﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ سورة المؤمنون:﴿٩٦﴾ ..... ٢٠٩
القبس /١٠٦﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ سورة النور:﴿٢٢﴾ ..... ٢١٤
القبس /١٠٧﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة النور:﴿٣١﴾ ..... ٢١٩
ملحق:تحريك الدوافع نحو التوبة والرجوع الى الله تبارك وتعالى ..... ٢٢٥
القبس /١٠٨﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ سورة النو ر:٣٣ ..... ٢٥٧
موضوع القبس:العفّة رأس كل خير ..... ٢٥٧
القبس /١٠٩﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ سورة النور:﴿٣٦﴾ ..... ٢٦٥
موضوع القبس:مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت(عليهم السلام) ..... ٢٦٥
القبس /١١٠﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سورة النور:﴿٥٥﴾ ..... ٢٧٣
موضوع القبس:الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين ..... ٢٧٣
القبس /١١١﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ سورة الفرقان:﴿٣٠﴾ ..... ٢٨٣
الحذر من هجر القرآن ..... ٢٨٣
ملحق:شكوى القرآن ..... ٢٩١

الأربعون حديثاً في فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته: ..... ٣٨٢
القبس /١١٢﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ سورة الفرقان:﴿٤٤﴾.٤٠٣
تطبيق:إباحة زواج المثليين نموذجا ..... ٤٠٣
القبس /١١٣﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ سورة الفرقان:﴿٧٠﴾....٤٠٩
الفهرس الإجمالي ..... ٤٢٠

الصورة

ص: 425

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.


عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹